نقش على ذاكرة طفل
فـي الزمـن الجوانــي

الدكتور
عبد العزيز كليب الشريدة

نقش على ذاكرة طفل في الزمن الجواني

الحمد الله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين.

هذه محاولة للتذكر وليست ذكريات أو مذكرات حتى يكون أبنائي وغيرهم من أراد الاطلاع ومعرفة بعض حوادث الماضي وحقائقه والتي تهم من يريد الاطلاع .

الفهرس

الذهاب إلى المدرسة في دير أبي سعيد ، العام الدراسي 1941- 1942 25
التصرف بإرث الحاج كليب الشريدة 30
قصة بستان وادي زقلاب 33
رحيل تركي الى دير أبي سعيد 36
..... 38
..... 42
..... 63
..... 86

الـــــــــــــذهاب الـــــــــــــى جـــــــــــــرش 87
..... 110
الـــــــــــــذهاب الـــــــــــــى المدرســـــــــــــة 139
..... 141
زواج أخـــــــــــــــــــي شـــــــــــــــــــفيق 150
..... 156
الســـــــــــــفر إلـــــــــــــى بغـــــــــــــداد 164
..... 168
فنـــدق الوحيـــد 169
أخـــذني الاســـتطراد 170
ســـيرة ذاتيـــه 186
اوابـــد تبناويـــه 188
أيـــام العيـــد 196
أيـــــــام الزيـــــــت .. أصـــــــبحت أمســـــــيت 197
..... 198
الحـــــــــــــارس (الحـــــــــــــاووط) 199
..... 202
بعـــــــــض أغـــــــــاني الحصـــــــــادين 205
.....
الأمـــــراض ومعالجتهـــا فـــي طـــب ذلـــك الزمـــان
.....
الأمـــــراض الشـــــائعة فـــــي ذلـــــك الزمـــــان
.....
بعثـــــــــة الســـــــــودان الشـــــــــقيق
.....
الســـــــــفر إلـــــــــى الســـــــــودان
.....
بعض النشاطات الصحية في محافظة الزرقاء أثناء خدمتي فيها
.....

استملاك الأرض على طريق ياجوز / صويلح كموقع مقترح لبناء مستشفى في المستقبل ..
بناء مصلى للمستشفى .....
مراكز صحية لها قصة .....
خاتمة .....
ألبوم الصور .....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله خير الخلق وسيد ولد ابن آدم الذي جاء بالهدي المبين والحق إلا بلج وكان أسوة ،وقدوة للذين يسيرون على دروب الهدى والاقتداء والعدل .

هذه ليست ذكريات ولا محاولة كتابة قصة أو رواية وإنما هي محاولة مني لتذكر بعض حوادث الماضي التي مررت بها أو سمعت بها وإثباتها لتكون معلومة أكيده لمن أراد من أبناء الحاج كليب الشريده أو غيرهم أن يطلع عليها أو يعرف الحقائق التي غابت عنهم وذلك لأنهم

كانوا صغاراً لم يعرفوها أو أطلعوا عليها ولم يعيروها كثير اهتمام وأهميه وسأبدأ في أواخر أيام والدي.

إذ كنت أيضاً صغيراً وبدأت أعي بعض ما يدور حولي أو بعض ما أسمعه من والدتي الحاجه شاهه يوسف الشتوي الطلافحه من قرية جحفيه عليها رحمه الله.

بدأت الإدراك واعي بعض الوعي لبعض ما يدور حولي في أواسط 1939 كطفل صغير أسمع وأعي بعض الحوادث وإن كانت كل حادثة وحكايه أفسرها حسب مدلولاتي للأشياء مثلاً ، كان العالم بالنسبة لي لا يخرج عن قريتي تبنه وأن عائلتي و والدي هو محور الحياة التي أعيشها ، وكان غاية ما اعرف عن العالم الخارجي أنها من بلاد جوا، ولم يكن مفهوما لي معنى بلاد جوا لأنها بلاد خارجه عن تبنه وغير عائلة والدي الذي يدور قسم كبير من مفردات القرية وحوادثها حوله .

مثلاً سمعت أول مرة في حياتي بكلمة ثوار ولم أدر ما معنى هذه الكلمة ولا مدلولها غير أنها جاءت مع جلبة شديدة وحركة سريعة في العلالي وأن الناس نهضت نصف الليل تذبح الذبائح وتطبخ ، ولما سألت مستفسراً وجلاً خائفاً عن الثوار وعن هؤلاء الناس الذين قامت العلالي ولم تقعد ووالدي على جلاله وقوته ومكانته على الأقل في نفسي أبدى اهتماماً كثيراً بهم أقول لمّا سألت عن هؤلاء الثوار لم تجب والدتي إلا أن هددوني بهم وعلي أن أرجع إلى نومي وهكذا استقر في نفس الطفل أنهم اناس يسببون الخوف والرعب.

بدأت ادرك من كثرة الإهتمام حولي والحركة الدائمة في العلالي وحولها وفي المضافة أن والدي شيء كبير جليل واننا عائله مميزة وكبيرة وأننا نسكن في العلالي بينما جميع الناس تسكن في القرية في بيوت صغيرة متلاصقة وحلالهم وابقارهم تشاركهم في حوش بيتهم ومرات كثيرة أن مصطبة البيت الذي ينامون فيه ،"" بيت : يعني غرفة كبيرة على قناطر له مصطبه مرتفعه ينام عليها جميع أفراد العائله من أبوين وأبنائهم وأمام المصطبه تهجع و تنام بعض الحيوانات كالفدان (ثوران) أو بعض الماعز والدواب كالحمار أو البغل ، بينما نحن نسكن في العلالي ونحن الشيوخ كما كنا نسمعها من أهل القريه وحلالنا ودوابنا

تبيت في بيوت مستقله يطلقون عليها الخانات وأن هناك من يقوم على خدمة هذه الدواب كألرعيان والحراثين والقطاريز . (مفردها : قطروز) .

المضافة دائما عامرة بزوارها وضيوفها وكذلك بوجوه القرية وأبنائها .

وكان هناك مقعد مخصص لوالدي وعليه فراشه ومراكيه وبقرب موقد النار يجلس عليه وهناك مقعد خاص للحارس أو القهوجي الذي يقوم بإذكاء النار وإشعالها ، وحمس القهوة بالمحماسه ومن ثم طحن ودق القهوة المحمصة بالنيجر أو المهباج بصوت جميل يطرب . وكان بعض الذي يدقون القهوة يتفننون في دقها وإخراج أصوات الدق في المهباج بشكل جميل كذلك كنت أشاهد المناسف التي تخرج إلى المضافه للآكلين من ضيوف وغيرهم .

وكل هذا وغيره كثير يضيق المقام عن ذكره جعلني ادرك أننا عائله كبيرة مميزة ولها خطرها وحضورها على مستوى القرية (طبعاً كما قلت لم أكن أعرف أن هناك قرى أخرى خارج تبنه أو أقارب آخرين فالإسم فقط هو لكليب الشريده وأبناءه الذين تحت جناحه ويعيشون بالعلالي . حتى أنني كنت أرى بعض الأشخاص الغرب الذين لا أعرفهم او من يكونون لكن يستطيعون الصعود إلى العلالي والجلوس في حضرة والدي سواء أن كانوا رجالاً أو نساءاً . وأخيراً بدأت أعرف أنهم أخوان لي وأخوات وأبناء وأحفاد لوالدي .

كان والدي شيخاً مهيب الطلعة ربعة بين الرجال مملوء الجسم في غير افراط قوي البنيه لم يستطع أحد من أقارنه وأجياله أن يصرعه على عادة شباب ذلك الزمان ، وكانت لحيته البيضاء تضفي عليه كثيراً من المهابه والهيبة مع أنه كان لين الجانب حلو المعشر يبذل من نفسه الشيء الكثير لأهله وأهل بلده حتى أنني اشهد أنني كنت أراه لا يجلس إلى الطعام في المضافة إلا بعد أن ينفض الضيوف والأكلون من الرجال ويجلس إلى الأطفال يطعمهم بيديه وخصوصاً الأطفال الصغار أو ذوي العاهات والحاجات الخاصة .

مع أننا كنا نشعر أن والدي له مكانه بين الناس وهناك الكثير من الحشم والخدم إلا أننا لم نكن نمتاز عن اطفال القرية بالكثير ونلبس مما

يلبسون قد تكون للواحد منا حذاء أو حطة وعقال (غطاء الرأس) وقد يكون ثوبنا قد سلم من الأذى ولكن نلعب كما يلعبون ونمرح كما يمروح وكنا نخلع أحذيتنا وأرديتنا لأنها تعوقنا عن الحركة ونتركها هكذا كيفما أتفق مع متاعنا وأوعيتنا وقد نفقدها ونعود إلى العلالي وقد فقدنا حذائنا أو حطتنا لباس رأسنا . وعلى الرغم من هذا كنا نشعر أننا لنا صفه خاصة تمتاز عن بقية لداتنا وأجيالنا ويحسب لزعلنا أو غضبنا حساباً والكبار يحرصون على عدم إغضابنا السنا نحن أبناء "الشيوخ ونقطه ومنا تعكر بحر كما تقول بعض نساء تبنه". ومع ذلك كان أولاد قريتنا يحبون أن يلعبون معنا ويلهون ويمرحون .

كان لوالدي أحد عشر ذكراً توفي عنهم وهم أحياء وكان له ابن ولد اسمه محمود حيث ان والده ظاهر الكليب توفي في حياة والده .

كما كان له أربع بنات حين وفاته أيضاً وكان هناك اثنتان توفيتا في حياته وهما كاتبه في بلدة طفس السورية اثناء ثورة الكوره إذ هجت مع اخوانها إلى هناك وتوفيت هناك وكانت زوجه للمرحوم كايد أبو اشقير وكانت قد انجبت منه ولدو توفي الولد وهو صغير وكذلك انجبت ابنه وحيده هي ريا بنت كايد أبو شقير . وكذلك كان له بنت آخرى وهي فضيه الكليب تزوجها جبر المفلح الجبر اليوسف الشريده وأنجبت منه محمد وعلي ومحمود وأمينه الجبر وابنته نعمة زوج سعود السعد ولم تنجب .

أبناء والدي الذكور من السيدة فضه محمد أبو شقير هم فلاح وعبد الله وصالح ، وكان كل واحد منهم قد تزوج أكثر من زوجه . ولذا كان والدي أكبرهمٍ لديه أن يزوج أولاده هؤلاء الصغار الذين هم أبناء السيده حمده أبو شقير: محمد وخليفه وأبناء السيده شاهه يوسف شنتوي الطلافحه: تركي وشفيق وصادق وشريف وعبد العزيز.

كان محمد الكليب أكبر أبنائه الصغار بعد أبنائه الثلاثه الكبار فلاح وعبد الله وصالح . لذا تراه بادر إلى تزويج محمد زوجته الأولى عائشة محمود الدراوشه من زمال . إذ كانت عائشة تزور أختها مريم زوجة صالح الكليب في تبنه وبالتالي شاهدها محمد الكليب الذي تعلق بها وأحبها فزوجه والده إياها حوالي 1931 ، وفي نفس الفترة زوج تركي وكان عمره 15 سنه ابنة خطيب تبنه الشيخ أحمد حسين المستريحي من

جنين الصفا وزوج ابنته فاطمة إلى ذلك الشيخ أحمد .

كان تركي صغيراً ولذا لم يكن هذا الزواج موفقا ولكن عاشت فاطمة أحمد حسين المستريحي في العلالي كزوجه لتركي ولكن مع عدم رغبه تركي بهذا الزواج وكما قلت ، كان صغيراً على هذا الزواج ، وذكرت والدتي أنها أدخلته على العروس يشكو من عينبه "ارمد" ويبكي وكذلك فاطمة كانت صغيره أيضاً على ذلك الزواج .

كان والدي من رجالات ذلك الزمان الذي يعتبر أن زواج الولد مبكراً وتسليحه "حمله للسلاح" وفرسه التي يركبها كل ما يصبو له شاب في ذلك الوقت "أي يزوجه ويسلحه ويخيله" .

نحن الآن في أواسط 1940م والحرب العالمية مستعره، وقد اشتد أوارها وعلا لهيبها ومع ذلك كانت القريه لاهية قليلة التأثر بها حيث القرية كانت تلبي جميع حاجاتها من حبوب من بيادرها وزراعتها ، وكانت تلبي جميع حاجاتها من لحوم وسمن وألبان إذ أن معظم العائلات تربي حلالها ودوابها وتنبه كانت أيضاً مشهورة بزراعة الزيتون وانتاج الزيت وهكذا جميع ما تحتاجه القرية متوفر لها ولا تحتاج الا القليل من خارجها كبعض السكر وزيت والكاز إذ أن زجاجة كاز كانت تكفي للقنبور أو ضوء الشائع في ذلك الزمان نمره ثلاثة أو أربعه بينما كنا نحن نستهلك تنكة كامله من الكاز مرة أو مرتين بالشهر وذلك من أجل إضاءة المضافه بالشمعدانات والفوانيس ولم تكن في تلك السنين معروف لنا اللوكس وهو يوقد بالكاز وله كيس يقال له شنبر والشنبر هذا منسوج من خيوط خاصة ويبلغ حجمه وشكله كالبيضة وكان يتوهج بالكاز المضغوط على شكل بخار وبالتالي يتوهج ويصدر إضاءة قوية جداً قد تعادل 400 شمعه من مصابيح الكهرباء الحالية أما الرز فغالبية القرية أن لم تكن كلها تستغني عنه وتستعيظ عنه بالبرغل وهو القمح المسلوق والمجفف والمجروش "سميد" أقصد أن القرية كانت مكتفيه ولا تكاد تشعر بالحرب وخصوصاً أن الراديوهات كذلك لم تكن معروفه ولا منتشرة بين الناس .

في ليلة من ليالي تلك السنه كان والدي على فراشه في علية والدتي وقد انتصف الليل وقارب على أذان الفجر وبعد أن انفض السهار والسمار في المضافة ولم يبق فيها إلا الضيوف أو الدخلاء "دخيل" فعاد الحاج

كليب إلى مهجعه ليأخذ قسطاً من الراحة وكان عليه رحمة الله في أواخر حياته قليلاً ما يلامس الكرى جفونه وتغمض له عينان ، وكان يطيب له أن يتحدّث لوالدتي بما يشعر به او ما يأخذ من وقته أثناء النهار ، وكانت والدتى تصغي له جيداً وخصوصاً وهي تفرك له كفيه وتساهره على الكرى يأخذ بمعاقد أجفانه وأخذت عنه رحمه الله كثيراً من أخبار تاريخية من مُعلومات عن ابائه وأجداده كذلك عن حمائل تبنه و رجالاتها وتاريخ حمايلها .

في سنه 1940 زوَّج ولدها تركي على الآنسة حليمة أحمد الفياض الفاعوري من السلط إذ أن السيد أحمد الفياض كان زميلاً وصديقاً لأخي صالح، والإثنان كانا طوافي حراج (طواف حرش) في اربد وجيران في اربد وتوطدت عرى الصداقه والألفة والمحبه بينهما ، وكان تركي يدرس في مدرسة تجهيز أربد ويسكن غرفة قريبة من سكن أخيه صالح ، هكذا تعرف على عائلة الحاج أحمد الفياض الفاعوري وتعرف على ابنتهم حليمه وطلب من والده أن يزوجه اياها ، وكان تركي غالياً واًثيراً على نفس والده فلم يرفض له طلب وبادر فعلاً إلى خطبتها وتزويجها له علماً بأن تركي له زوجه ثانية فاطمه بنت الشيخ أحمد كما عرفنا . عند زواج تركي زوجته الثانية اصرت زوجة الحاج كليب الثانية السيده حمده أبو شقير على زواج إبنها محمد، إذ كيف يزوج تركي زوجه ثانية وابنها لا، ومن هنا خطبوا إلى محمد زوجته الثانية عائشة عبد الرحمن العيده من دير أبي سعيد وزوجوها له .

أما تركي فبعد أن تزوج حليمه بادر بعد مضي فتره وجيزه وطلق زوجته الأولى فاطمه المستريحيه ولم ينجب منها.

في احدى هذه الليالي قال والدي محدثاً والدتي قائلاً (لقد ظلمت أولادك يا أم تركي ،ولكن كما ترين لقد زوجت تركي هذه السنه وإذا بعد بالعمر بقيه وأعطاني ربي العمر سوف أزوج السنه القادمه شفيق وبعدها صادق وهكذا . وبالتالي يكون قد قام بواجبه تجاههم وابناء أم تركي خمسة ذكور هم تركي 1920،شقيق 1922، صادق 1926، شريف 1929،وعبد العزيز 1934 .

أما أم محمد فلم يكن لديها إلا محمد 1916، وخليفه 1934 ،إذ أن يوسف ولد في مرض والدي الأخير الذي توفاه الله فيه 1940 فبل وفاة والدي بأيام قليلة .

نحن الآن في آواخر عام 1940 والوالد في عمان ومقيم في فندق ومقهى الجامعة (المقهى الذي هدم في 2006 مع الأسف الشديد).

الوالد خارج من الفندق ويسير على الرصيف وبجانبه بعض أصحابه وقد أخذهم الحديث لم ينتبه أن الرصيف كانت فيه في فجوه (جورْ) فزلت قدمه فيها ولأنه أخذ على حين غره شعر وأن جذع رقبته قد طق فيها عرق فألمته رقبته وشعر بشيء من الدوار الخفيف ووجع الرأس أنهى أعماله في عمان وعاد إلى تبنه وهو يشكو من ألم في رأسه . وكان يقول أن تلك الكبوه في تلك الجوره سببت له صداعاً مستمراً وألماً مبرحاً في الرأس ولم تنفع معه عقاقير وأعشاب ذلك الزمان وكذلك الطب .

كان الطب في بداياته والأطباء ليس لهم وسائل هذا الزمان وتبنه مقطوعه وبعيده والطرق صعبه والمواصلات نادره إلا على ظهور الخيل والدواب والتسليم بالمرض واختلاطاته مسلمة بها، إذ نادراً ما يتداوى الناس بطب ذلك الزمان إن لم يكن أمراً مسلماً به تمام التسليم ، امام سطوة المرض وعد الأيام التى تفضى بالمريض الى القبر .

وسأعود إلى ذكر بعض هذه الأمراض ومعالجتها.

وترى الناس تجلس أمام المريض وحوله يعدون أنفاسه لا يحركون محركاً وكأن الطير على رؤوسهم مسلمين ومستسلمين للواقع الذي يرون وكأنه شيء لا فكاك منه ولا خلاص من نهاياته المؤلمه الموجعه ولا يملكون إلا الحوقلة والاسترجاع وانتظار الشهقه الأخيره التي تدل على خمود الأنفاس ومغادرة الروح إلى بارئها .

بدأ والدي يدخل في غيوبه متقطعة يفيق فيها للحظات ثم يغط فيها مرة أخرى وكنت أرى الناس يملاؤون الساحات والمضافه وكأن على رؤوس الجميع الطير وكان يدخل الناس والأخوان وزوجاته وأقاربه يدخلون عليه حيث هو مسجى في فراشه ولحية البيضاء تزيده هيبة

ووقاراً وانا لا افهم من هذا شيئاً ولا أدرك لهذا المشهد العابس مغزى وان كنت أرى النحيب والبكاء من النساء وبعض الرجال ذوي القلوب المرهفه وطبعاً كان يقود الجمع "والكل يتحلق حول فراشه" ولده الكبير عبد الله وهو صاحب الأمر والنهي والتصرف على الرغم من أن ولده صالح كان يحاول أن يشارك بهذه القيادة وهذه التوجيه ولكن الكلمه الفصل كانت لعبد الله وتعليماته وتوجيهاته .

دخل الوالد أخيراً في غيبوبه عميقة شديدة واصبح الجميع يتوقع الأسوء ، وكان أخي فلاح أكبر أبنائه مريضاً وكان يجلس في العلية الوسطى وقد انفض من حوله السامر فرأيت أن أجلس إلى هذا الأخ الكريم عله يبعث في نفسي شيئاً من السكينه والهدوء وخصوصاً أن والدتي جاء ما يشغلها كغيرها من نساء العلالي . وطبعاً لم أكن أحس بالألم االممض والنفس الملتاعه والقلب الباكي لهذا الأخ الكريم إذ من اين لي أن شعر بذلك وأنا طفل صغير ولكن ما جذبني اليه هدوءه وسكونه وسكينته وهو الذي عرفناه أخيراً في قادمات الأيام برباطة الجأش والقلب والذي لاتهزه عاتيات الرياح ولا تزلزله النكباء بعويلها وخطوبها .

الناس تتكاثر حول العلالي وفي علياتها وكلما استفحل المرض بالشيخ الجليل وحل القنوط محل الرجاء تتكاثر الجموع وتتعالى الهمسات ويتجلد الناس أمام ابنائه واقاربه والكل يظهر الجزع والحزن على هذا الشيخ الجليل المسجى في العليه الغربية الكبرى وأخيراً لا أعرف كيف ومن أقترح احضار الأطباء من أربد ولماذا تأخروا كل هذا الوقت وكأنهم لا يعرفون طباً ولا دواء وأخيراً علت نغمه وجوب احضار الأطباء لمعاينته ومعالجته وأن تأخر الوقت كثيراً أخيراً حضر طبيبان من أربد وهما نشأت وجودت وهما يقودان سيارة وقد وضعوا حول عجلاتها جنازير حتى تستطيع أن تسير على الأرض الموحله حيث أن السماء كانت منهلة والأرض مبتله . وسارعوا بأخذ الطبيبين إلى حيث يرق المريض وهو في غيبوبة تامة وقد تحلقت النساء حول فراشه.

وقد شرقت بالدموع المحاجر . وسحت على الخدود وهكذا بعث وجود الطبيبين شعوراً بالأمن والرجاء وبشيء من الطمأنينه، لم يستطع الطبيبان أن يقدمان الكثير له وقد استحفل المرض وشارف على النهايات

ولذلك لجأ الطبيبان إلى سحب الدم من الوريد في عضده وسمعتهم يقولون انهم عملوا له عملية (فصد) دم وهذا يعني أن ضغط الشيخ المريض كان مرتفعاً جداً وأن عملية الفصد ساعدت إلى تخفيظ ضغظ الدم وهكذا بدأ المريض يفيق قليلاً من غيبوبته وبدأ يعرف من حوله وسرت هذه الأخبار المشجعه بين الناس وبدأوا يقولون لقد أفاق كليب .. صحي الحاج كليب في فتره صحوه هذه هجم عليه ولده صالح وهو يقبل يديه ورجليه ويطلب منه رضاه عن عبد الله إذ كما يبدو كان غاضباً من عبد الله . وكما علمت في متأخر حياتي أن الوالد كان كثيراً ما يغضب على عبد الله إما لأسباب عائليه داخليه أو خلاف سياسي.

وبقي صالح الكليب كما يقولون دابك على والده راجياً مستعطفا أن يرضى على عبد الله وأخيراً أعلن الوالد رضاه على عبد الله وقال كلمة الوداع التي لا وداع بعدها (الله يرضى عليكم ووصاتكم بعضكم ببعض) وأعلن عبد الله في حضرة والده المسجي على فراش الموت ارثك علىّ يا والدي وتركتك علي مثل (حُراقه بني خالد) أخيراً عرفت أن عبد الله كان يقصد أن يقول لوالده ارثك عليّ " مثل حراقه بني خالد " ولن أخذ من تركتك أو أرثك قليلاً أو كثيراً وسنرى في قادم الايام هل وفىَّ عبد الله بهذا الوعد لوالده .

لم يلبث بعد هذه اللحظات من الإفاقه والصحوة القصيرة حتى غط المريض الموت وإغمائة عميقه لا فواق بعدها وبقي في غيبوبته تلك الى ان صعدت الروح إلى بارئها في يوم 1941/1/1 وخرج البكاة والنعاة وهم ينعون كليباً وضجت العلالي وما حول العلالي لا بل تبنه كلها بالعويل والبكاء والنحيب من الرجال والنساء والأطفال وأنا مع هؤلاء الأطفال وقد راعنا الموقف المخوف فانخرطنا في بكاء شديد ليس حزناً على من مات ولكن من الخوف والهلع مما شاهدناه ورأيناه ولا شك أنه كان يوماً مهولاً مشهوداً وقد غفلت النساء عن فلذات أكبادها وأذهلها الموقف المخوف المزلزل للكيان وللنفوس.

وكما قلت سابقاً لم أجد لي ملجأ وسكينة إلا حيث يجلس الأخ الكبير الذي خيم الحزن على أقطار نفسه وفي تلك الليلة المرعدة المطيرة كأنها أفواه القرب وقد حدثت هزة شعر بها كل إنسان ولذا سمعت الأخ الكبير

وهو يقول لقد اهتزت الدنيا على والدي ولا استغرب أن كثيراً من الناس من هول المصاب والفاجعة التي أحاطت بالنفوس وأقطارها أن يقول مثل هذا القول ولا أقول إلا كما قال عليه الصلاة والسلام عند وفاة ولده إبراهيم عليه السلام (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان ولا تنخسفان لموت أحد ولا لحياة أحد) الان اصبح الآمر الناهي ولده عبد الله الذي أصر على دفنه في نفس اليوم، وقد حاول صالح وكثير غيره أن يؤجل الدفن ولو يوماً واحداً على الأقل وحتى يستطيعون أن يحفروا مرقده . ثم أن هذا كليب يجب أن نعطي مهله للناس والمشيعيين والمعزيين الحضور وخصوصاً في ذلك الزمان حيث كانت المواصلات شبه معدومة ولكن عبد الله أصرو أصر تحت مقولة إكرام الميت دفنه ولم ينفع مع عبد الله رجاء ولا حجج ولاتبريرات .

إذ أصبح من المؤكد أن يواري الثرى جثمانه هذا اليوم ولذا ليحفر قبره ويجهز وحتى يستطيعون حفر القبر نصبوا عليه بيت شعر وبدأ الحفاون بالحفر، الان أشاهد ذلك الشيخ الجليل المسجي ولحيته البيضاء الناصعه والتي تضفي عليه كثيراً من المهابة والجلال وقد حمله الرجال على فراشه الذي فاضت عليه روحه الطاهرة والبسوهه حطته وعقاله وأنا أشاهد هذا المشهد الحزين ولكن دون فهم مني أو ادارك لجلال الموقف حيث قالوا سوف يغسلونه في عقده شريده الكبيرة وبعد أن جهزوه وغسلوه والبسوه سارت الجموع به إلى الجامع الذي كان كان قد بناه في تبنه للصلاة عليه هنا في هذه اللحظات الرهيبه وكأن الناس قد أفاقوا من هول الفاجعة والصدمه وأن كليبا قد مات ولم يبق أي مجال للوهم أن هذا كله قد يكون حلم يقظه وأن كليباً لم يمت هنا في هذه اللحظات أعول الناس وضحوا بالتهليل والتكبير وعلا صوت الجموع وذهب كل تصبر وتجلد وافلتت النفوس من عقالها وذهبت ادراج الرياح ولم يبق الا الأنين والضجيج والآهات على ذهاب ذلك الشيخ الجليل .
ناحت النساء وندبت بكلمات تقطع نياط القلوب وتذهب بالنفوس شعاعاً .
اخضلت الأجفان واحمرت المآقي والحدقات وشرقت بالدموع المحاجر ولجت النساء كما لجة النوق المغاتير وتدافع الناس وتزاحمت الأقدام والمناكب وكنت ترى الناس وقد ملوء ساحات العلالي وأمامها وإلى ساحة

الجامع وإلى بين الحواكير إلى المقبرة كأنها كتله بشرية متماسكه متراصه لا يفصل بينها حاجز وكما (يقال ترش الرز لا يقع على الأرض) .

أين الصغير من هذا كله من هذا المشهد المريع الملتاع الباكي والضاج حد الإنفطار لا شك أنه كان في حالة مزرية والخوف والهلع يسيطر عليه ولا أحد لا أحد يلقي له بالاً واهتماماً حتى أن أمه لم تفطن اليه وكان ذلك اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت لم استطع أن أبقى في هذه الحشود المزدحمة و المتراصة وأخذت في البكاء والعويل حتى ألفت الي الأنظار أو يلتقطني أحد من هذه الحشود الهائله ويبعث في نفسي الأمان والإطمئنان ولا أدري كيف واين التقطني أحدهم وعاد بي إلى والدتي فاسرعت إليها باكياً معولاً فأسكتتني وضمتني إليها وشعرت بحضنها الحنون فهدأت نفسي وخمد صياحي وعويلي وأن والدتي موجودة ولا يهمني بعد ذلك أحد .

بعد الصلاة عليه في الجامع وآه من الجامع وذكرياته فإنه بقي مدة من الزمن يبعث الرعب في نفسي وكذلك النعش والمجنه (المقبرة) إذ بقيت مدة طويلة أخاف من الجامع والنعش والمقبرة أخيراً وصل النعش ووصلت الجموع الحامله للنعش إلى حيث مثواه الأخير في مجنة تبنه بين المشاتل وأنزلوه إلى قبره والحدوه وفي هذه الأثناء تقدم الشاعر مصطفى السكران من أربد ليلقي بعض الأبيات المرتجله على قبره كما رواها لي أخي صادق، قال الشاعر:

يا قبر هلي بعزيز بلادنا ... عساه روضه من الجنان
" نبيه "[1] تحية مع قولة ... الأوسع
هلا ... عسى الإراك إليه أطيب مضجع
ردّ القبر يا مصطفى لا ... كليب ضيف الله حاشا يجزع
تنزعج ... ادريس من فيض الكرامه
يلبس حرير وسندس واستبرق ... يذرع

أخيراً ثوى كليب تحت الثرى ، رقد أبو فلاح تحت الثرى رقد ذلك الطود الشامخ الذي كان ملء العين والبصر تحت الثرى رقدْ كليب الذي

(1) نبيه: اخبره.

كان حضوره يملأ المدى ومهابة تملأ النفوس وتفيض نفسه هدوءاً واستقراراً وأملاً على ذوي الحاجات والمطالب وطلب العطاء والنوال أن العلالي على الرغم من هذا الضجيج الذي يملأ أركانها ويندلق الحزن من اعطافها ويغطي مساحات العين والقلب، فقدت ركنها الركين وربانها الأمين وحاميها الحصين وأصبحت كالخراب تنعي من بناها ومن كان يبعث البهجة في اركانها والهيبة في أطرافها وكان يكفي أن يعرف الناس أن كليباً في العلالي حتى تهدأ النفوس وإذا أطل بطلعته البهية من الشبابيك التي تطل على ساحات العلالي والمضافه كافياً لأن يبعث الهيبة والخشوع على الجموع المحتشدة في الأسفل وصدق الدوقراني الشاعر حيث يقول :

يا دار كنتي سوق بيع وشاري ... شفت الركب والخيل حولك
يا دار وين هديب[1] رأس ... ارباطات
القطار ... الحيد شيال الحمول الثقيلات
يا دار أبن رباع ريتك عماري ... ودور اللي يكرهونك خرابات
يا حيف دار ابن رباع تضحي ... ريف اليتامي بالسنين الممحلات
دماري

إلى أن يقول :

أبو فلاح البحر ماله قراري ... يزداد لو كثرت عليه الورودات

بعد أن انفض الجمع عن المجنه وتراجعت الجموع الى ساحات العلالي والمضافه بدأت ايام العزاء استمر العزاء اربعين يوماً كانت جموع المعزين من جميع أرجاء الوطن لا بل من سوريا وفلسطين والذي لم يستطع الحضور أبرق تلغرافياً وكان على رأس المبرقين تعزيه ومواساة جلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين الأول . وكانت برقيته طويله وكما علمت في لاحق الأيام أن جلالته يختم البرقيه بعبارات المواساة والعطف ويعلن أنه هو أب لأبناء الحاج كليب إذا أباهم غيبته كالحات الأيام وطاويات الأزمان. الغريب أني لم جد مخزوناً في ذاكراتي أية معلومات عن أخواني الكثر إلا ما حصل معي مع الأخ الكبير فلاح (أبو رضا)

(1) هديب : الأسد .

والغريب أن أخي خليفة وهو من أجيالي وعمري لم أجد له مكاناً ولا ذكرى في تلك الأيام المريعة التي مرت علينا أقول استمر العزاء أربعين ويوماً والناس زرافات زرافات وقد شاهدت القدور النحاس والممتدة أمامي على النيران في ساحات العلالي والذباحون يذبحون وبعض النسوه يباشرن اعداد المناسف وبعض هؤلاء الرجال لا يزال مرسوماً بخاطري واسمائهم . وقد رأيت البعض منهم بعد أن يذبح الذبيحة ويخرج معلاقها ويدسه في عبه، أن الذبائح كثيرة والرجال، يسلخون ويقطعون اللحم والمناسف تخرج محمولة والأكلون يتحلقون حول المناسف طبعاً أنا لم أشعر بالفقد حيث أن والدتي موجودة فلا ضير بمن غاب والواقع لم أعرف كنه ومعنىً لهذا الحدث ولذلك وجدتني انخرط مع الصبيه الذي هم من أجيالي وعمري نهاجم المناسف بعد ان يرفع الأكلون أيديهم منها . وهذه كانت عادة سائدة ومعترف بها أن يكون الصغار آخر من يسدون على المنسف .

استمر الضيفان بالقدوم على تبنه على الخيول والدواب وبعض الشعراء يلقون أشعارهم وبعضهم يتحدثون عن المرحوم كليب ولكن مع الأسف ولصغري لم أتمكن من أن أتابع وأسجل وأحفظ أما أخواني الكبار وعلى رأسهم عبد الله وصالح يقومون بواجب الاستقبال والضيافة مع أبناء العمومة والأقارب وأذكر أنه كان اخ اصغر لوالدي اسمه سودي (توفي بعد والدي) ورشيدباشا أبن جروان اليوسف أبن أخ والدي. كذلك اخي عبد الله لم يهتم بحفظ البرقيات والاشعار التي قيلت بوالده

وفي الواقع أن جميع حمائل تبنه كانت تقوم بواجب الإستقبال والضيافه للناس الذين هُرعوا من كل حدب صوب . وكذلك أسجل أسفي أن الأخوان الكبار، لم يحتفظوا بالبرقيات المرسله ولم يحافظوا على سلاحه ومقتنياته وأشيائه لا أعرف لماذا هل هو الجهل والاهمال وعدم معرفة قيمة مثل هذه الاشياء. وإن هذه الأشياء كانت مهمة وثمينه وخصوصاً في هذه الأيام، إن بعض المهتمين طلبوا مني مثل هذه المقتنيات والبقايا ولكن للأسف لم يبق منها شيء إلا المهباش وهو قد همل اهمالاً الامزريا وهو في أزرى حالاته وهو لدي الان.

أنفض بيت العزاء وعادت الحياة تسير على رتابتها وانتقل عبد الله

للسكن بتبنه وعمَّر له داراً أمام العلالي وبقي في تبنه سنين عدداً قبل الرحيل للسكن في دير أبي سعيد في بيت المدعو عبد القادر أخو دعسه . ثم بعد فتره قصيره لحق به تركي وسكن في دار الكتابية وبعد فتره من الزمن رحل وسُكن في دار نجيب الشريده وكان صالح قد سبقهما وسكن في دار أبي سعيد في بيت علي حرب حتى اتم بيته الحالي وكان آخر بيت في البلد من جهة الشرق .

أما والدتي وأخواني شقيق وصادق وشريف بقوا في تبنه وان كانوا يذهبون إلى المدرسه في دير أبي سعيد ويبيتون فيها أما محمد مع والدته الحاجة حمده وخليفه ويوسف بقوا كذلك ساكنين في العلالي الى فترة طويلة نوعاً ما.

حدثني آخي محمد الكليب قال : سافرنا إلى عمان بصحبة أخي عبد الله باشا للسلام على الأمير (الملك) ونشكره على تعزيته لنا . يقول أخي محمد والحسرة تملا قلبه عرض عليّ صاحب السمو الأمير أن أعود إلى الجيش أن رغبت في ذلك حيث أن محمد كان مرشحاً في زمن والدي ثم استقال من الجيش فيقول محمد كان الباشا أسرع مني في الجواب قائلاً لسمو الأمير عبد الله شكراً يا سيدي محمد أصبح الأن مسؤولاً عن عائلته ولا يستطيع الإلتحاق بالجيش ويقول محمد طبعاً لم استطع ان أجيب سمو الأمير بعد أن أجاب عني أخي الأكبر وخصوصاً هذا الأخ الأكبر كانت امهاتنا (شاهه وحمده) يقلن لنا أن هذا أب (أبو وليس أخو) .

وبقي محمد الكليب طول عمره يتحسر على تلك الفرصه الضائعة .

التحقت بالكتَّاب عند شيخ القرية وخطيبها الشيخ احمد المستريحي زوج أختي فاطمه الكليب واستمرت الحياة ولم أشعر أنني فقدت شيئاً مهماً وكبيرا في حياتي وخصوصاً بوجود والدتي إلى جانبي ترعاني وتحفظني سمعتهم يقولون أنه يجب ان أذهب للقراءة عند الخطيب وهذا جعلني أتوجس خيفة من هذ الكلام وفي نفس الوقت دفعني الفضول للرغبة في الذهاب وخصوصاً أن بعض الأولاد الذين اعرفهم يذهبون إلى دار الخطيب للقراءة وخصوصاً قراءة القرآن الكريم بدأت والدتي بتحضير لوازم الدراسة فطلبت أن يصنع لي لوح من الصفيح (التنك) يقصون تنكه ويأخذون جانب منها ويصلحونه حتى لا يسبب لي الجروح ويصبح صالحاً

للكاتبة عليه ويصنعون له قلم من عود قصيب صغير ويبرون رأسه حتى يصبح رفيعاً ومدبباً أما الحبر فهذا يصنعونه من حت وكشط السناج والشحبار على ادوات الطبخ النحاسية ويذيبونه بالماء ليصبح متماسكاً ولزج القوام ويوضع في المحبرة وهكذا يكون قد جهزت لوازم الذهاب إلى دار الخطيب والإنضمام إلى بقية الأولاد والدراسة .

بدأت أشعر وأدرك أن لي إخوان واننا أصبحنا مع والدتي وأخواني الأشقاء نشكل وحدة عائلية مستقلة عن عائلة أخواني الآخرين وبدأت أشعر أن رب العائلة هو تركي وهو الذي له الكلمة الراجحة في هذه الوحدة العائلية المستقلة كما أن أخي محمد رأس وحده أخرى لعائلة اخرى ووالدته وله الكلمة الراجحة في ادارة هذه الوحدة الثانية أما أخواني الأخرين مثل فلاح وعبد الله وصالح فلهم كل عائلته وأبناؤه المستقلين ومع ذلك فان الأخ عبد الله هو صاحب الرأي والمشورة عند بقية أخوانه الكبار مثلا صالح ، محمد، وتركي ونحن الصغار تبع لهؤلاء الكبار .وإذا أردت الواقع فصاحب الرأي الأخير في إدارة أرث الحاج كليب الشريدة هو عبد الله وهو المسئول عن تقسيم الارث فهو الكبير والزعيم والباشا.

ذهبت وخليفة إلى الخطيب للقراءة عند الشيخ أحمد الحسين المستريحي وللعجب اكتشف أنه زوج أختي فاطمه وكان له منها ولد صغيرمن أجيالي اسمه عبد الرحيم . وكثيراً ما كنا نحضر للدرس وتكون فاطمه نائمه في فراشها وكان تابع لغرفة الشيخ صيرة أو متسع من الأرض وسور ترابي وتكون الدراسة فيه في الغالب وخصوصاً في أيام الصيف وكذلك كنا مرات كثيرة يأخذنا الشيخ لقراءة القرآن الكريم وبصوت عالي وبنغمة خاصة وملحنه في ساحة المسجد الجنوبي المهجور والذي لا تقام فيه الصلاة والذي أصبح معروفاً بالمسجد الزيداني . كان الخطيب كثيراً ما يغط بالنوم يوكل بالجمع أكبر الأولاد سناً وجسماً . أما ابن أختي هذا المدعو عبد الرحيم كان مدللاً عند والده الشيخ لأنه لم يكن له ولد ذكر بل بنات اخريات من زوجته السابقة وما أن يأتي إلى المسجد حيث الأولاد يدرسون ويصخبون ويقرأون . إلا ويود العوده إلى والدته في بيتها فهنا يصر عبد الرحيم أن يحمله أحد الطلبه أي أحد الأولاد

، وكان يصر (على ابن أبو ساية) أي لايحمله إلا محمد ابراهيم أبو ساره فيحمله المسكين ويذهب إلى والدته وما أن يصل إلى هناك حتى ينفجر باكياً ويريد العوده إلى والده وهنا تطلب من ابن أبو سارة بحمله إلى والده ثانية وهكذا دواليك ، وبعد أن مل محمد ابراهيم من هذا الواجب المتعب حتى لجاء الى حيلة لتخلصه من هذا العبء الثقيل كان بعد أن يبتعد عن الأولاد بحمله ويأخذ يقرصه قرصاً مؤلما فيصيح عبد الرحيم من شدة الألم وابن أبو سارة بتصنع عدم المعرفة لسبب المه وأخيراً حل عن ظهره وعن ظهر كثير من الأولاد .

لم يطل الزمان كثيراً بالشيخ أحمد فانتقل الى رحمه الله واحضرت القرية خطيباً آخراً وسكن في بيت عائد لنا يقال له دار الشامي وبعد فتره تحول إلى دار أخرى لنا اسمها دار أبو عيسى . وهذا الشيخ اسمه الشيخ محمد العيسى الهياجنه من دير السعنه. وكذلك حصل تطور بوسائل الكتابة فصار لنا سفينه (دفتر) وأقلام رصاص والميسور له قلم كوبيا (قلم يكتب بلون بنفسجي غامق) وهكذا بدأنا نتقدم في الحساب واللغة العربية (والقرآن الكريم). طرفه حصلت معي أنني كنت أنا وخليفه في سورة التكاثر . وقد حفظت هذه السوره وواجب الخطيب أن ينقلني إلى السورة التي بعدها فرفض الخطيب نقلي إلى السورة التي بعدها . بحجة أن خليفة لا يحفظ سورة التكاثر فرجعت إلى والدتي باكياً مشتكياً الخطيب ، وفعلاً جاءت معي والدتي إلى الخطيب وعنفته وطلبت منه ترفيعي إلى السورة التي بعدها .

عند الخطيب تعرفت على الأولاد الذين هم من أجيالي وأكبر مني وبدأت مداركي تتفتح وتتسع وأن العالم أكبر وأوسع مما كنت أعتقد وبذلك بدأت أعرف أخواني . وصلتي بهم تترسخ وتزداد وكذلك أهل القرية ورجالها ونساءها وأطفالها يعني أصبحت أعرف ما يدور حولي وأفهم ولكن الشيء الذي كان يشكل علي فهمه هذا الهترل "هتلر" ولماذا الناس معجبه به وينسبون إليه البطولات والأنجازات .

حتى أنني يوماً اصطحت عصفوراً دورياً بطريقة ذكية فقال لي أخي محمد أنت مثل هترل أقصد هنا الحرب العالمية الثانية وهتلر المستشار الألماني.

- الذهاب إلى المدرسة في دير أبي سعيد ، العام الدراسي 1941-1942 :

الواقع كان يجب أن اذهب إلى المدرسة سنة1940-1941 ولكن كما ترى تأخرت سنه دراسية وهذه كان لها تأثير عليّ في قادم الايام التي لم أكن أعيرها أدنى اهتمام واعتبار إذ أن أقراني تخرجوا من الثانوية العامة قبلي بسنتين . وكذلك في قادم الأيام في دراسة الطب والتخرج من الجامعة .

اذكر أنه في تلك السنه الدراسية 1941-1942 قد نزلنا من تبنه أنا وأخي خليفه لنسجل في المدرسة وقد أخذنا إلى المدرسة أخونا الأكبر صالح .

كان خليفة جسمه مملوءاً اكثر مني ويبدو عليه أنه أكبر مني حيث كنت نحيفاً رقيق العظم ولكن بصحة جيدة ولا أشكو من شيء. لذا قال مدير المدرسة والذي لا أذكره الآن حيث عاصرت في مدرسة دير أبي سعيد"وكانت للصف الخامس" ثلاثة مدراء الأستاذ محمد مطربني هاني والأستاذ عبد الله العناسوه من السلط والأستاذ محمد رجا مسعود من السلطّ .على كل المدير في تلك الفترة وافق على ان يدخل علي خليفة الصف الثاني وأنا في الصف الأول ولكن الأخ صالح رفض قائلاً الاثنان معاً إما بالصف الثاني أو بالصف الأول وهكذا كان دخلنا الإثنان الصف الأول لست بحاجه لأن أقول أن مواد الصف الأول كانت بالنسبة لي سهله جداًولذلك لم يكن صعباً أن أحصل على الدرجة الأولى وخليفة على الدرجة الثانية.

في تلك الإثناء كان أخي تركي قد رحل من تبنه إلى دير أبي سعيد وسكن في دار الكتابية شمال دير أبي سعيد . وكذلك كان هناك أخواي صادق بالصف الخامس وحصل على الدرجة الأولى كي يتمكن من الالتحاق في مدرسة اربد إذ كانت المدرسة تقبل فقط من مدارس النواحي كدير أبي سعيد الطالبين الأوليين في الصف الخامس . أما أخي الثاني شريف فقد كان بالصف الرابع . أما شريف لا يرغب في الدراسة ولذا كان كثيراً ما يهرب منها وكان قد تولع بالدخان وقد اتعب أخي تركي كثيراً

وكان كثيرا ما يهرب لعند أخواله في جحفيه .

سارت أموري الدراسية في الصفوف الابتدائية من الصف الأول الى الثالث ابتدائي بشكل ممتاز وكنت الأول على الصف. ثم رفعت الى الصف الرابع ابتدائي ولسوء الحظ انقضى الشهران الأولان في المدرسة بدون معلم رياضيات (الحساب) وسوف يكون لهذا الأمر انعكاساً خطيراً علي في المستقبل.

كنت أمضي أيام الدراسة من يوم السبت إلى يوم الخميس في بيت أخي تركي وكذلك أخواي صادق وشريف وكنت ظهر يوم الخميس أعود الى تبنه مع ابناء قرية تبنه وكذلك كان أخي خليفة. وكانت المسافة" تستغرق نصف الساعة أو أكثر اذ كنا نمشي رجليه وكانت المسافة تقدر بثمانية كليو مترات حيث أن والدتي رفضت أن تترك منزلها في تبنه وترحل الى ديرابي سعيد اذ كانت لا تجد راحتها الا في بيتها الذي عاشت عمرها فيه وحولها بعض مسني قريتها من تبنه وامامها كما يقال قهوتها ودلالها. كانت في بعض الأوقات تنزل إلى ديرابي سعيد ثم تعود إلى تبنه بين حيانها واصدقائها وإشرافها على حلالها من أغنام وأبقار وكان هناك من يخدمها.

كما سبق كنت أترقب يوم الخميس بفارغ الصبر حتى أرجع إلى تبنه وأمضي فيها ليلتيّ الجمعة والسبت سواء صيفاً أو شتاءً وكنت أتمنى الا يأتي يوم السبت أبداً.

في تبنه كنت أمضي أحلى ليالي العمر وأجملها ألهو وألعب ما شاء لي اللهو واللعب مع أقراني ولداتي في حارات تبنه الحبيبة وازقتها وبيادرها وكانت كل حارة وكل مرتع من مراتعها له ذكريات حلوه وجميلة.

كانت الحرب العالمية الثانية مستعره ومشتعله ولكن لم نكن نشعر بها أو نحس بلهيبها فكل شيء في القرية متوفر ولا تحتاج إلى شيء فالمؤن من قمح وحبوب مخزنه طيلة السنة والزيت والسمن وافر والذبائح ميسرة ورخيصة وخصوصاً نحن اذ كان لدينا حلال من ماعز وأبقار نذبح من الماعز وجديانها كلما قرمنا وأحتجنا الى اللحم أو كلما حل بالمضافة ضيف الذبيحة. وأن انسى لا أنسى في تلك الأيام الوادعة أكوام البرتقال اليافاوي في سوق ديرابي سعيد وقد عبقت ريحها العطره

في المكان (لا يوجد لها مثيل هذه الأيام). وكنت أشتري السلة الكبيرة ببضعة قروش. ولا أريد أن أبالغ وأقول قرشا واحداً.

كان معلم اللغة العربية فتىً اسمه قاسم الغَزَّاوي وكان شاباً شديداً مفتول العضلات قوي البنية وكان يخيف بمجرد نظرة عابسة منه. أما المدير محمد العناسوة فحدث عن بطشة وشدتة ولا حرج فقد كان جاداً وحازماً ومخيفاً ذو مظهر عابس طيلة الوقت حتى كأن الابتسامة تخافة فتفر عن مبسمه خشية أن ترف على شفتية وكان المظهر العابس والمخوف من مستلزمات ذلك الزمان لا كزماننا الحاضر الذي أصبح الاعتداء على المعلم" الذي كاد أن يكون رسولاً" هيناً بسيطاً لا يكلف الطالب المعتدي شيئاً.

على الرغم من أنني كنت طالباً مجتهداً بطبعي وجبلتي الا انني كنت ملتزماً بذلك خشية الفلقه من قاسم الغزاوي أو الضرب بحرف المسطرة الحاد على أصابع الكفين المقلوبتين. على الرغم من ذلك كان الذهاب الى المدرسة مشكلة ومعضله ومخوفة تبعث الرعب والخوف في نفوس الطلبة مجتهدهم وكسولهم وكم من مرة في أيام الشتاء القارس والبرد الذي يجمد الأصابع حيث لا تدفئة في المدارس ولا ملابس تقي برد الشتاء عند غالبية الطلبة. نعم أقول كم تمنينا أن يهدمها الرعد والمطر الشديد أو على الاقل تدلف وتتعطل الدراسة فيها.

أذكر أن أخي تركي قد أشتغل وعين في دائرة أسمها البنك الزراعي (مؤسسة الأقراض الزراعي حالياً) في سنة 1940-1941 م ولم أكن أتصور أو أستوعب معنى كلمة بنك وقد ربطتها بكلمة ملك وقد حاول أخي شريف عبثا أن يشرح لي مفهوم هذه الكلمة ولكنه فشل.

كانت وظيفة جابي البنك الزراعي تحصيل القروض الممنوحة للمزارعين عند تاريخ استحقاقها وهكذا أصبحت الأموال المحصلة بين يدي أخي تركي وكان تركي لا يزال صغيراً في السن عشرون سنة أو أكثر قليلاً والأموال تجري بين يديه وهو كريم بطبعة ولا يحسب لها حساباً وهكذا في أحدى المرات أكتشف أن قد صرف من الأموال المحصله مبلغاً أكبر من راتبه الذي يستلمه من البنك. وحان موعد السداد. وهذه الأموال يجب أن لا تنقص فلساً واحداً كان أخي صالح الكليب أيضاً جابيا ولكن في

وزارة المالية والأموال التي يجبيها صالح هي الأموال المستحقه على الأغنام والماعز اذ كانت هذه تدفع للدولة.

هنا قام صالح بتسديد الأموال الناقصه في دفاتر تركي الان وبعدها يدبر تركي وإخوانه اشقائه عليهم تدبير المبلغ الذي قام صالح بدفعه اذ هو أيضاً عليه أن يسدد هذه الأموال الى المالية.

اذ أصبح على تركي وشقيقيه شفيق وصادق تدبير المبلغ الذي دفعه صالح ولم يكن بين أيديهم الا أن يبعيوا ارضاً أية أرض.

كان لنا نحن الأخوان الخمسة أبناء الحاج كليب من زوجته شاهة الطلافحة كان عليهم أن يبيعوا أرض الفروخيه وهذه الارض تقع على طريق تبنه أرحاباً وكانت هذه الأرض جميلة بموقعها، ومساحتها حوالي 50 دونماً.

وهكذا تقرر بيعها لتسديد المبلغ المطلوب وكنت صغيراً ولا أفهم معنى البيع أو الشراء وهكذا سمعتهم يقولون بعنا أرض الفروخيه إلى علي اليوسف بني ياسين من أهالي تبنه. وفي قادم الأيام عندما صح مني الفهم والإدراك عرفت معنى البيع ولماذا بيعت أرض الفروخيه وأن ثمنها ذهب لأخي تركي لتسديد الأموال التي نقصت عليه ودفعت إلى الأخ صالح الكليب لتسديد أمواله في موعدها.

كواحد من أبناء الحاج كليب أبناء الحاجة شاهه لي في هذه الأرض كأي واحد من أخواني ولكن لم أعرف كيف بيعت هذه الأرض وكذلك كيف ذهبت حصتي وكيف سجلت في دائرة التسجيل حيث انني كنت قاصراً ولا يجوز علي البيع.

يُلاحظ أن أبناء الزعامات والعشائر في شرق الأردن كانوا يشغلون الوظائف والاعمال البسيطة وليست بذات قيمة وذلك لأنهم كانوا انصاف متعلمين ولا يحملون شهادات عالية أو على الأقل المترك (شهادة الدراسة الثانوية) ولذا يكتفون بهذا الاعمال البسيطة التي تدر عليهم دخلاً مقبولاً في ذلك الزمان واحسن من القعود والبطاله أما وظائف الدولة الاخرى فكانت من نصيب ابناء الدول المجاورة وخصوصا ان الامارة في أول قيامها كانت تؤمن بأنها وريثه الثورة العربية الكبرى وأنها لأبناء العرب أجمعين وليس الاردنيون فقط وأن كانت هذه الظاهره وهذا المفهوم لم

يندرج ولم يؤخذ به في بقية الأقطار العربية والمتتبع لتاريخ هذه الاسماء التي تبوأت في الأردن أعلى المناصب كانت عند تقاعدها أو خروجها من الخدمه تعود الى بلدانها الاصلية وهكذا كان الاردنيون يطالبون مرة بحقهم بتولي هذه المناصب ويسكتون مرات عديده ثقة منهم بان الدولة الناشئة سوف لا لاتغمطهم حقوقهم ولكن هذا الحق تأخر كثيراً وكثيراً جداً.

- التصرف بإرث الحاج كليب الشريدة :

كنت قد ذكرت في بدء حديثي في هذه الذكريات: أن أخي صالح الكليب قد بذل جهداً كبير ورجاء حاراً مع والده المسجى عندما أفاق افاقة الموت هنيهات قليلة من غيبوبته في مرضه الذي أودى به ليرضى عن ولده الكبير عبد الله، طبعاً لا أعرف شيئاً عن سبب غضب الوالد عليه ولكنه كان في بعض الحالات يتسبب بزعله وغضبه عليه رحمة الله عليه وكان هذا مشهوراً بيننا حتى أن عبد الله كان مرات يصرح لنا بسبب غضب الوالد عليه على كل حال أعلن الوالد رضاه عن عبد الله في تلك الإفاقه القصيرة وقال (الله يرضى عليكو وديروا بالكو على بعضكم البعض).

هنا رد عبد الله على كلام والدي (يابا ترى ورثتك عليَّ مثل حُراَّقة بني خالد) طبعاً أنا كنت لا عرف معنى هذا القول وانما أسجله كما سمعته ولكن كأنه يقول إن أرثك علي حرام. طبعاً لأن عبد الله كان قد أصبح شيئاً مذكوراً في حياة والده وعنده من الاراضي والعقارما قد يفوق مالدى والده.

ولكن دعنا الان نرى كيف تصرف عبد الله بهذه التركة وكيف قسَّمها بين أخوانه كنت قد ذكرت في بدء حديثي في هذه الذكريات أن أخي صالح قد بذل جهداً ورجاء حاراًَ ملحفاً على والده عندما أفاق لهنيهات قليلة من غيبوبته في مرض موته ليرضى عن ولده عبد الله. طبعاً لا نعرف شيئاً عن سبب غضب الوالد عليه ولكنه كان في بعض الحالات يتسبب في غضب والده عليه ومع الرجاء الشديد من صالح قال الوالد قولته المشهورة (روحوا الله يرضى عليكو ووصاتكم بعضكم البعض) هنا قال

عبد الله في ذلك المشهد المهيب أمام جلال الموت وحشرجات الروح يا والدي أعلم أن ورثتك علي كحراقة بني خالد. لا أعرف هذا القول وماذا يعني وخصوصاً في هاتيك الأيام ولكن الكبار فهموا أنه كان يريد أن يقول أن أرثك علي حرام.

والان دعنا نرى كيف قسَّم عبد الله تركة والدة وهل وفىَّ عبد الله بقوله وهل أخذ بنصيحة الوالد بان يُدير باله من أخوانه الصغار القُصَّر والأيتام وكيف تعامل الأب عبد الله وليس الأخ مع أخوانه أبناء أبيه على رأي الوالده رحمها الله التى كانت تقول عبد الله أبٌ وليس أخٌ.

لنرى الآن كيف قسم عبد الله التركه :

1. عبد الله وأخوانه وأخواته: لهم تسع حصص من التركة وهم فلاح- عبد الله- صالح- نوره- فاطمة- فهيده- فضية حيث أفترض عبد الله أن أخواته من أمه سيتنازلن عن حصصهن لاخوانهن الاشقاء وكذلك كانت كاتبه المتوفاة في طفس في سوريا سنة الهجه.

أما الحصتان الأخريتان لوفاء التسع حصص فهما :

1. كاتبه الكليب المتوفاة في طفس أعطى حصتها لابنتها ريا كايد أبو شقير (والمعروف شرعاً أن البنت لا تحجب أعمامها أو أخوانها عن حصصهم في أرث اختهم).

2. محمود الظاهر الكليب كان والده ظاهر متوفياً في حياة جدة كليب فاعطاه حصة كاملة من التركه باسم الوصية الواجبة.

محمود هذا تزوج ريا الكايد أبو شقير في حياة جده. وعندما توفاه الله عن ابنتين ثنتين توفيتا بعد والدهما مباشرة. فألحق حصة محمود الظاهرة لريا ودون وجه حق ايضاً اذا أن ابنتي محمود الظاهر لا تحجبان أعمام محمود الظاهر عن حقهم في ارثه هكذا كما ترون أصبح لريا أبنة كايد أبو شقير حصتان من تركة كليب الشريدة.

وهاتانا الحصتان هما تمام التسع حصص التي خصصهما عبد الله لثلثه مع اخوانه الأشقاء.

ثم قام بعد ذلك فزوج ريا لابنه الأكبر ماجد وهكذا نرى أن عبد الله قد استحوذ على أربعة حصص كاملة: حصته – حصة فضية الكليب- حصتان لريا كذلك قام أخوانه اشقائه بالاستيلاء على بعض ارث أخواتهم

الشقيقات: وهن.

1. نورة الحقها بفلاح.

2. فاطمة الحقها به شخصياً.

3. فهيده ألحقها بصالح الكليب.

وهكذا استولوا على إرثهن في الأراضي الجيدة مثل مرحبا وإرخيم وتبنه.

ريا الان أصبحت مطمعاً للأخوة الثلاث الكبار كل يريد أن يزوجها لابنه فلم يقبل توفيق الفلاح ولا مشهور الصالح. وزوجها عبد الله لابنه ماجد كنت صغيراً و كنت استغرب لماذا سوق ريا في الزواج رائجة والكل من الأخوة الثلاث يود تزويجها لابنه وهي المرأة الارملة الغير مرغوب عادة بزواج الارامل وتفضيل البنت البكر وهكذا أصبح لعبد الله واخوانه واخواته تسع حصص وله منها اربعة حصص غير ما استولى عليه من حصة اخته فاطمة.

2. محمد الكليب واخوانه خليفه ويوسف وكامله سبعة حصص إذ أن والدتهم لها ثلاث حصص وهم أربعة حصص.

3. أما تركي وأخوانه شفيق، صادق، شريف، عبد العزيز ووالدتهم الحاجة شاهه يوسف شتوي الطلافحه. فلهم ثمان حصص (ثلاث حصص للوالده).

وهكذا كانت القسمة.

لأن الأخ الكبير عبد الله لديه قناعه بان الاخوات الشقيقات لا يتنازلن عن حصصهن لاخوانهن غير الاشقاء ولذا نراه قد استولى هو وأخوانه على معظم حصص شقيقاته الاحياء ولذا كان من الممكن بل والاكيد أن يدخلوا من يشاؤا على دائرة التسجيل من النساء ليسجلن حصص اخواته على أسمائهم، أن كليب الشريدة توفاه الله وترك تركته لم يسجل على احد ولم يستثن احد أما الاعتراض على أجراءات عبد الله فهي غير مسموعة ولا جريئة ولا يرغبون بنشرها في العلن خشية على سمعة الأخ الكبير اذ أن بعض الناس كان يعتبره من الصحابة وقد سمعت أحدهم يقول (عبد الله هذا صحابي) وقد أكدت لي والدتي واختي كاملة الكليب مقولة عبد الله لوالده وهو يحرم على نفسه ورثته وتركته ولكنه في واقع الامر لاحق

وتابع أية ورثة مهما كانت قليلة وغير ذات فيمه ويياليته اكتفي بذلك بل تجده التفت على ما كان باسم اخوانه .كالبستان على وادي زقلاب وهذا له أخرى قصة.

- قصة بستان وادي زقلاب :

كان لوالدي ونحن من بعده بستان رمان لا أعرف مساحته على وجه التحديد على سيل وادي زقلاب الدائم الجريان وكان فيه أيضاً طاحونه للقمح تدار بواسطة الماء ويطحن الناس قمحهم عليها وكان الناس يفضلون طحنها على طحين وأبور الطحين.

في يوم من الأيام عاد الأخ عبد الله من عمان فذهب إخوانه يزورونه ويسلمون عليه وجدوا الباشا غضبان غضباً ما عليه من مزيد فانشغل الاخوة واخذتهم الهواجس والأفكار ليعرفوا سبب غضب الباشا ليخففوا عنه ولا مانع من أن يروا له بعض الطرائف والمُلح ولكن غضب الباشا لم يهدأ. وهنا شعروا أن غضب الباشا لا بد من أن يكون من إمر خطير اذن لتحترق الدنيا ولا زعل الباشا وتحاوطوه كالنمور الجائعة والطيور الجارحة وعليه فقط أن يعلمهم الخبر ويطلعهم على جلية الأمر عن هذا الذي سبب لاخيهم الكبير كل هذا الحنق وكل هذا الضيق وانهم على استعداد ليفدونه بارواحهم وأبنائهم وكله يهون ولا يغضب الباشا هنيهة من نهار أو ساعة من ليل أخيراً قال وبعد أن تجرأ احدهم وسأله عن سبب غضب الباشا فقال: كنت في مجلس النواب أو الأعيان لا أعرف تماماً ودار الحديث عن الاراضي المروية بالمياه. وأن عبد الله باشا كان له رأيا مخالفا لرأي بعض الجلساء في تلك الجلسة قال قائل منهم "اللي ما لهوش أرض سقي ما بطلعله يحكي" هنا رد عبد الله قائلاً غاضباً وموجه كلامة لذلك المعترض أنت غلطان أنا لي أرض مروية ولي الحق في الكلام والحكي. عند سماع أخوانه كلام إخيهم الكبير أشتعلت النفوس حمية وهاجت الخواطر وقالوا يا باشا فداك كل الأرض ولا يتخبث خاطرك لحظة.

ماذا تريدنا أن تعمل نحن رهن أشارتك.

قال: تعطوني البستان. قالوا له أجاك البستان وهنا أبت المروءة القعساء على الباشا إلا أن يعوضهم بدل البستان ولهذا قصة أخرى

والبستان هو بستان رمان وادي زقلاب وطاحونته المائية.

كما سردت أنفاً دبت الحمية في نفوس الاخوة الكبار وهم قلة أما نحن الصغار والذين لا نزال دون ألحلم ليس لنا أي شأن أو عتبار ونحن جل ابناء المرحوم كليب تنازلوا عن البستان لاخيهم الباشا عبد الله اليس هو أبٌ وليس أخ.

هنا قال لهم عبد الله سوف اعوضكم عن البستان:

فقال: سوف: اعطي صالح الكليب نصف حصة من حصصه من ارث والده الحاج كليب؟

ويعطي فلاح الكليب نصف خصه أيضاً أما نحن أبناء الحجة شاهة فسوف يعطينا نصف حصة يـاالله ما أعدلك أيها الخ الكبير وكذلك أعطى الحجة حمده وابنائها الأربعة تصف حصة وللقارئ الكريم أن يتدبر هذه القسمة.

الحاجة شاهه وأبنائها الخمسة الذين لهم من تركة والدهم ثمانية حصص. يعطيهم أخوهم الكبير العادل نصف حصة.

وكذلك الحاجة حمده وأبناءها الأربعة يعطيهم نصف حصة. أما صالح ذو الحصة الواحدة من التركة يعطيه نصف حصه وكذلك فلاح ذو الحصة الواحدة من التركة يعطيه نصف حصة اخرى.

يحيا العدل وتحي هذه القسمة الضيزى.

ثم ان هذه الحصص التي اعطاها لاخوانه وفي بمجموعها حصتين كانت وهمية وليست واقعية اذ أنه لم يعط شيئاً من حر ماله بمساحة معروفة وأبعاداً ثابته ولكن هكذا من تركة الحاج كليب حيث كانوا يقسمون التركة ثلاثة مقاسم هكذا إمهاياه اذ لنا نحن ثلث تركي وإخوانه ولمحمد وأخوانه ثلث ولعبد الله وأخوانه ثلث.

وتضاف نصف الحصة هكذا على الثلث لا معروف لها مساحة ولا معروف لها حدود. اذ لم يعط من ما له الخاص وأراضية الكثيرة المسجلة على اسمه أصلاً أي شيء ولو شبراً واحداً من الارض.

وللقارئ الكريم أن يتسآل من اين جاء الأخ عبد الله بكل هذه الحصص اذ له من تركة والده حصة واحده فمن أين جاء عبد الله بحصتين ليكسرهما ويقسهما بين اخوانه ومع هذا بقي له من ارث كليب

الشريدة أكثر من حصة.

انها لعبة القوي على الضعيف واستغلال الاخوان القُّصر الايتام. ثم هذا البستان الذي استولى عليه من اخوانه القّصر قام بتسجيله باسم ابنه عبد المجيد وجزء يسير منه سجله باسم ابنه زكي.

- رحيل تركي الى دير أبي سعيد :

بعد أن استقال تركي من وظيفة البنك الزراعي رحل الى دير أبي سعيد حيث سبقه إلى هناك عبد الله أما صالح فقد سبق الجميع بالرحيل إلى دير ابي سعيد بمدة طويلة. سكن تركي في أول الأمر بدار الكتابيه أمرأة من تبنه ومتزوجه في ديرابي سعيد وكانت هذه الدار تقع في الطرف الشمالي من ديرابي سعيد تقريباً أخر دار في ذلك الزمان وبعد سنوات رحل من هذه الدار وسكن في دار نجيب العبد القادر الشريده بقرب دار محمد سعيد العبد القادر الشريدة. في ديراي سعيد ،رشح عبد الله وصالح تركي الكليب ليكون مختاراً في ديراي سعيد كنت صغيراً حينها في الصف الثاني ابتدائي وبذل تركي وأخوانه وبعض أقاربه جهداً كبيرا وأخذت كثيراً من الكولسات والاجتماعات الليليه حتى حصلوا على التواقيع اللازمة ليخرج منشور المختره من قبل مدير الناحيه وهكذا أصبح تركي مختاراً على ديرابي سعيد أحد مخاتير ديرابي سعيد. المختره في ذلك الزمان تحتاج الى مصاريف وأن يفتح مضافته للناس سواء الرسميون والناس العاديين وهكذا أصبح تركي بحاجة الى نقود وفلوس كثيره وهكذا بدأت الوالدة ببيع الليرات الذهبية التى على عرجتها ولما نفدت التفت لأن يبيع بعض الارض ولكن أين هي تلك الأرض القابلة للبيع فلم يجد بداً من بيع حصة والدته في أرض مرحبا والتي تقارب الستين دونماً وكنت أسمع أن هذه الأرض قد بيعت لشخص ينادونه العبد إسعيفان وعلى الرغم من بيع قطعة أرض هنا وأخرى أصغر أو أكبر هناك بقي الوضع المادي لتركي سيئاً على الرغم من أن الواله كانت تمده بالحاجات الاوليه من تبنه من قمح وزيت وجميد ولبن وسمنة حتى الزعتر والزيت حيث بقيت الوالدة وشفيق وصادق يسكنون تبنه ويتابعون أمور الزراعة والحلال وغيرها من اشغال الريف والقرى طبعاً كان لديهم حراثين وقطاريز ورعيان.

وكانت الوالدة تهيء لهذا الحشد من الناس العشاء وهو في الغالب عشاء ساخن وهو في العادة ابساره أو إمليحي (عباره عن جريش القمح مع دبس البندورة والجميد والسمنة البلدي) وفي بعض الاحيان منسفاً بكل توابعة من لحم وتشريب وسميد أو الأرز.

بقي محمد ووالدته وأخوانه في تبنه وكذلك كانوا يقومون على ادارة ثلثهم ولديهم قطاريزهم وحراثيهم ولا نشعرانهم بحاجة وأن كل شيء بالنسبة لهم متوفر ولم يبع محمد أية أرض من تركته وأخوانه أما تركي كان دائماً يشكو من ضيق ذات اليد وعدم الاكتفاء مهما كانت المداخيل والسبب هل هو القلة فعلاً أم عدم التدبير والصرف الذي يفوق الموارد. مع أني أذكر أنه في سنين الخير كان يدخل علينا غلة وافرة من المحاصيل من مختلف انواع الحبوب وكذلك الزيتون وزيت الزيتون والحلال ومع ذلك لجأنا الى بيع كثير من الارض التي الأن لا تقدر بثمن.

مع هذا كله وبسبب هذا كله أصبح لا مناص من البحث عن وظيفة حكومية لتركي ذات الدخل الثابت وعدم خضوعها لتقلبات المناخ وسنين الخير وسنين المحل وأخيراً سمعتهم يقولون أن تركي أصبح جابياً ورأيت الفرحة في عيون تركي وزوجه والناس من حوله.

أصبح تركي الان موظفاً جابيا للأموال الاميرية (تحصل دار) ومركز عمله في فائمقايه جرش، أصبح من اللازم الذهاب الى جرش مركز شغله وعمله. كان هذا وبالاً علي أنا وأنا الطفل الصغير وفي بداية الصف الرابع الابتدائي لنرى كيف كان ذلك.

- الذهاب الى جرش :

كما قلت عمل أخي الكبير تركي في جرش تحصلدار وهو جباية الاموال المتحققه على أصحاب الاغنام اذ كانت الاغنام والماعز تدفع ضريبة عن كل رأس غنم وتجبي هذه الاموال إلى صندوق المالية وذلك بسبب شح الموارد وحاجة الدولة الى الأموال للأنفاق على شتى متطلبات الحكومة.

اذن أصبح من المحتم الذهاب الى جرش وأنا ليس لي في هذا الذهاب حيلة وليس الخيار لي. حاولت البقاء في ديرابي سعيد والتمسك

باذيال والدتي على الرغم من نظرات الاشفاق والحنان ولكنها كانت لا تبدي أية ممانعة أو أعتراض كالمغلوب على أمره وكذلك أخواني الاخرين كأن رغبة تركي قدراً لافكاك منه كما أنهم يعتقدون أنه الافضل لي وأن كانوا يطيبون خاطري ويمنوني الاماني وانني سوف انبسط في جرش وأين تقع هذه الجرش أسئلة كثيرة ضجت في نفسي وصورتها لي طفولتي بصور غائمه معتمة كئيبه.

الا يكفي أنها ستنتزعني من حضن أمي لأمقتها وأكرهها بكى قلبي قبل أن تبكي عيناى وكلكل الهم والغم الذي ما بعده غم على صدري ونفسي ولكن لا مناص من الذهاب الى هذه الجرش وأنا الذي لم أعرف في حياتي غير تبنه وبلكاد ديرابي سعيد، فتبنه مرتع الصبا والطفولة وتبنه هواي ومتنفسي ولداتها أصحابي وخلاني وحاراتها وازقتها تعرفني واشتاق لها وتشتاق لي فكيف أقتلع من بيئتي ومراتع حياتي الهادئة الوادعه لأزرع في بيئة غريبة علي مجدبه ممحله من معالم معروفة لدي وحبيبه إلى نفسي إلى المجهول غير المعروف وكل مجهول يثير في النفس الخوف والريبة والوجل. في تلك اللحظات حسدت خليفة وتمنيت أن أكون مكانه وتمنيت أن تكون والدتي قوية الشكيمة كما (صورها لي هواي) وتستطيع أن تحمي وليدها وطفلها الذي يوشك أن يلقى في المجهول. السفر أصبح واقعاً لا فكاك منه وعلي أن اذعن لهذا الواقع المر والقاسي. اذ تقرر الرحيل من ديرابي سعيد الى جرش وبدأوا يلمون اغراضهم ويرتبون حاجاتهم ويعدونها للسفر والرحيل وأنا أتمنى أن لا يتم هذا وأن يطول الليل والنهار الباقي لهم في ديرابي سعيد.

وأخيراً تقرر أن يرحلوا أثاثهم ووهدهم على جملين (أظن الجمَّال كان يدعى أبو منديل) وكان أخي صادق مرافقاً للجملين والجمَّال وعلى ظهر فرسه وقد سرى قبلنا بيوم مع الجمَّال.

أحضر أخي تركي سيارة لتقلنا من دير ابي سعيد الى جرش واظن أن هذه المرة الأولى أو الثانية التي أركب فيها السيارة اذ كانت السيارات من الندره والقلة بحيث لا تستعمل الا للمشاوير البعيدة وغير ذلك فالخيل والدواب والجمال كانت الوسيلة الشائعة للنقل.

أرجو من القارئ الكريم أن لا يسقط أدوات ووسائل هذا القرن

الواحد والعشرين على بدايات القرن العشرين وأن يستهجن مني كل هذا الألم والخوف من السفر الى جرش اذ أن كل شيء كان بدائيا هذا إن وُجد فلا طرقات ولا كهرباء ولا راديو ولا تلفونات ولا آية وسيلة من وسائل الرفاهية والمعرفة والتقدم كانت موجودة أو شائعة ولذا كان المسافر من دياره الى ديار أخرى بعيده كجرش تلك الأيام كأن قد انقطع عن عالمه وبيئته السابقة واصج بينه وبينها أماداً بعيده.

أخيراً ركبت السيارة وكلي خوف من أن أراجع أو (أقدف)(استفرغ) لعدم تعودي على رائحتها وحركتها السريعة التي تجعل الطريق كأنها تتحرك بعكس اتجاهها وهذا ما يسبب الدوار ومن بعده القيء (القداف).

ركب أخي تركي بجانب السائق أو الشوفير وزوجه السيدة حليمه ومعها أطفالهما حلمي ابن السنوات الخمس وعفاف ابنة الثلاث السنوات وخولة ابنة سنة واحدة في الكرسي الخلفي بجانبي.

بكيت دماً لا دموعاً والكل يُخذِّل عليَّ وأن لا فائدة من البكاء فالأمر سيان والسفر واقع لا محاله وهكذا بدأت باشغال نفسي بالطريق ومشاهدة القرى التي لم أشاهدها في حياتي وأخيراً وصلنا الى مدينة اربد فتراءت لي هذه المدينة بإنها لا نهائية وكبيره جداً وشوارعها تراءت لي أنها فسيحة جداً قياساً على ما خبرناه وتعودنا عليه في قريتنا وأزقتها وطرقها وحاراتها وكذلك في ديرابي سعيد.

شوارع هذه الاربد واسعة فسيحة ممهدة وتسير فيها السيارات بيسر وسهولة وأخيرا عرفت انها الشوارع المسفلته والمعبدة. ولكن أكثر ما لفتني واسترعى اهتمامي هذه الدكاكين الواسعة الأبواب والمتلاصقة مرصوصة بجانب بعضها بعضاً ولكن بدون أبواب ظاهرة وكنت أتعجب وأتسائل كيف يغلقونها ويسدون ابوابها وأن تركت هكذا مفتوحة الا يخافون من الحرامية ومن سرقتها. نعم أنه تفكير طفل ساذج وبسيط لم يعرف من العالم الا تبنه وديرابي سعيد.

بدأت اربد تبتعد تدريجياً عنا حتى زالت معالمها تماماً عن الرآئي والبصر واسمع السائق يقول لا خي تركي سوف نأتي عن الطريق الشرقية لان الطريق الغربية والمطروقة توحل أيام الشتوية (الشتاء) ولا تستطيع السيارات سلوكها وهذه الطريق كانت تمر على عجلون وعبين

وعبلين وسوف ومن ثم جرش أما الطريق الشرقية فلا تمر على هذه القرى وكان على جانب هذه الطريق شجرة ضخمة معمرة يقال لها شجرة المنوه مع الأسف عندما فُتحت الطريق وتوسعت وعبدت جاءت في وسط الطريق فقطعوها وبالتالي ذهبت ثروة حرجيه وتذكاريه عظيمة الاهمية وكيف لا أعرف كيف جرؤوا على قطعها ومن هو ذلك المسئول الجاهل الذي أمر بقطعها فالطريق يمكن أن تغير اتجاهها قليلاً وتبقى الشجرة كمعلم من المعالم الجميلة. وعرفت أنهم بالدول المتقدمه والتي تحترم تاريخها ومخزونها الثقافي تحترم مثل هذه المعالم وتمنع أي مساس بها فكيف بقطعها كنت في سويسراً في قادم الأيام ورأيت شجرة تشبه شجرة المنوة والطريق تلتف حولها وعندما سألت كيف أنهم لم يقطعوها ليحافظوا على استقامة الطريق قيل لي: لقد جرى استفتاء بين أهالي جنيف هل تؤيدوا أن تقطع الشجرة أو تبقي مكانها الاستفتاء كان لصالح بقاء الشجرة والحفاظ عليها.

سمعت الركب يقول وأخيراً وصلنا الى جرش. فعلا بدأت بعض معالم البنايات تلوح مع الأفق البعيد وبدأت تتوضح أكثر كلما اقتربت السيارة من هدفها وبدأت الحظ علاوة على البنيان والبيوت بعض الخرائب والاشكال التي لم اعرفها أو أرها سابقاً وقالوا هذه بعض أثار جرش. وصلنا أخيراً الى جرش وبدأت السيارة تدخل شوارعها ولاحظت أن شوارع ومباني مدينة اربد أكثر جمالاً وتنسسيقاً. وصولنا الى جرش كان يحمل لي بعض الطمأنينة والهدوء لوجود أخي صادق وقد سبقنا بالوهد والعفش وكان صادق من أحب اخوتي الى نفسي لأنه كان يبذل الي من الرعاية والحنان والاهتمام الشيء الكثير.

وصلنا الى الدار التي سوف نسكنها كانت تقع في شمال مدينة جرش والى الشرق منها وهي مملوكة الى السيدين محمود وصبحي البني وصلنا مع العصر تقريباً وكان التعب قد هدنا واخذ منا كل مأخذ ومع التعب كان الجوع قد استحكم بنا وحال وصولنا الى الدار ونزلنا من السيارة ذهب أخي تركي حالا الى السوق ليحضر لنا بعض الذي نأكله وبعد أن غاب قرابة الساعة عاد ومعه طعاماً يقال له صفيحة وهو عبارة عن عجين وتخبز بالفرن وموضوع عليها لحمة مفرومة طبعاً لا أزال أذكرها لسببين

أولاً لانها كانت غريبة علي ولا اعرفها وثانياً لانها كانت لذيذة وخصوصاً مع الجوع.

لا يزال لا يفارقني الاحساس بالفقد والغربة وان اخي صادق لن يمكث طويلاً وهذا مازاد حزني والمي و سأفقد أخر ما كان يربطني في حياتي السابقة وبيئتي الاليفة الى نفسي وحيداً في ديار غير دياري وربع غير ربعي.

- الذهاب الى المدرسة :

كانت مدرسة جرش ابتدائية كاملة اذ ان مدرسة ديرابي سعيد كانت للصف الخامس فقط وسوف يصطحبني أخي تركي اليها في الصباح الباكر الى ذلك المكان المخوف والمهيوب والغريب علي. نعم كنت طالباً نشيطاً في مدرستي وكنت أول الصف الثالث وبالتالي فالدراسة كانت لا ترهبني وخصوصاً انني مجد وأكره الفشل والسقوط. عليَّ أن أذكر القارئ العزيز أنني قلت سابقاً أن معلم الحساب لم يأت إلى مدرسة ديرابي سعيد على الرغم من انقضاء شهرين على بدء الدراسة في جميع مدارس المملكة وهكذا سوف التحق بالدراسة في مدرسة جرش الابتدائية وقد سبقني الطلاب بشهرين في مادة الحساب ولا أعرف كيف سوف يكون وضعي وتعويضي عن هذين الشهرين وهذه المدة ليست بالقليلة في حساب المنهاج والطلبة وبعد الدوام في المدرسة أكتشفت أن الطلبة قد قطعوا شوطاً بعيداً في مادة الحساب.

كان معلم مادة الحساب مدير المدرسة الاستاذ فضل الدلقموني وكان بعبع الطلاب وكان ذكر اسمه كافياً ليثير الرعب والخوف في نفوس الطلبة فكيف بطالب يجرؤ على سؤاله بله يطلب منه شرح المادة مرة اخرى ولذا لم استطع أن استوعب شيئاً من درس مادة الحساب لان الطلبة قد تقدموا بمادة الحساب وكانت عن الكسور العشرة والعادية وحاولت أن استوعب هذه المادة وفهم الكسور العشرية والعادية وكذلك لم أجد احداً. يمدلي يد المساعدة وهكذا أصبح درس الحساب طلسماً أعياني فهمه على كل حال ذهبت الى المدرسة بصحبة أخي تركي مقدماً رجلاً ومؤخرا اخرى وقابل أخي المدير وكأن المدير لا حت على محياه شبه ابتسامة مقتضبة كأنه

خشي أن تقلل من هيبته اذا بدت واضحة ولم تعن لي شيئاً ولم تبعث في نفسي الطمأنينة وفي القلب ما فيه من الوجيب والخفوق والخوف من المجهول من هذه المدرسة ومن استاذتها وطلابها ولكن المستعينات بالله ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم وما حيلة المضطر الا ركوبها. وهكذا من أول يوم باشرت الدراسة أكتشفت أن مادة الحساب طلسماً وأن الاستاذ يشرح شيئاً ليس مفهوماً أبداً وكذلك الاستاذ المدير معلم الدرس لم يعرني أية التفافة أو اهتمام أو حتى سؤالاً روتينياً كمثل كيف ترى الدرس وكيف هذا وقد يقلل من هيبته وعنفوانه اذا تبسط مع الطلبة وأظهر لهم بعض الحنان والاهتمام. وهكذا لم استطع أن اتابعة أو الجرأة على سؤاله وعندما قرع الجرس غادر الصف مسرعاً متأبطا عصاه عصا المارشاليه التي تنم عن الهيبة والقوة والعلو.

أصابني غم شديد وكدر بالغ وصدر ثقيل كأنه ينوء بكلكل لا سبيل لي عليه ولا طاقة لي على حمله. كيف السبيل لتعويض هذا النقص الذي أصابني بضر بالغ وأنا الطالب المجد والمجتهد بين زملائي وأقراني، فلجأت الى زوجة أخي أم حلمي والتي كانت قد انهت الصف السابع ابتدائي ولكن من سنوات بعيده علني اجد عندها ما يفيدني ويساعدني ولكن لم أجد ضالتي لديها اذ ان مادة الحساب بالذات كانت عقده الطلبة فكيف بالطالبات استمر المنوال على هذا الحال حتى انتهت السنة الدراسية وانا أحمل اكمالاً بالحساب. طبعاً لم يلمني احد لا نهم يعرفون ان الحق ليس على وان السبب يقع على الذي اقتلعني من بيئتي في ديرابي سعيد الى بيئة جديدة علي فالدار ليست داري ولا المدرسة مدرستي حتى الأصحاب ليسوا اصحابي ان لم أقل انهم يكنون العداوة لي أو على الاقل التوجس والريبة من هذه القادم الجديد على بيئتهم ومجتمعهم وهذا هو حال الانسان والحيوان إمام كل دخيل الا ترون ان الحيوانات تدافع عن بيئتها وعن حدود ومنطقة نفوذها وتتوجس من كل طارئ عليها وتحاول طرده ومما زاد الطين بَلَّه ان السيد المدير بدل كلمة الحنان والرعاية على طالب غريب طفل يحتاج الى حنان وتوجيه ان قال لي امام الطلاب أنتم ربع أحيّ وأصبحت هذه الكلمة كثيرة التكرار والترداد عندما يروني حتى أصبحت لي المدرسة ومن فيها جحيم لا يطاق. كما أنني لم أسمع بهذه

الكلمة من قبل وما تعني لي طفح الكيل وبلغ السيل الزبى وفاض كأس العلقم حتى أندلق على جوانب نفسي وملأ أعطا في وكلكل على جوانحي فشكوت الى اخي هذا الذي أجد وهذه الحال التي لا تسر فقابل المدير أساس البلوى وأس الشكوى وأعلمه بالذي احدثه فيَّ تعبيره من اذى في نفس الصغير. غضب المدير وهدد وارعد وازبد ولكن بعد فوات الاوان وكانت الفأس قد وقعت بالرأس وكادت ان تحطمه.

كما قلت لم اسمع في حياتي هذا التعبير من قبل ولكن بعد السؤال علمت ان أهالي قرية بيت الدس في الكورة يقال لهم هذا التعبير وهو يعبر عن شدة البرد في الليالي المطيره التي افتقدناها ولم يبق منها الا بقية مظاهرها.

الان انا في جو غريب وبئيس وانظر في وجوه فلا اعرفها وكل واحد له سحنة مختلفة وليس بينهم صاحب ولا صديق وجلهم ان لم يكن كلهم لا يعرفون عن عائلة الشريدة شيئاً ولا يعرفون تلك المكانه التي نتمتع فيها بين اهلينا ومعارفنا وعشائرنا كذلك انا كنت انظر الى الكل نظرة الريبة والتوجس وكذلك هم كانوا يبادلون ذلك الغريب الجديد نفس الشعور ونفس الريبة، مضت الايام رتيبه مملة بطيئة تكاد تنطرح روحي من جسدي مع كل شهقة أو زفره.

بدأ أخي مهام وظيفته وكانت تفرض عليه السفر الطويل والذهاب الى القرى والبراري ومصايف ومشاتي العربان والمكلفين التابعين لمنطقة عمله التي حُددت له وكانت مناطق شرق جرش وهي في الغالب مناطق عشائر بني حسين وتمتد شرقاً الى المفرق والزرقاء حتى أنني لما أصبحت مديراً لصحة الزرقاء وجدت أن قرى بني حسن وعشائرهم وحتى مشيخاتهم لم تكن غريبه عليَّ بل أعرفها من طول تكرار أخي تركي لها واشهد لما كان مشايخ بنى حسن يعرفون أن تركي أخي كنت ازداد إكراماً ومحبة لديهم مع الذكر الحسن والصيت الطيب.

فجأة وجدتني مسئولاً عن أمور الدار وقضاء حاجاتها وحوائجها وان زوجة أخي سوف تعتمد عليَّ اعتماداً كلياً في زمن لا خدم فيه ولا عمال ولا يوجد احد يقدم مثل هذه الخدمات المتكرره والمتجدده وكانت من أول المهام المطلوبه مني ارسال طبق أو صينية العجين الى الفرن من

أجل خبيزها اذ ذلك الزمان كانت العائلات تعجن في منازلها وترسل عجينها الى المخابز وعليك ان تسري سروة مع الفجر أو بعد اذان الصبح حتى تحجز لك دوراً في الفران وثم تعود الى المنزل فتفطر ما تيسر ثم تذهب الى المدرسة.

في هاتيك الأيام لم تكن المياه قد جُرت بانابيب وصنابير (حنفيات) الى الدور وكان السقا على حماره ومشتيله يوزع على الدور الماء مقدار صفيحة أو أكثر من الماء وغالباً ما تحتاج ربة البيت الى ماء اكثر وكان علي أيضاً أن احضر الماء من عين القيراون في شمال جرش وكانت تبعد عن دار أخي قرابة كليو – الى كليو ونصف (1500م) وكان علي أن أربط تنكتين بطرفي عصاه طويلة وان احمل هذا الحمل من العين الى الدار وعلى الرغم من هذا لم أكن أتضجر بل اجدها وسيلة للتسلية وإشغال الوقت في خارج وقت المدرسة والدراسة.

علاوة على قضاء حاجات البيت المتجددة والمستمره من السوق في جميع ما تحتاجه ربة البيت كان القيام بهذه الواجبات التى لا مناص من القيام بها وكذلك كمراسل وطارش لنقل الاخبار او المعلومات التي ترغب سيدة البيت الى نقلها الى صديقاتها وجيرانها اذ لا تليفون في ذلك الزمان الذي تقضي عليه الان ربة المنزل كثيراً من وقتها وطلب حاجتها من السوق او من خلافه.

كذلك كان هناك عادة (لربما لعدم وجود وسائل التسليه من تلفزيون او تلفيون او سينما أو غيرها المتوفرة لابناء هذا الزمان) وهو يوم الاستقبال تفتح فيه ربة البيت لصديقاتها وجاراتها وصويحباتها يوماً في الاسبوع بعد العصر يحضرن الى بيتها زرافات ووحدانا من بعد ظهر ذلك اليوم المخصص لها وقد تمتد مدة الاستقبال لقبيل صلاة العشاء وتقدم خلال هذه الزيارات علاوة على القهوة والشاي ما تستطيع تقديمة لهن من فواكه وحلويات. وكذلك كانت ربة البيت ترد الزيارة الى الصديقات يوم استقبالهن.

واثناء قيام زوجة أخي برد الزيارات اثناء الاسبوع كان علي واجب أن أدير بالي على الصغار وارعى شئونهم أثناء غياب أمهم اذ كما قلت كانوا صغاراً لا يعتمد عليهم وهذه كانت مهمة صعبة عليَّ لسببين اولا

رعاية الصغار مهمه شاقه وصعبه وكذلك ثانيا تحرمني من حريتي ووقتي الذي قد أمضيه أيضاً مع الرفاق على قلتهم الهو والعب كغيري من الأطفال في مثل عمري. كان هذا برنامج يومي بعد انتهاء الدوام من المدرسة أما في الليل كان على الاستعداد للدراسة والتحضير لواجبات المدرسة.

كذلك عند عودة أخي من سفره ومشواره الطويل الذي يمضيه وفي تحصيل الاموال الاميريه كان يقوم مع زوجته بواجب الزياره والسهر عند بعض الاصدقاء وانا علي ان اراعي الصغار والسهر عليهم وونساً لهم في الليالي التي لا كهرباء ولا أية وسيلة أخرى متوفرة. تطرد وحشة الليل البهيم وظلال الخوف والعتمة في ذلك الزمان التي كان الحديث فيها عن الجن والساكون والغول تأخذ بعض أحاديث أهالي القرى والدواوين.

ولا ادعي انني لم أكن أعاني من الخوف في تلك الليالي التي ابقى فيها لوحدي وتطاردني الاشباح والصور المرعبه لما ترسب في ذاكرتي وخيالي وفد أكون قد ترسب في ذاكرتي بعض التوهم من انني قد عانيت من وجود مثل هذه الحكايات التي كانت تزخر فيها مضافات زمان في ذلك الزمان الجواني الموغل في الذاكرة وفي النفس. نعم أنه زمان جواني وبعيد بعيد اذا قارناه بهذه النقله العلمية والاكتشافات المذهله التي سادت هذا الزمان الان والتي جعلت من الحلم حقيقة أو فرط الخيال لعقل جامح حقيقة علمية مسلم بها.

كان أخي تركي يغيب في رحلته الواحده قرابة الشهر ليعود أخره محملاً بالنقود التي حصلها من المكلفين من أصحاب المواشي وكان يجلس ليلة يحضرو يحصي ويعد النقود ويطابقها مع أوراقه ودفاتره (طبقا كان قد أخذ درساً من تجربته في البنك الزراعي) ثم يقوم في صبيحة اليوم التالي بتسليمها الى مدير ماليه جرش. وكان يعطيني من هذا المال اثناء مطابقته وعده خمسة قروش (وهي على كل حال تعتبر كبيرة في ذلك الزمان).

كان أخي حال وصوله من رحلته الطويلة تلك يخلع ملابسه جميعاً ويغتسل ويلبس ملابساً نظيفة وتلك القذره التي خلعها والتي كانت لا تخلو من بعض الحشرات المعروفة في ذلك الزمان والتي يعود يحملها بين ثنايا ملابسه ترسل هذه الملابس الى الغلي والغسيل. الأن عاد أخي من رحلته

ولديه فرسه التي يجب العناية بها أيضاً من تقديم العلف والشعير وتوريدها على العين وإرسالها إلى الخان لتبيت هناك طيلة مده أقامته التي تمتد الى اربعة أو خمسة أيام. أن هذا الواجب ليس ثقيلاً علي اذ كنت أقوم به بفرح وسرور مثل ركوب الفرس والطراد عليها وأيام الربيع أركبها مع زملاء أخرين لديهم خيول ابائهم ونذهب الى البركتين ليأكلا الربيع. البركتين موقع شمال جرش فيه عيون ماء غزيرة وكان أيام الشتاء والربيع تفيض وتكون سيلاً جارياً يمر من جرش.

كذلك كان أكثر ما يؤرقني ويخيفني أن ابيت لوحدي عندما يحضر من سفره حيث يوضع لي فراشي في الغرفة المجاورة الاخرى وخصوصاً في السنة الأولى من هذه المعاناة المستمرة المرهقه وكل ذلك بسبب اقتلاعي من دياري وقربي من والدتي. وكنت اسمع ان ذهابي مع أخي تركي أفادني في دراستي ودروسي وانا اعلنها صريحة واضحة انني كنت ولداً نشيطاً ومجداً في دروسي والكل يشهد بذلك ثم من اين لاخي ان يهتم بدروسي وهو دائم الغياب المستمر في السفر بسبب أعباء وظيفته بل بالعكس لما بلغ ولده حلمي سن الدخول في المدرسة والتحق بها كان يطلب مني أن أراعيه في دروسه وتدريسه.

قلت عند انتهاء السنة الدراسية حملت اكمالاً في الحساب وهذا بسبب انتقالي الى جرش ولو بقيت في مدرستي مع زملائي لا عتراني ما يعتيرهم من قصور وغياب مدرس الحساب والا كيف اكمل وانا أظن نفسي كنت من الأوائل، الاول في الصف الثالث.

اكملت بمادة الحساب ولم يعاتبني احد او يلقي اللوم علي أحد كذلك لم يهتم احد بتدريسي مادة الحساب حتى استطيع امتحن به في أيام امتحان الاكمالات في المدرسة. في ذلك الوقت من 1945صادف زواج مشهور بن صالح الكليب على ابنة عمة نعيمة عبد الله الكليب وهكذا لم أذهب الى جرش ولم أقدم الامتحان واصبح من المؤكد أن أعيد الصف الرابع الابتدائي وهكذا ذهبت علي سنة سدى من سنوات حياتي الدراسية.

في شهر أيلول من عام 1945 قرر صالح الكليب أن يزوج أبنه مشهور وبهذه المناسبة أقام له الافراح والليالي الملاح لمده شهر كامل وكان عرساً مشهوداً لولده البكر وكان الناس يجتمعون وبعد المساء أمام

بيته وداره الحالية وكان أمامها مساحة واسعة يمضون الليالي بالدبكة والحدادي والهجيني والدحّيه يشربون الشاي وتدار عليهم فناجين القهوة الساده والكل في فرح ومرح وهرج واستمر الحال لمدة شهر كامل الى أن جاءت ليلة حناء العريس والقرى في صبيحة اليوم التالي. وجه أبو مشهور دعوة لكل مشايخ ووجهاء لواء الكورة وكانت في ذلك الوقت لا تزال ناحية وليس قضاءً أو لواءاً وكذلك لكل الاصدقاء والأقرباء من خارج الكورة، اخرج أبو مشهور المناسف العديدة واللحم مركوسٌ عليها والناس تتقدم الى المناسف طورات طورات.

" الطورة: هي عدد الرجال الذين يصفون على المنسف وكان معروفاً لدينا " طورة كيراوية" أي أربعة عشر رجلاً يتحلقون القرفصاء حول المنسف اذ أن مناسف ذلك الزمان كانت كبيرة واسعه ليس كمناسف أو صواني هذه الأيام" وبعد القرى، حمم الشباب العريس وعطروه والبسوه الجديد من الثياب استعداداً للزفه أركبوه على أحدى الاصائل العديده والتى اختارها هو وسارت الزفة تتراكض وحوله الخياله والفرسان على خيول كالغزلان اذ ذلك الزمان كانت الفرس الاصلية المطهمه تعدل الابن والعيال يهتم بها خيالها أكثر من نفسه وعياله من أطعام وتعسيف ونظافة ومرشحة اذ لم تكن سروج الخيل منتشره الا لخيول الجيش.

اذ كانت الفرس تزين وتجمل ويوضع عليها "مرشحه " "هكذا" مزينه ومزركشه وكانت مرشحة الفرس والشوباند " وهي الا حزمه التي توضع على صدر الفرس مرصعة بالودع والنحاس والشراشيب الصوفية ذات الألوان المختلفة دليل على مكانة راكب الفرس وخيالها كذلك كان يحيط بمواكب الزفة الشباب والرجال وهم يحدون الحداء المعروف في مثل هذه المناسبة كذلك كان إطلاق النار والا عيره النارية بكثافة بجميع انواع الاسلحة المتوفرة في ذلك الزمان من مسدسات ألمانية وغيرها من المسدسات وكان على رأس هذه القائمة المسدس الالماني الذي يقال له برابرلو أو مسدس البراشوت أما البنادق فكانت الالمانية والانجليزية والفرنسية والطليانية أما سيدتها وعلى رأس قائمتها فهي العصملية الالمانية وبعدها الانجليزية أما المجلي في ذلك اليوم على فرسه العبيه

فكان تركي ومسدسه البربرلو الذي أطلق من الرصاص كمية وافرة حتى كانت حديث الناس وكانت بهجة الفرح تقاس بكثره الخيول المشاركة بالطراد والسباق وبغزارة أطلاق النار والجمهور الكثيف المشارك في الزفه وعادة اطلاق النار في المناسبات الاحتفالية متأصلة في نفوس الاردنين لا بل كأنها وسيلة لإظهار الابتهاج ليس عند الاردنين وحدهم بل أن كثيراً من الشعوب الغير عربية تجد هذه العادة والابتهاج باطلاق الأعيرة الناريه وقد يكون لها مدلولاً تراثياً شعبيا متأصلاً في نفوس هاتيك الشعوب اذ قد ترمز إلى القوة والعنفوان وان هؤلاء الناس أولي بأس وعزه لايطالهم ذل ولا يتخاذلون أمام جبار من جبابره الأرض.

كان العريس يزف الى باب المغارة وهي الارض المنبسطه شمال ديرابي سعيد وهي الان مشغوله بمباني عدة مثل المتصرفية والملعب البلدي والمخازن والمتاجر المختلفة وكثيراً من دوائر الحكومة هذه الارض كانت واسعة ومنبسطه وسهلة يسهل الطراد فيها والسبق بين الخيول، وكان أخواني على خيولهم الاصيله مثل الكحيلة عجوز والسقلاوقيه والحمداني سامري والعبيه فرس تركي وغيرها من الخيول التي لا أعرف أرسانها ونسبها وكذلك كان هناك كثيرون يعتلون صهوات جيادهم ويشاركون بالسبق والطراد مع استمرار أطلاق النار الكثيف والحدادي والهجيني والدبكة أمام العريس. وكانت النساء تشارك بمثل هذه الاحتفالات والزفاف ولكن تبقى على مبعدة من الرجال مسافة كافيه لأن لا يستطيع الناظر التعرف على المرأة.

استمر هذا المهرجان الاحتفالي حتى قاربت الشمس أن تسقط مبتردة وراء الافق بعدان انهكها طول المشوار وسروة الفجر حتى تستريح وتستحم في بحر الأفق وتنفض عنها وعثاء السفر والنصب لتعود نشيطه في كامل عنفوانها وشبابها لتعيد سيرتها الأولى المرسومة لها والتي لا تستطيع الانفكاك منها أو التخلف عنها ولو قيد أنمله فسبحان الله العظيم الذي قدر لها قدرها ورسم لها مسارها ومسيرتها سقطت الشمس وراء الافق وبدأت غبشة العتمه فعاد العريس مزفوفاً كما بدأ بعد ظهر ذلك اليوم وعند وصوله حيث نصبت بيوت الشعر وضع له مكانا مرتفعاً وفراشاً وثيراً يجلس عليه ومن حوله وجوه قومه وربعه اليس هو

الان ملك هذه اللحظة الكثيرون من العزبان يرجون أن تكون لهم هذه الصمده او شبيها لها.

وبدأ النقوط على عادة ذلك الزمان البعيد حيث يتقدم الذي سوف يدفع النقوط الى رجل يتسلم النقوط من المنقط ويقول خلف الله عليك يا فلان. ثم يسجل اسم فلان هذا كي يرد له نقوطه في أول فرصة أو مناسبة نعم المبالغ في تلك الازمان كانت قليلة ولكن مشاركة جميلة وفعالة ولها مدلولاها في ذلك الزمان وكانت في الغالب دينار اردنيا أو نصف دينار وعلى ما اعتقد كانت النقود جنيهاً فلسطينياً ومرات كثيره تكون أقل ونادراً ما تكون أكثر. ولكن كان لنصف الدينار قيمه كبيره اذ أن الخروف كنا نشتريه بدينار ونصف مثلاً انقضى العرس وهدأت الليالي والأيام وعادت الى سابق روتينها وجاء بعدها الذهاب الى جرش أي عاد الغم والهم والكدر والنكد وسوف أعود الى جرش ومدرستها وهمومها وحياة جرش الرتبيه وجاء موعد وداعي لوالدتي وأهلي وأصحابي ولكن لا بد مما ليس منه بد.

في السنة الاولى من ذهابي الى جرش مرضت مرضاً شديداً مع ارتفاع في درجة حرارة جسمي مع قشعريرة تهزني هزاً شديداً تصطك لها أسناني وترتجف منها ركبتاي واوصالي ولم اعان سابقاً من مرض ما الا انه كان ينتابني الم في احد أذني من وقت لاخر وخصوصاً أيام الشتاء. اصطحبني أخي تركي إلى طبيب جرش الحكومي الدكتور صبحي أمين عمرو وشخصَّ حالتي بأنها ملاريا واعطاني حبوباً صفراء كأنها العلقم في مرارتها وقالوا هذه حبوب كينا وعليَّ تناولها يومياً وفعلاً بعد عدة أيام تعافيت وشفيت وهذا يعني أن جرش كانت موبوئه بطفيل الملاريا وبعوضه الانوفليس التي تحمل الطفيل وتغرزه في جسم الانسان وهذا المرض لا نعرفه نحن سكان الشفا أي الاراضي المرتفعه عن الغور ومجاري ومستنقعات المياه.

مع مرور الأيام والسنين بدأت أتأقلم مع الجو والبيئة وأصبح لي أصدقاء يهرعون الى مساعدتي وكذلك كان هناك بعض العداوات مع بعض الاطفال امثالي وكنت اتعامل معها بالحكمة ولا مانع من أن أدخل في عراك مع البعض منهم وأخيراً دخلت بيئتهم وقبلت في الهيئه الطلابيه

وأصبح لي مجالي الذي اتحرك به وقل العراك والمماحكه مع بعض الطلاب الاشقياء ولكن كان هذا لا يمنع من حصول بعض المناوشات البسيطة وكنت أخرج منتصراً أو متعأدلاً في بعضها وأصبح يحسب لي ولا يدخل معي أحد في عراك وازدادت أو صر الصداقة والمعرفه مع الطلاب وأصبح معروفاً لزملاء الصف والدراسة انني أيضاً لي سند ولي جذور في هذه الارض الطيبه واني أشرب من نفس مشاربهم وطينتي من نفس طينتهم لا أكثر ولا أقل. كان هناك بعض التحالفات الحاراتيه والزقاقيه مع بعض الاصدقاء ضد بعض التحالفات الاخرى التي تنشأ ولا يخلو فيها مجتمع طلابي أو صبياني، بطبيعتى لم أكن عدوانيا أو خلاقاً للمشاكل الا في حالات قليلة أكون فيها مضطراً لرد الاعتداء وهكذا أصبحت أحد أبناء الحاره التي أسكن فيها واصبحت أشاركهم العابهم ولعبهم وفي الغالب كانت كرة القدم وقد أصبحت كرة القدم حقيقة (فوتبول) لا كرة شرايط، وكذلك سيارات نصنعها بأيدينا من اسلاك حديديه لينه قابله لطي واللي وكذلك القلول والدواحل وأصبح لدي مخزون وافر من القلول والدواحل "كرة زجاجية صغيرة بألوان مختلفة" وكل ألعاب ذلك الزمان. وفي أحدى السنوات أجرى الانجليز مناوره في جرش بين الاثار والحراج وخلفوا ورائهم الشيء الكثير من فوارغ الفشك وبالتالي ازدهر اللعب بالفشك "الخرطوش الفارغ" بيننا وبذلك أصبح لدي كميه وافرة من هذا الفشك.

وعلى الرغم من هذا التأقلم والمخالطة والمعايشة والانسجام مع البيئه الجديده والاصدقاء الجدد والكثر ولكن كل هذا لا ينسيني الحنين الى والدتي والي تبنه والى الحياة هناك ولذا كنت اغتنم الفرص والعطل الطويله نوعاً ما كالعيدين أو عطلة الربيع لأعود الى تبنه وكانت عطله الربيع تحمل الهموم والمشقه الكبيره لإنها تأتي في أيام الشتاء وقد تكون أيامها شاتيه وماطره وبالتالي تصبح الطرق موحلة ولا تستطيع السيارات السير عليها وعلى من الرغم من هذا كنت أخاطر بالسفر فيها حتى لا أضيع يوماً من أيام العطله على الرغم من المشقه والتعب والتأخير. وكذلك عند العوده من تبنه وقبل موعد بدأ الدراسه كان لا بد من العوده الى جرش ولو اضطر أحد أخوي صادق أو شفيق أن يردفني خلفه على الفرس والسفر مع الفجر الى جرش ونصلها قبل الغياب بقليل.

في أحدى هذه السفرات أركبني احد أخوي الباص المتوجه الى المفرق حيث كانت الطريق بين اربد والمفرق معبده. ومن هناك في المفرق بواسطة قريب لي يدعى محمد الشلاش" أن يركبني في الباص المتوجه الى جرش وهكذا كنت أحمل بعض الهدايا والأشياء التي تخصني وعندما تحرك الباص من المفرق الى جرش كانت الشمس قد تدلت الى المغيب وهكذا بعد فتره وجيزه خيم الليل والباص يسير الهوينا وتشعران كل مسمار فيه وبرغي يتخلخل ويتقلقل من مكانه ويصدر أصواتا كالقادم المخلع وأنا بين النائم والصاحي مرة أفتح عيوني ومرة أغمضها. كانت مني التفاته الى أشيائي وأغراضي فلم أجدها فتشت عنها حيث وضعتها فلم اجدها وهنا صرخت بأعلى صوتي وأعولت فانتبه كل من في الباص وكان السائق نشمي فكان أول المستفسرين والملبين لصراخي ولما علم جلية الخبر أوقف الباص وقال لن اتحرك من هنا حتى الصبح حتى يظهر الذي سرق أشياء الولد. وعندها أضطر السارق أن يقول انه قد أوقعها ورماها من شباك الباص. حيث ينزل بعد قليل من الباص ليذهب الى قريته ينزل الراكب ومعه السائق وجاء بالأغراض المسروقه.

كان التواصل مستمراً بين تبنه وجرش اذ كانت الوالده عليها رحمة الله ترسل المؤن المختلفه الى جرش من زيت وسمنه وجميد حتى الزعتر "الدقه والزعتر" وبعض المنتجات الزراعية فكنت أفرح عندما يأتي أحد أخوي صادق أو شفيق بهذه الزياره ولو كنت أعرف انها لن تطول ولكن كانت تبسطني وتدخل البهجه والسرور الى نفسي وفي بعض الحالات كانت تحظر الوالده أيضاً لتمكث اسبوعاً أو اسبوعين في جرش. في احدى هذه الزيارات كانت أم حلمي تتحدث الى جيرانها دار البني من خلال الشباك المطل على ساحتهم وكان الشباك يطل على حوش دار البني وعلى الشباك ستاره معلقة على " صده" عمود خشبي لتمنع أو تجب الرؤية وكانت أم حلمي تضع كل ثقلها على الصده. ارادت الوالده ان تنظر من الشباك فما أن لمست يدها ستارة الشباك حتى تهاوى ساقطاً الى الحوش ومعه أم حلمي ووالدتي فاصاب ام حلمي ارتجاج خفيف ولكنها قامت بعد قليل اما الوالده فقد شج وجها جرحاً بليغاً كان يثعب دماً وكان اخي تركي في السوق فلما جاء وجد الناس متجمهره امام الدار فخاف خوفاً شديداً

ودخل الدار مسرعاً ورأى الدماء تنزف من جبين والدته فكاد يفقد صوابه واطمأن على زوجه وذهب الى منزل الدكتور صبحي وكان ليس بعيداً فجاء الطبيب واسعف المصابات ومضت الامور على خير والله سلم.

أصبحت الحياة في جرش أكثر سهوله وكما قلت حجزت مقعدي في الهيئة الصبيانيه واصبحت مقبولاً من الجميع واصبحت الدراسه سهلة وجيده وانجح بسهولة في مدرستي ولم يبق لي ما أعانيه من جهة الدراسة كذلك زادت مسئولياتي في خدمة الدار اثناء رحلة أخي الشهرية الطويلة واصبحت معتاداً على هذه الحياة واصبحت أكثر سهولة بالنسبة الي حملت زوجة أخي أم حلمي وانجبت طفلاً جميلاً. "كالنقطه في المصحف" أسموه منذر وقد تعلقت بهذا المنذر وبرعايته والاهتمام به واللعب معه اثناء تدرجه في السنة الأولى من العمر وفي بدايات السنة التالية من عمره مرض فجأة وقيل أنه محصب وكانت الحصبة سبباً رئيسياً لقتل الاطفال دون الخمسة سنوات من أعمارهم وكان الطب يقف عاجزاً أمامها الا من بعض الاحتياطات والتطبيبات التي لا تجدي والوصفات الشعبيه كأن يلبسون الطفل احمراً باحمر ويكثرون له من تناول الحلويات ويدفونه حتى تكاد تخرج روحه من جنبيه من حرارة المرض وحرارة التدفئه الزائده.

بدأ منذر يعاني كثيراً وثقل عليه المرض وتداخلت اختلاطات مرضية كثيرة كالالتهابات الرئوية نتيجة قلة المناعة وضعفها بسبب الحصبة طبعاً لم يكن هناك مطاعيم للحصبه حتى قبل وقت قريب اواخر القرن العشرين عندما صنع مطعوماً للحصبه كان الناس غير مؤمنين به وبعضهم لا يطعم أطفاله لان الحصبه واجبه والتحصيب لا بد منه.

بدأ الطفل يذبل كالورده الظامئه ولم يستطع الطب ولا الطبيب تقديم العون والمساعدة للطفل والطفل يذوي من بين يدي والديه وتكاد أرواحنا تغادر أجسادنا ونحن لا نملك الا العجز والبكاء وكنت على صغر سني احاول أن اسري عن أخي وزوجته وان علينا الا نفقد الامل بالله العظيم وقدرته وكنت كثير الترداد لمقطع الايه الكريمة " يحي العظام وهي رميم" ولكن لا مناص من نفاذ سهم القدر وقبضت روح الطفل وصعدت الى بارئها راضية مرضية.

جهزوا الطفل وذهب أخي الملتاع وبعض الاصدقاء لدفن ذلك الطفل الجميل الذي كان يملأ حياة والديه فرحاً وحبوراً وجاءت والدتي من تبنه مع اخوي شفيق وصادق وهم يحاولون ان يخففوا المصاب على أخيهم وزوجته ولكن هذه الدنيا تمضي الى مستقر لها شئناً أو ابينا والنهار سارٍب والليل داج لا يتوقف لاحد ولا يحزن على أحد.

وبعد برهة حملت أم حلمي ووضعت طفلاً جميلاً يشبه ذلك الذي ذهب وهنا اسموه اسماً مركباً "محمد منذر".

بعد ثلاثة سنوات قضاها اخي مستأجراً دار البني استأجر بيتاً اخر اكبر وواسع وقريباً جداً من المدرسة فشقه "أو فشخه" اما انا فاصبحت أكبر سناً وأكثر أدراكاً واصبحت انام وحدي في غرفة مستقلة ولا أخاف شيئاً ولا أخشى الظلمة وأصبحت أكثر منفعة للقيام بالواجبات التي تحتاجها البيوت وربات البيوت.

نعم الأمراض المعدية في ذلك الزمان كانت منتشرة الملاريا والتيفود والبراتيفود والاسهالات والسعال الديكي والحصبة وكانوا يقولوا إذا فتحت مقبرة القرية وخصوصاً الحصبة كانت تحصد غالبية أطفال القرية. إذ لا رعاية صحية صحيحة ولا علاجات متوفر ة الا الوصفات الشعبية مثلاً كان الطفل المحصب يلبسونه أحمر بأحمر ويطعمونه دبس عنب أو حلاوة ويغطونه حتى تكاد أنفاس تخمد من ثقل الدثار والغطاء حتى يعرق وكذلك من وصفات شعبية كالكي بالنار أو أخذ كاسات الهواء "الحجامة" أو أنواع من المشروبات كالميرميه أو البابونج أو غيرها من الأزهار البرية أو العسل واللجوء إلى التعاويذ والحجب وغيرها من الوسائل البدائية علها تساعد المرضى وخصوصاً الأطفال ولذلك كانت نسبة الوفاة بين الأطفال دون السنة عالية جداً ولعلها تتجاوز 34% .

وأفضل قليلا بين الأطفال دون الخمسة سنوات وعلى كل حال كانت النسبة عالية وجميع الدول النامية تعاني من هذا الوبال والوباء الخطير.

إن جرش فكانت قائمقاميه أي الحاكم الإداري يقال له قائم مقام فهي أكبر من دير أبي سعيد وتعتبر مدينة بالنسبة لدير ابي سعيد وفي الأربعينات كان يتبع جرش كثير من قرى بني حسن التي تنبع أداريا الآن لمحافظة الزرقاء ولما أصبحت في قادم الأيام مديراً لصحة محافظة

الزرقاء اكتشفت أنني أعرف قرى بني حسن بأسمائها من كثرة ما كان يرددها أخي تركي لا بل بعض أسماء شيوخها ورجالاتها وحتى أنني زاملت وعايشت بعض شيوخها الذين كنت أسمع بأسمائهم من أخي وكانوا كثيراً ما يسرون وكان ويلهجون بالثناء على أبي حلمي عندما يعرفون أنه أخي وشقيقي وكان هذا مصدر فخر واعتزاز لي أن أسمع الذكر الحسن والسيرة العطرة لأبي حلمي وكانٍ هو أهلالها.

في سنة 1946 على ما أظن رأيت كثيراً من الجنود الانجليز يأتون إلى جرش واجروا مناوره عسكرية في منطقة أثار جرش وكنا نحن الأطفال نتابعهم عن قرب وفي عدة أماكن من جرش وكان هدفنا نحن الأطفال جمع الفشك "الفارغ" بعد استعماله "فوارغ الرصاص" وازدهرت في جرش بين الأطفال اللعب بالفشك ولذلك كنت تراني وقد ربحت حصيله كبيره من الفشك وتجد معي جراباً مملوءاً عن أخره بالفشك الذي أجمعه أو أربحه من الأولاد الآخرين.

بدأت أكتشف أن جرش جميلة وفيها أثار رائعة ويأتيها السياح وكنا نمضي جزءاً من وقت فراغنا في الآثار وخصوصاً أن رشيد حميد كان له بيت في الآثار وكان قيماً ومسئولاً عن الآثار وكان له ولد اسمه عصمت كان زميلاً لنا ويحدثنا عن الآثار حديث العارف والمطلع.

كذلك أصبحت عضواً في فريق كرة القدم التابع للمدرسة وكان مركزي هو مركز (سنترهاف باك) مركز خط دفاع الوسط) وكان الملعب في منطقة الآثار وكثيراً ما كنا نلعب هناك كفريق المدرسة أو نحن أطفال يحبون لعبة كرة القدم وقد اكتشفت أن كثيراً من الاولاد من زملاء المدرسة يحبون ويجيدون هذه اللعبة.

كذلك أصبحت أشارك في نشاطات المدرسة الكشفية والرياضية وأصبحت منسجماً تماماً مع بيئة ومحيط المدرسة والطلاب ولكن ليس على حساب حنيني ورغبتي بالذهاب إلى تبنه كلما حانت الفرصة وفتح المجال.

كنت مع بعض الأصدقاء كثيراً ما نقوم بسيران بالقرب من عين القيراون والتي تقع على طريق جرش إربد. في يوم من بداية أشهر الصيف شاهدنا دالية عنب حاملة جداً ولكن العنب لا يزال حصرماً، هاجمنا

الدالية وبدأنا نملأ جيوبنا بالعنب الحصرم فجأة شاهدنا صاحب الدالية والكرم مقبلاً نحونا. هربنا إلى منطقة الآثار وكنا في شمال المدينة ومع ذلك ركض وراءنا وتابعنا ذلك الرجل كنت يومها ألبس صندل جديد فأعاقني عن الركض وخشيت أن يتمزق فقلعته من رجلي وتابعت الركض أنا وصديقي زهير المومني وذلك الرجل مصر على مطاردتنا وقطعنا الآثار من شمالها لجنوبها فهو يطاردنا ولا أعرف كيف أخيراً أضاعنا أو لعله يأس وتعب من الجري خلفنا أما نحن فقد واصلنا الجري والهرب خوفاً من أن يلحق بنا حتى وصلنا إلى منطقة باب عمان في جنوب جرش وكان هربنا هذا ليس فقط خوفاً منه شخصياً ولكن من أن يتعرف علينا ويشكونا للمدرسة وأهالينا.

ودارت الأيام وأصبحت طبيباً جراحاً في مستشفى الأميرة بمسه في إربد وكان والد صديقي زهير الذي توفي شاباً قد زارني في المستشفى يشكو .من كتله لحميه كبيره في كتفه لورم حميد(Lipoma) "لا يبوما كيس دهني" وقد أجريت له عملية واستأصلتها وذلك الوالد من الإخوة المومنيه. وكان "يدعا أبو زهير المومني" كذلك كانت سنوات الأربعينات تفور بغضب الناس والجماهير من قرار التقسيم لفلسطين ولذا أصبحنا نخرج في مظاهرات ضد اليهود وضد تقسيم فلسطين وكم كان رائعاً ومدهشاً وجميلاً أن تكون جرش ممراً للقوات العراقية الذاهبه إلى فلسطين سنة 1948 وكم سرنا معها ومشينا خلفها راكضين وجرياً على الإقدام ونحن نهتف لهم ونحييهم بحماس وقوة وهم كذلك كان يبادلون الناس حماساً واندفاعاً والكل يزغرد ويدعو لهم بالنصر . أيام جميلة لا تنسى في تلك الأيام كانت بعض المحلات التجارية في جرش تمتلك راديو وكنا نتجمع نتحلق ونجتمع حول الراديو لسماع أخبار الحرب في فلسطين وكان المذيع الذي نحب أن نسمعه أسمه "راجي صهيون" إذ أن هذا الراجي كانت أخباره تحمل البشائر والنجاحات وأن الأمور تسير على خير ما يرام في فلسطين أما إذا كان المذيع غير راجي فتكون الأخبار كئيبه حزينة تحمل الأخبار السيئة المثبطه للهمم كذلك كنت أول ما سمعت بالإخوان المسلمين في جرش إذ أقاموا ليلة احتفاليه مع خطب حماسية في جرش في ليلة افتتاح فرع الإخوان المسلمين في جرش وسمعنا

شعارهم " الله أكبر ولله الحمد" إلى آخر الشعار وبدأنا نتردد على دار الأخوان ولكن دون أن نعي فعلاً أهدافها وبرامجها ولا أذكر أن أحداً حاول أن يضمنا إليها قد يكون لأننا لا نزال صغار لا نعي كثيراً مما يقال حولنا على الرغم من أننا كنا نردد هتافاتهم المعروفة التي أصحبت محفوظة لدينا في ليلة من ليالي 1949م وإثناء العطله الصيفية وأنا في تبنه . جاء عبد الله وبعض الأخوان إلى تبنه وسهروا في العلالي وكانوا يتأهبون للسفر والذهاب إلى الحج وكانت الحاجة حمده من المسافرين في تلك السنة مع أخي عبد الله. ووالدتي لم تكن قد أدت فريضة الحج وفجأة قال أحد الحضور لا أذكر يا أم تركي ريتك أو ليتك معانا فتنهدت الوالدة وقالت الله كريم. هنا قال أخي عبد الله إذا استطاع الشباب "يعني أولادها" أن يدبرون لك النقود اللازمة تستطيعين أن تسافري معنا وأنا أتكفل بالأمر "أي بسفرها" لأن عبد الله كان في تلك السفره في مجلس النواب أو الأعيان لا أعرف.

هنا أنبرى شفيق وصادق وقالا انتظرونا وذهبا إلى أحد الموسيرين في تبنه وأحضرا النقود اللازمة للوالدة وهنا انفرجت أساريرها وبدأت تتجهز من تلك الليلة للسفر إلى الحج وفعلاً في الصباح الباكر استطاع أخي عبد الله أن يخرج لها جواز سفر ويحجز لها مع قافلة الحجاج وذهبنا لوداعها في إربد في تلك الحقبة كان السفر والحج متعباً ومرهقاً.

إذ كان مستأجروا هذه الشاحنات المقومون يقسمونها قسمين بواسطة ألواح من الخشب وبالتالي تصبح فيها طابقين : طابق سفلي وطابق علوي وفي كل الأحوال كان الحاج لا يستطيع أن ينتصب على قدميه ويدخل أو يخرج وهو محدودب الظهر محنية ولكن كان سفراً مريحاً إذا قورن بالحج على الجمال والبعارين.وهكذا يسر الله سبحانه وتعالى للوالدة أن حجت وأدت فريضتها وكانت تشعر بالغبطة والفرح أن استطاع أبناؤها أن يقومون بهذا الواجب الذي كانت ترجوه وتنظره والحمد لله أصبح أبناؤها رجال لهمم وجودهم وحضورهم بين القريب والبعيد.

أذكر في ليلة ذلك اليوم الذي ودعنا فيه الوالدة أنه كانت عندنا في تبنه أختي فاطمة ولسعتها عقرب وأخذت تصيح وتبكي وتولول ولم

نستطع عمل شيئاً لها غير وسائل ذلك الزمان من رباط وبعض التدابير كانوا يستعملونها ولكن الله سبحانه وتعالى سلم وانقضت تلك الليله على خير.

في أربعينات القرن العشرين لم يكن في الشمال كله إلا ثانوية واحدة هي إربد الثانوية على التل والتي أصبح اسمها أخيراً ثانوية "ذوقان الهنداوي بعد وفاته" أما باقي مراكز المحافظة مثل جرش وعجلون والرمثا ودير ابي سعيد والمفرق كانت فيها فقط ابتدائيات أي للصف السابع ابتدائي وكان هناك امتحان دوله أي تجريه الدولة لجميع الصفوف الابتدائية في المملكة ومن نجح يستطيع الالتحاق في الثانويات الموجودة في ذلك الزمان أي ثانوية واحدة في كل متصرفية محافظ الآن".

أخي تركي كان يدرس في إربد ..((تجهيز إربد)) يمكن في الصف السابع وكان والدي حياً وأخيراً تعرف على زوجته السيدة حليمة أحمد الفياص الفاعوري وتزوجها في أواخر 1939.

أما أخي شقيق: قد أتم المدرسة للصف السادس ولكن لم أكن ذاكراً دارسته ومدرسته لأنه ترك المدرسة في حياة والدي.

أما أخي صادق فقد أدركته وهو بالصف الخامس وأنا بالصف الأول الابتدائي وكان مجداً ونشيطاً حيث يتوجب على من يلتحق بالصف السادس في تجهيز إربد أن يكون قد حصل على الأول أو الثاني في صفه وهكذا كان أخي تركي حريصاً أن يحصل صادق على الدرجة الأولى وحصل عليها فعلاً وسجل في تجهيز إربد. ولكن بعد أن داوم في المدرسة لبضعة شهور احتاج إلى مصروف. وكان لدينا قطيع من الأبقار ولكن شفيق رفض أن يبيع ولو بقرة واحده. فكل بقره غالية عليه وكان قد أطلق عليها أسماً ولا يستطيع تحت أي ظرف أن يبيع أياً من هذه الأبقار.وأخيراً قصر الحظ مع صادق وخرج من المدرسة على اجتهاده وجاءت فكره أن يذهب إلى الشام دمشق ويدرس العلوم الشرعية في الجامع الأموي.وفعلاً سافر إلى هناك ومكث أياماً قليله وعاد إذ لم يستطع أن ينتظم في الدراسة ولا اعرف لماذا أما أخي شريف كانت الدراسة عليه العدو الأول وكان في الصف الرابع ولكن لم يكن يرغب بالدراسة تعلق بالدخان وهو لا يزال طفلاً وقد حاول أخي تركي أن يصحح مساره الدراسي ولم يكن يستطيع

حتى أنه في إحدى المرات أطلق عليه النار من مسدسه ترهيباً له ولكن لا حياة لمن تنادي. وكان كثيراً ما يهرب إلى قرية أخوالي في جحفيه ويذهب تركي ومحمد ويحضراه بالقوة ولكن ما أن أنهى الصف والخامس حتى أخذ نفساً عميقاً واستراح وأراح من الدراسة.

هنا الواجب أن أذكر أن أخي صادق كان يعطف علي واشعر معه بالأمن والحنان وكنت الجأ إليه إذا احتجت إلى فهم أي درس من دروسي وسبحانه الله استمر هذا الود والتقارب بيني وبينه إثناء شبابنا وحياتنا إلى أن توفاه الله 1997 من شباط .شريف لا أعرف كيف استطاع أن يحصل على وظيفة طواف أحراش وأخذت هذه الوظيفة كل وقته كما قلت سابقاً كان شريف مدخناً مدمناً حتى اضر به التدخين ضراً فادحاً حتى أنه كاد أن يقضي عليه أقلع عن التدخين بعدلأي وجهد ومع اهتمام الوالدة به وبتغذيته استعاد كامل صحته وعافيته وأصبح من أقوى الشباب في تبنه حتى أن جميع الشباب يتجنبون الصراع معه.

- زواج أخي شفيق :

في سنة1947 تقرر أن يزوجوا أخي شفيق وأصبح عمره خمسة وعشرين سنة أو نيف وأصبح واجباً تزويجه. العروس بالنسبه لوالدتي موجودة فهي ابنة أخيها إرشيد واسم العروس فاطمة. شفيق لم يعترض على هذه العروس والتي تسكن مع أهلها في بلدة حجفيه لكن الزواج له تكاليف كثيرة والزواج في كل حين له متطلباته السائدة في ذلك العصر وكل عصر وزمان إذن من أين تدبير تكاليف العرس والزواج كنت أسمع وأدري أنه كان لنا أرضاً في بلدة أرحابا ويأتينا كل سنة منها محصولاً من الحبوب لكني لا أعرف أين أرحاباً وما هي مساحة هذه الأرض إذ قرر أخي تركي مع شفيق وقد يكون صادق أما شريف فكان أيضاً دون سن البلوغ قرروا أن يبيعون أرض بلده أرحابا وكما عرفت لاحقاً أنها كانت تزيد على الخمسين دونماً وبثمن قدره خمسمائة دينار وأنا إلى الآن لا أعرف حتى أسماء المشترين لتلك الأرض الممتازة والثمينة جداً خصوصاً في هذه الأيام إذ أن الدونم اليوم يباع بالآلاف أكيد فرح الأخوان لهذه البيعه الصبحا وأصبح أمر زواج شفيق ميسوراً دفعوا المهر الذي لا

أعرف عنه شيئاً ثم ذهبوا إلى إربد مع العروس وأهلها لتجهيزها وتقرر يوم الفرح أو الدخله).

أقيمت في تبنه الأفراح والليالي الملاح لأكثر من أسبوعين إذ في كل ليلة يجتمع شباب تبنه ومن غير تبنه من القرى القريبة وأقيمت ليالي الأفراح في الساحة الواسعة خلف العلالي وكانت أكواب الشاي وفنجاين القهوة تدار على الضيوف والشباب طيله الليل والدبكه والهجيني طول الليل ، أفراح حقيقية وأنا الطفل شاركت المشاركين الفرحة ولعبت وسهرت مع الأطفال أمثالي وكان هناك شابان من تبنه يجيدان الضرب أو العزف على القصيبة أو الشبابه وفي أحيان أخرى الناي أو الأرغول. والشباب تهلك من كثر الدبكه والدحيو وخصوصاً إذا كانت ألسواده التي تدل على تجمع الفتيات والنساء قريبه من تجمع الشباب وأخيراً تقرر يوم العرس والدخله وهكذا قبل الدخله بيومين ذهب الأخوان إلى إربد لشراء تكاليف القرى "القرا" فاشتروا ناقة فخيمة سمينه فتيه وشابه كأنني أنظر إليها الآن وكذلك اشتروا بعض الخراف السمينة وجميع تكاليف الطعام من أرز وخلافه أما الجميد واللبن فهو متوفر عندنا في الدار وقبل ليلة الدخله تقرر الآتي:

1. **تذهب الجاهة والفارده من رجال ونساء إلى جحفيه لإحضار العروس.**
2. **يقوم شباب العريس لا بل شباب القرية بالذهاب إلى الهيشه المجاورة "الغابة" لتقطيع الحطب من أجل نار السحجه ومن أجل الطبيخ .**

وقد ذهبت مع الشباب لإحضار كميات هائله من الحطب وقاموا الشباب بتكويمها وتكديسها خلف العلالي أصحبت كومه هائله من الأخشاب إذ أي عرس لا تقام فيه السحجه يبقى ناقصاً طقساً من طوقس ذلك الزمان فكيف إذا كان العريس شفيق وهو الشاب الغيان المملوء حيوية والمحبوب من جميع أقرانه وأبناء بلدته وأبناء أخوانه وعمومته.

تكوم كوم هائل من الحطب استعداداً لإدارة النار فيه عندما يحين وقت السحجه والسهرة.

ذهبت الفارده إلى حجفيه بالحدادي والأهازيج التي تدل على الفرح

وسبب قدوم هذه الجماعات من الناس ومع أطلاق الأعيرة النارية الكثيفة إذ لا يكتمل العرس أي عرس إذا لم يكن البارود هجمة نار كما يقولون وكانت هذه المظاهر تدل على مكانه العريس وأهله وبوجود الخيول والفرسان وطراد الخيل أكتمل مظهراًمهماً من مظاهر الجاه والبهجة والفرح وكل هذا كان مكتملاً في عرس الشاب شفيق ابن كليب الشريدة.

أثناء ذهاب الفارده والجاهه إلى جحفيه لإحضار العروس كانت الجاهة تمر بقرى عنبه ودير يوسف وهؤلاء وخصوصاً الشباب ....الذين يقتنون الخيل ترافق الفاردة كواجب وكمشاركة بالفرح.

كانت عادة ذلك الزمان إذا كانت العروس من خارج القرية تذهب الفارده لإحضارها قبل ليلة الدخلة بليلة واحدة وكان أول بيت في قرية العريس تمر عليه العروس والفاردة يعترض أهل هذا البيت العروس وينزولونها في داره ضيافة وإكراما لأهل العريس وكانت العروس تبيت عند هؤلاء المعازيب استعداداً لليلة الدخلة طبعاً تحضر جميع نساء وفتيات القرية إلى عند العروس يغنين أغان العرس المعتاده ودبكه البنات الخاصة إلى ساعة متأخرة من الليل.

في تلك الليلة التي تسبق ليلة الدخله تشعل النيران بالحطب المركوم من أجل السحجه و يزداد لهيبها وتتضرم نيرانها ليتحلق حولها الكبار والصغار من الشباب يسحجون ويغنون ويهزجون بإيقاع ... وأهازيج خاصة تقال في مثل هذه المناسبات من أغان للطرب والمدح أو الحماسة وتجد الكل يردد ويغني مثل هذه الأغنيات وعندما تلتقي أكف الساحجين بإيقاع واحد وثابت ومستمر يصدر عنها صوتاً قوياً راتباً واحداً ويزيد هذا الحماس حماسة إذا انبرت واحدة أو أكثر أو شاب يرتدي ملابس النساء متخفياً ويحمل سيف ويرقص أمام الجموع جماعة جماعة حتى يزيد حماستهم ويشعل النيران متأججه في صدروهم ويقال لمثل هذه الراقصة أو الراقص أمام الحشود "المحوشاه" النار مشتعلة متأججة والأنفس بلغ بها الحماسة والإثاره حداً ما عليه من مزيد ويزيد هذا الجمع حماسة وأثاره صوت البارود والرصاص الملعلع وهذا يستمر إلى ساعة متأخرة من الليل هنا يحضر شباب العريس القدور الضخمة ويملؤها ماءً وسكراً وما هي إلا دقائق معدودة حتى تغلي من شدة النيران ولهيبها ويدار

الشاي على الناس حتى يرطبوا حلوقهم ويستعيدوا نشاطهم إذ هذه الليلة عليهم أن يحنوا العريس ويغنون له الأناشيد والأهازيج الخاصة بهذه الليلة "سبَّل عيونه ومد أيده يحنونه"وتقال بتلحين خاص ترويده الحنا وينقسم الشباب إلى قسمين كل قسم يردد الترويده ويرد عليه الآخرون وهكذا.

في هذه الأثناء وفي متأخر من الليل يبدأ الذباحون بذبح الذبائح وسلخها استعداداً لطبخها مع الصباح الباكر .

اليوم يوم القرى القرا إذ يبدأ المعازيم بالحضور والتوافد على المضافة ويبدأ أخراج المناسف للناس للأكل والشرب وبعد الغداء مباشره يأخذ شباب العريس ليحممونه ويسبحونه وكانت العادة يجرى حمام العريس في البركة الشمالية بجانب القلعه وكذلك كان لحمام العريس أغانيه وأهازيجه الخاصة .

الآن بعد حمام العريس حان وقت زفة العريس كانوا يزفون العريس في الناحية الشمالية من القرية عند أبار الحداد وهذه الآبار كانت مملوكه لنا والآن مقام مكانها بيوت أولاد أحمد النايف ومحمود النايف الذياب الشريده .

ركب العريس أجمل فرس ملبسه ومدندشه وسارت الجموع الخياله والرجليه وراء العريس بالأهازيج والأغاني والبارود إلى أن وصل العريس إلى مكان الزفة. وهناك نزلت الخيول إلى أرض الحصحاصة والقطعة "الأرض التي عليها المدرسة الثانوية والمركز الصحي الآن وكان يجري سباق الخيل وكل فارس مدل بفرسه وجمالها والبارود يلعلع والحداء يعلو، والدبكة مستمرة إلى قبل المغيب بقليل تعود الفارده إلى بيت العريس وهنا ينصب للعريس وأمام المضافة والعلالي فرشاً ومكتئاً مرتفعاً ويبدأ النقوط في هذه الأثناء تكون العروس قد أحضرت من بيت مضيفها إلى حيث مكان الدخله وكذلك تزفها النساء بالمزاهر والدفوف والأغاني حتى تصل إلى بيت عريسها.

النقوط كان شيئاً مهماً ليس بقيمته المادية وإنما هو تقليد متبع ومحترم وديّن وكانت النقود في ذلك الزمان قليله وليست متوفرة كما اليوم ولذلك كان يقبل مهما كان متواضعاً ويقول الذي يستلم النقوط " خلف الله

عليك يا أبو فلان أو يا فلان ويذكر قيمة النقوط .

كانت العروس تلبس فوق ملابس العرس الجديدة طبعاً عباءة وتضع على رأسها طرحة أو حطه بيضاء وفوق الحطه تفرد الحطه الحمراء الحرير والمقصبه فوق الطرحه أو الحطة البيضاء في ذلك الزمان كانت النساء الشابات يلبس حطة حمراء مقصبه وكبيرات السن حطه حرير مقصبه ولكن سوداء .

وكانت تصف لليرات الذهب أو انصاص العصمليات بشكل طوق يوضع فوق الحطه المقصبه ويقال لها عرجه وكلما كانت العرجه عامره بالليرات كلما دل ذلك على مكانة العروس وغناها.

بعد أن ينتهي النقوط ويوشك أن ينفض السامر والساهر يأتي شباب العريس يدخلونه على عروسه وهم يحدون ويغنون وكل هذا مع إطلاق النار والرصاص وكانت هناك عاده عند إدخال العريس يحاول بعض شباب العريس أن يضربونه خيزرانه واحدة أو اثنتان والآخرون يتلقون عنه الضرب.

عاده قديمة ولكنها كانت متبعه هذا عرس شفيق وأردت أن أذكر بعض العادات المتبعة في تلك الأيام بالأعراس.

كان جزء من اهتمامي لمحاولة التذكر هذه أن أشرح لمن يأتي بعدنا كيف تمت القسمة لتركة كليب الشريدة وكيف لحق بعض الغبن أبناءه الصغار الذين كانون دون سن الرشد بكثير.

كذلك ذكرت أننا نحن أبناء الحاج كليب من الحاجة شاهه اليوسف بعض الأراضي التي بيعت وتصرف بها دون أن يكون لي فيها مثلاً لا ناقه ولا جمل وكذلك بينت كيف أن أخي الكبير عبد الله كان يتصرف ويقسم التركه على هواه مما الحق الغبن بنا نحن القصّر والأيتام.

واستكمالاً لهذا الموضوع وحسب ما عرفته أن هناك بعض القطع الصغيرة بيعت دون أن أدري مثل أرض وعرة. أم إهلاله وأرض يقال لها أشميصه أو أرض اشتراها محمد الطويرش أعطيت إلى صالح الكليب أكباره طبعاً كنا صغاراً وعلمنا أن هذا حدث بعد أن كبرنا وبلغنا مبالغ الرجال.

أما كيف أن ريا بنت كاتبه الكليب أصبح لها حصتان في أرث جدها

كليب دون أن يكون لنا نحن أبناء كليب من هذه الحصص نصيب وهذه قصة أخرى وكذلك كيف ان نصيبنا في البستان في وادي زقلاب سجل على عبد الله الكليب ونحن أطفال وقبضنا الثمن الوهمي مشهور ومعروف وله حكاية .

نحن أبناء الحاج كليب من الحاجه شاهه أود أن أذكر هذه الوقائع الأخرى التي لم أذكرها سابقاً كان أخي تركي قد اشترى حصة صغيره من أرض الجدر في دير ابي سعيد خارج التسوية والتي بني فيها الآن شفيق وصادق وشريف وكانت هذه الأرض مشتراه باسم الجميع وحتى يزيدون الحصص المملوكه لنا فيها بدأوا يشترون فيها أولاً بأول وباسم الجميع " أي نحن الأخوان الخمسة" ولهذا السبب بيعت حواكير تبنه ودار تبنه التي بنيت في المشتله التحتا والتي تقع بجانب مشتلة الجامع الحالي ودفع كل هذا ثمناً لهذا الأرض وقال شفيق أنه أيضاً ضحى للوالده وتركي من ثمن الدار والحواكير. دارت الأيام وأصبحت طبيباً في مستشفى الأميرة بسمه في إربد والأخوان شفيق وصادق وشريف بنوا فيها بيوتهم في يوم من أيام رمضان 1967 دعوت الأخوان عبد الله باشا وشفيق وصادق على الإفطار في بيتي في إربد وبعد الإفطار وقبل السحور جاء حديث الأرض إياها في دير ابي سعيد وقال صادق لشفيق: يا أبو حاتم أعطي الدكتور "أي المقصود أنا" القطعة الفوقا عند المغفر بعيدة والباقي يبقى لك . هنا أجاب شفيق بشكل غاضب بان ليس لعبد العزيز ولا زغت أرض فيها قال صادق لا هذا غير صحيح والكل له فيها قال شفيق هذه الأرض اشتريتها أنا ...من حر مالي "وما حدا ألـه فيها شيء" وخوفاً من تطور المجادلة والنقاش أقفلت باب الموضوع ، هناك قال عبد الله : أخي تعال لعندي وأنا بعطيك قطعة أرض بقرب منزلي وأغلقنا الموضوع. ولو أردت لتابعت الموضوع وأخذت حقي كاملاً والكل يشهد من الأخوان لأن الأرض كانت لا تزال خارج التسويه وليس فيها تسجيل ولكن طابت نفسي ولم أشأ أن أنازع أخي وأن كان لي حق فيها فالله سبحانه وتعالى يعرفه ويحفظه.

ودارت بنا الأيام والآن أنا في 1949 – 1950 في الصف السابع الابتدائي في مدرسة جرش الابتدائية في نهاية السنة الدراسية سوف يعقد فحص دولة شامل لجميع الصفوف الابتدائية وكل محافظة "متصرفية في

ذلك الزمان" يعقد بمركزها إمتحان لسوابع مدارسها وعقد لنا امتحان شامل في مدرسة إربد الثانوية للبنين كنت استعد للامتحان في تبنه وبذلت جهداً كبيراً في الاستعداد لأنه من لم يستطع النجاح في الامتحان يتعذر عليه القبول في المدرسة الثانوية الوحيده ويصبح مستقبله في مهب الريح. تقرر يوم بدأ الامتحان لذا كان علي أن اسكن في مدينة أربد مدة انعقاد الامتحان قام بهذا الواجب الاستئجار أعني أخي شريف بمسعادة ابن الأخ ماجد العبد الله لأنه صاحب خبره في إربد كذلك كان أخوه محمد العبد الله أيضاً سيتقدم للامتحان أيضاً وهكذا وجدت لي رفيق معي في الغرفة المستأجرة حيث استأجرها ماجد في منطقة سوق الحبوب في شمال إربد على طريق إربد – بيت اراس كانت غرفة متواضعة ولكن تفي بالغرض إذ استطيع الذهاب إلى الامتحان الذي عقد في ثانوية إربد مشياً على الأقدام وهل هناك وسيلة أخرى؟!!! كنا ندرس على ضوء يقال له نمره أربعة "وفي أول يوم للإقامة في هذه الغرفة اكتشفت أنها تنغل بالبق وكان عملنا وشغلنا الشاغل التقاط البق عن أجسامنا وطرحه في حلق الضوء "نمره 4" لتلاقي جزاءها فهو الحرق بالنار.

وما أن بتنا ليلتنا الثانية ليلة الاثنين حتى بدأ الحوش التي تفتح عليه الغرفة يمتلأ بجميع أصناف الدواب من خيول وحمير وماعز وغنم لنكتشف أن المكان هو خان والكل يحضر بضاعته ودوابه ليبيت تلك الليلة إذ أن يوم الاثنين هو يوم السوق الذي ينصب يومان في الأسبوع في إربد على عادة ذلك الزمان الكل يحضر بضاعته وداوبه إلى إربد ليبيع ويبتاع . وهكذا قضينا تلك الليالي بين البق والدواب والاستعداد للامتحان بأسوء جو يمكن أن يعاش ويتعايش به ومع ذلك يسر الله ونجحت في ذلك الفحص وأصبحت حقيقة ثابتة أنني سوف أقبل في الأول ثانوي في ثانوية إربد العزيزة.

كنت قد تحدثت عن أخي شريف وأنه كان يتهرب من المدرسة وما أن أنهى الصف الخامس الابتدائي في دير أبي سعيد حتى أصبح خالي شغل وليس له عمل كباقي أخوانه يقضون أوقاتهم بلعب الورق "الشده" أو المنقله والسهر في المضافة والمشاركة بنشاطات وفعاليات الشباب في تبنه مع ميزه خاصة لأبناء الشيوخ حيث يتوفر لهم المأكل والملبس دونما

عناء وتعب وكانت حياتهم قياساً على حياة أقرانهم في القرية حياة سهلة ومريحة إذ كان هناك من يخدمهم بالإيجار كالقطروز أو الراعي والحراث وكان المختار وهو في الغالب أحد الأخوان يوجد لخدمته وخدمة المضافة "الحاووط" إي الحارس الذي يجمع الحطب ويحمس القهوة في المحماسة ومن ثم دقها وطحنها بالمهباش وصنع القهوة للمساييرصباحاً وفي المساء يعني بشكل عام كانت حياة سهله مريحة وميسوره شريف بعد أن بلغ سن البلوغ أراد أن يشتغل فاشتغل طواف حراج في الكوره. وكان طواف الحراش معزز مكرم، القرية أي قرية تحتفل به وتكرمه وتضيفه لأن كل قرى الكوره كانت مشهورة بالحراش أو الغابات والكل يحتاج الغابات والحراج لرعي الأغنام المواشي والتحطيب وكل هذا ممنوع وعلى الطواف منع هذه الاعتداءات على الحراج من هنا كان طواف الحرش مهيوب الجانب مرغوب في صحبته وإكرامه.

استمر شريف في هذا العمل إلى أن عافته نفسه وشعر أنه أكبر من هذا العمل أو أنه لا يليق باسمه أن يعمل هذا العمل على الرغم أن كل عمل شريف ولكن هو لا هكذا قرر وامتنع عن القيام بهذا العمل. صادفت هذه الرغبة في نفسه في سنة 1949 وعندما رأى أنني سوف أدرس في ثانوية إربد أصر هو كذلك على الدراسة في إربد. بعد نكبة فلسطين واستقرار كثير من الناس في إربد وقراها رأى بعض الناس افتتاح مدرسة ثانوية في إربد سموها المدرسة الهاشمية الثانوية – والتحق بها جميع الطلاب الذين فاتهم قطار التعليم أو أخفقوا في الامتحان السابع ابتدائي.

ولحسن حظ شريف وتصميمه على الدراسة استعان بعائله فلسطينيه سكنت في تبنه حينا من الدهر إذ أصولهم من حمايل تبنه "بني يونس" وكان في هذه العائلة شاب متعلم فأخذ على نفسه أن يعلم شريف وهكذا اشترى شريف كتب السابع الابتدائي المتوفرة وبدأ في الدراسة .

وعند افتتاح المدارس سجل في مدرسة الهاشمية الثانوية في الأول ثانوي وهكذا أصبحنا اثنين واحد في ثانوية إربد للبنين مجاناً والآخر في ثانوية الهاشمية بقسط سنوي. الدارسة سارت على بركة الله وتوفيقه على الرغم من فارق العمر يقارب الخمسة سنوات بيني وبينه.

استأجرنا في إربد عند إحدى العائلات غرفة وكانت الكهرباء لم تصل إلى جميع أحياء إربد ولذا كنا نستضييء بضو نمره 4 ورتب أخي تركي لنا خمسة دنانير شهرياً لكن كانت جميع احتياجاتنا من مؤنه كالزيت والسمن وخلافه نحضرها معنا من تبنه ثم بعد ذلك شاركنا محمد العبد الله الكليب الغرفة إذ كان والده عبد الله باشا قد خصص له يومياً خمسة عشر قرشاً يستلمها من أحد تجار إربد المدعو عبد الله طناش منها يأكل ومنها يدفع مساهمته بأجرة الغرفة وكان هذا مبلغ لا بأس به في ذلك الزمان.

كنا في نهاية الأسبوع يوم الخميس نعود إلى تبنه فنمكث هناك إلى صباح يوم السبت حيث كنا نسري بدري من تبنه على ظهور الخيل مع طلوع الفجر يرافقنا القطروز حتى نستطيع اللحاق بباص الكوره الوحيد أثناء مروره من عيون الحمام. طبعاً لم يكن شريف يسافر كل خميس إذ يبقى في إربد. كنت أحضر معي من تبنه كل حاجاتنا المطلوبه وكذلك غسيلنا والمرواح يوم الخميس كان بالنسبة لي شيء لا يمكن الاستغناء عنه.

مضت حياتنا في المدرسة جيده وكان الدوام على فترتين صباحاً من الثامنة إلى الثانية عشر ظهراً ومن الثانية حتى الرابعة مساء.كنت طالباً جاداً وكنت أشعر أن على مسئولية كبيره نحو نفسي ونحو أخواني كذلك لم تكن الحياة سهلة ميسورة الذي كان يتولى الصرف هو شريف وطبعاً كان يحاول أن تكفي الخمسة دنانير لنهاية الشهر . وكذلك بعد سنة التحق في المدرسة الهاشمية أخي خليفة وهذا مسئولية الصرف عليه من أخيه محمد وأصبحنا أربعة طلاب في غرفة واحدة وفي بعض الأحيان كان يرحل محمد العبد الله ليسكن وحده. وهكذا طوينا هذه السنوات الأربع بحلوها ومرها وعجرها وبجرها.

في بدايات خمسينات القرن العشرين أظن في 1952 توفيت زوجة شفيق بنت خالي أرشيد المرحومة فاطمة ولم تنجب من شفيق والآن أصبح شفيق عازباً ويريد أن يتزوج وكذلك صادق أصبح يطلب الزواج وبعد البحث عن عروس لشفيق وبعد تردد أقدم شفيق على خطبة الأنسة فوزية أبنة بركات الجبر الشريدة وكانت سنة خير ولذا توفر لدينا كثير من المحاصيل الحقلية والزيت مما مكن شفيق من دفع مهر زوجه الثانية

فوزية وأدخلوه على فوزية في منزل الأخ صالح الكليب في دير ابي سعيد ولكن هذه المرة كان عرساً عادياً ومختصراً لأن شفيق كما نعرف أرمل وهذا زواجه الثاني حدث هذا في 1953.

أنا الآن في الصف الرابع ثانوي وغيروا تسميته إلى الخامس ثانوي وفي نهاية هذه السنة الدراسية 1954 سوف يعقد امتحان المترك الشامل ولذا زاد نشاطي ودراستي وسهري الليالي وخصوصاً أن أخي تركي قال:نحن لا نستطيع أن نعلم اثنين في الجامعة طبعاً في ذلك الزمان لم تكن الجامعات متوفرة في الأردن. وإنما الذي ينجح في المترك نرسله إلى الجامعة.

وأخيراً بعد تعب السنين عقد امتحان المترك وشاء الله سبحانه وتعالى أن أحصل على النجاح في المترك واستعد لإرسالي إلى الدراسة في الجامعة دراسة الطب كما كانوا يقولون ولكن هنا برزت عقبة أخرى أمام إرسالي إلى الجامعة حيث أن صادق الآن أصبح يطلب الزواج ويإلحاح وأمام هذا الواقع الجديد تأجل إرسالي إلى الجامعة.

كان صادق قد أصبح موظفاً في دائرة الجمارك وأصبح أمر زواجه أكيدا. لذا لم أجد أمامي مجال إلا أن أتقدم بطلب توظيف في مديرية المعارف في إربد وكان مدير المعارف الأستاذ راضي عبد الهادي ولم يأخذ الأمر مني أي جهد أو وقت إذ حال أن قدمت استدعائي طلباً للتوظيف وافق مدير المعارف وطلب مني الالتحاق بمدرسة قميم الابتدائية . وهكذا جهزت أدواتي وإغراضي من يطق "تخت" مفرد وفراش وحاجات أخرى بسيطة وسافرت إلى قميم وكان مديرها المرحوم جاد الله الخصاونه فاستقبلي بحفاوه في نفس النهار استأجرت غرفة في قميم عند أحدى العائلات .

يلاحظ القارئ الكريم أنني للآن لم أكلف أخواني شيئاً من النفقة إلا نصف الخمسة دنانير في أربعة سنوات أي في السنه الواحده 22.5 دينار في أربعة سنوات تسعون دينار لا أقول هذا تقليلاً أو استخفافاً ولكن للحقيقة والمعرفة نعم كان هناك بعض المصاريف ولكن كانت من محصول وغلة الأراضي ولكن حيث أن حياتنا كانت كإخواني الخمسة جماعية وبالتالي لا مقسوم بيننا ولكن للآن كانت حصتي من الإرث أقلها.

أثناء سنوات الدراسة الأربع في اربد كان الذي يتصرف هو أخي شريف إذ كان اكبر مني بأربعة أو خمسة سنين . ولذا كان هو الأمر في أمور وشئون حياتنا الدراسية ولذلك كنت تجده يقرر أن نرحل من هذه الغرفة في سكن احد الذين يأجرون غرفا إلى مسكن آخر وغرفة أخرى ولذا خلال سنوات الدراسة الأربع رحلنا وسكنا في غرف عدة في أماكن متفرقة في اربد والقاسم المشترك في بعض هذه الغرف كانت الكهرباء لا تصلها . واذكر أنه في السنة الأخيرة من الدراسة 1953 – 1954 سكنا في بيت النابلسي وكانت الكهرباء واصله فيما عدا ذلك كنت مرات كثيرة ادرس على مصابيح الكهرباء في الشوارع. كنت كثيرا ما أعاني من الدراسة عندما يريد شريف أن ينام إذ كان الضوء يزعجه ويقلقه ولكن ما باليد حيله فأنا اريد أن ادرس وعليه هو أن يتحمل هذا الإزعاج من وجهة نظره . كانت لدينا ساعة منبه وكنت في بعض المرات احدد وقت استيقاظي للدراسة فكانت هذه الساعة مشكلة أخرى وكان في مرات كثيرة يزعجه صوتها وكان لديه جزمه طويلة الساق ((حذاء كاتشون طويل الساق)) ولي كذلك فكان يلف هذه الساعة في شراب أو جربان , ثم يضعها في هذه الجزمة ويضعها خارج الغرفة حتى لا تزعجه أثناء نومه دون التفات إلى اعتراض مني على هذا التصرف الذي كنت احسبه زائدا عن الحد ودون التفات إلى حاجتي أنا للساعة .

أمر تحضير الطعام كان من واجباتي ولذا كنت كثيرا ما أغادر المدرسة في الحصة الرابعة لتحضير الطعام وكان في الغالب قلاية بندوره مع لحمه أو مقالي باذنجان وبندوره وحاولت إن اطبخ بعض الطبخات المختلفة ولكني فشلت فشلا ذريعا .

الحياة في اربد أثناء الدراسة لم تكن سهلة وليست ميسورة على طلاب عزاب ولكن كان هناك هدف ويجب أن أتمه . كنت في كل يوم خميس أعود إلى البلد تبنه حيث والدتي وبعض أشقائي للتزود بالمونة وغسيل الثياب وما إلى هنالك من حاجات وأعود في الصباح الباكر في الباص بعد أن اركبه عند حمامات العيون .

عند انتقالي من جرش إلى اربد 1950 وبعد الانتظام في ثانوية اربد اكتشفت أن المدرسة وغير المدرسة تموج وتمور بالأفكار والانتماءات

ومختلف المشارب الفكرية والحزبية وهذه الحالة لم تكن موجودة لدينا ونحن في مدرسة جرش الابتدائية . صحيح تعرفت وسمعت بالإخوان المسلمين وحضرت افتتاح الشعبة هناك كفتى صغير ولكن لم يتصل بنا احد من الإخوان قد يكون لصغر أعمارنا . أما في اربد فالأمر مختلف والأفكار تموج والتحزبات والحزبيات منتشرة وكل صاحب بضاعة يدعو لبضاعته .

ولذا من أول أيام الدراسة بدأ الاتصال بي وكان أول الأفكار التي سمعتها هي أفكار حزب البعث وان هدف هذا الحزب توحيد العرب والوحدة العربية الشاملة وطبعا هذا الحلم كان يستهوينا نحن شباب ذلك الزمن وكنا نظنه قريبا وسهل المنال ولكن كان هذا مجرد كلام ولم يؤخذ مجراه العملي أو التنظيمي وتبخر الحلم مع مرور الأيام .

اتصل في بعض الشباب الذين اذكرهم تماما وأسماؤهم وشرحوا لي فكر الأخوان المسلمين وهذه الأفكار كذلك وجدت هوىً في نفسي وطلب هؤلاء الشباب أن أرافقهم بزيارة إلى مركز الأخوان المسلمين في اربد وكان في وسط البلد وهكذا كان ومن ثم انتسبت إليهم وسجلت اسمي وبدأت التردد على دار الإخوان . وبدأت انتظم في تنظيمات الجماعة وبدأت أكون احد أعضاء هذه الأسر ولا شك أن هذه الجماعة أشغلت جزاء من وقتي وتفكيري . واتسعت مداركي ودائرة معارفي وثقافتي وخصوصا الإسلامية والسياسية مما كان له الأثر الأكبر على طريقة حياتي وسلوكي المدرسي والاجتماعي وتعرفت على شخصيات ورجالات الإخوان في اربد وبدأت اشعر أنني أيضا فردا مهما وان الإخوان يبذلون كل عناية وجهد في سبيل تثقيفنا ودراستنا والتزامانا بالأخلاق الحميدة والسلوك الحسن وهذا بدا ينعكس على تفكيري في محيط أسرتي وعائلتي وخصوصا إذا جلسنا في مجالسهم وتحدثنا عن الإسلام فهم في الأصل مسلمون متدينون وهواهم الإسلام ولذا كنت أرى انعكاس حديثي وأثره عليهم وهذا جعلهم ينظرون إلي على أنني اكبر من سني وأهل للثقة والاحترام . وكثيرا ما كانت تدور مجادلات ومناقشات بيني وبعض الأقارب من ذوي الأفكار الأخرى . فكان النصر حليفي والدعم من الأهل على هؤلاء المخالفين لأنني كما قلت أتحدث بالإسلام وهذا مفهوم لدى الناس الغيارى على

دينهم وإسلامهم ولم أكن أجد أية صعوبة بإيصال الرسالة إليهم بقيت أتدرج بصفوف الإخوان إلى إن أصبحت نقيب أسرة وهذا كان يرتب علي واجبا كبيرا اذ علي إن ادرس أكثر في كتب الإخوان وفي كتب السنة وكتاب العدالة الاجتماعية أو فقه السنة وغيرها وكثير من كتب ورسائل الإخوان والإمام الشهيد حسن البنا كما كنا نحاول إن نكون على قدر الرسالة والمسؤولية والالتزام كنا نعيش في صراع مستمر وجدال لا ينقضي أواره ولا تنطفئ ناره مع حملة الأفكار الأخرى من بعتيين وشيوعيين وأخيرا ظهر لنا في الساحة حزب التحرير الإسلامي ان الشيوعيين والبعثيين كان من السهل علينا ان نلجمهم ونسكتهم ونقارعهم الحجة بالحجة . إما التحريريون فكانوا يتناولون الإسلام من منظور مختلف وكذلك يتحدثون بالقرآن والسنه كذلك ولذلك كنا نقضي ونصرف الساعات الطوال من اجل إقناعهم وبيان خطأ منظورهم وخطره على وحدة الامه الاسلاميه أمام غيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين كما كنا نعتبرهم .

بقيت في هذه الدوامة الفكرية والحزبية إلى إن التحقت بسلك التعليم وبدأت حياتي العملية معلما في مدرسة قميم بالوسطية . لا أقول إنني تركت أفكاري واتجاهي فقط انقطعت عن نشاطات الجماعة في اربد الى حد كبير وذلك لانشغالي بالتعليم والتدريس وصعوبة الاتصال اذ إن الاتصال في ذلك الزمان كان غير متيسر اذ لا تلفونات ولا مواصلات سهلة وسريعة وكان الذهاب الى اربد يتطلب يوما كاملا وكذلك كان جو المدرسة لا يشجع على هذه النشاطات الحزبية اذ كان كل واحد محتفظا بآرائه وأفكاره حيث أنها كانت للصف السادس ابتدائي .

كما ذكرت سابقا تم تعييني في بلدة قميم وكان فيها مدرسة ابتدائية وكان مدير المدرسة ذلك الرجل الذي أعجبني كثيرا الأستاذ جاد الله الخصاونة انتظمت الدراسة وكانت الرياضيات هي التي تقرر إن ادرس الطلاب فيها .

إنني اذكر انه في أول ايامي في المدرسة وانا اكتب على اللوح (السبورة) موضوع الدرس للصف السادس استغل احد الطلاب إدارة ظهري لأكتب على اللوح واصدر صوتاً مزعجاً مع قهقهة عالية فنظرت

إلى الطلاب وحذرتهم من مثل هذا التصرف وإذا كان لابد فليقل لنا ذلك الطالب المسرور عن سبب سروره لنشاركه سروره وفرحه , ثم استدرت نحو السبورة لانجاز ما بدأت به , فعاود نفس الطالب الى القهقهة والضحك بصوت عالي ولكن في هذه المرة عرفته وطلبت منه ان يغادر الصف وكان في الصفوف الخلفية " والتي كانت ملجأ للطلاب الكسالي أو الكبار في العمر ولكن كنت بانتظاره عند الممر وما إن وصلني حتى صفعته كفا مزلزلا جعل الدم يتدفق من انفه وأخرجته خارج الصف ليذهب الى المدير .

كنت غير مسرورا بهذا ولكن كنت لا أزال حديث عهد بشقاوة الطلاب وكنت اعرف تصرفاتهم وان المعلم الذي لا يضع حدا لهم ولطيشهم يعاني منهم ومن تصرفاتهم وعدم انضباطهم الشيء الكثير وكان الأستاذ الذي يتصرف معهم بأدب يفقد السيطرة على الصف وتضيع الحصة دون فائدة تذكر . لذا أردت إن يكون هذا درسا للجميع ومن بعدها كان الصف ترمي به الإبرة تسمع صوتها .

استمرت الحياة في المدرسة تسير على وتيرتها المعتادة وكان مدير المدرسة مثال الاخ والصديق . وفي القرى ذلك الزمن كان شيئا طبيعيا ان توجه الدعوات لتناول طعام العشاء وفي بعض المرات الغداء عند الأهالي والإخوة المواطنين دون حرج أو ملامة .

في سنة 1954 شهر تشرين الثاني جرت الانتخابات النيابية وكان أخي عبدالله مرشحا في تلك السنة . كان مدير مدرسة سموع الابتدائية له ميول مع مرشحين آخرين واكتشف أهالي بلدة سموع تلاعب مدير المدرسة في الانتخابات اخبروا عبد الله باشا عن انحياز المدير .وهنا طلب معالي عبدالله باشا من مدير التربية ان ينقل ذلك المدير حالا وإلا لا احد مسئول عن سلامته وتوفير الحماية له . كان جواب مدير التربية انه الان ليس لديه احد من المعلمين لينقله الى سموع . فقال له عبدالله بان اخي عبد العزيز في بلدة قميم لذا عليك نقله الى بلدة سموع . في يوم وانا في المدرسة لا اعرف عن هذه القصة شيئا اذ جاءني حارس من سموع يقال له أبو شيخة وأعلمني انه تقرر نقلي إلى سموع وعلي ان اعد إغراضي وحاجاتي ليحملني الى سموع على الدابة التي احضرها معه . وفعلا

سافرت معه وودعت مدير المدرسة الذي لم يكن لديه علم أيضا عن نقلي إلى سموع, وكان السفر متعبا اذ مررنا بالطيبة وبعدها الى سموع . وهناك في سموع وجدت إن الأمر قد اعد لي وإنني استطيع ان اسكن في غرفة اعدت لي عند بعض الناس .

وفي الصباح الباكر كنت في أول أيام الدوام في المدرسة مديرا لمدرسة سموع الابتدائية .كانت المدرسة على طريق كفركيفيا مكان المدرسة الحالية ولكنها كانت عبارة عن أربعة غرف على شكل صف واحد تتجه الى الجنوب . غرفة هي غرفة الإدارة والمعلمين وثلاث غرف صفية .كل صفين مجتمعين في غرفة واحدة .وقد أصبحت أدَرس اللغة العربية مع الرياضيات لجميع الصفوف .

في سموع أصبحت اشعر أنني بين أهلي وأقاربي وكانت تبنه قريبة الي وكذلك دير ابي سعيد اذ كنت استطيع ان اسافر الى تبنه أوالى دير أبي سعيد بواسطة الباص . كذلك إن أهالي بلدة سموع اظهروا لي من الاحترام والتقدير الشيء الكثير وقد تنقلت في بلدة سموع في أكثر من بيت وكان أخر بيت لي استأجرته قريبا من المدرسة , واقصد البيت غرفة واحدة عند عائله من عائلات سموع المحترمة . طبعا ان شيئا اساسيا من التقدير والاحترام كان سببه إنني ابن كليب الشريدة وكذلك من اجل اخواني وعائلتي , مدرسة سموع كان يرتادها طلاب من سموع وازمال وجنين الصفاً وكفر كيفيا . وهذه القرى هي من قرى الكورة ولنا فيها أو اصر قربى ومصاهره ونسب لذا كان الاهالي يبادرون الى دعوتي على العشاء وفي مرات على الغذاء كيوم الخميس إكراما لي وكنت أسافر إنا والمعلمين إلى هذه القرى مشيا على الإقدام سواء بليل أو بنهار .

كان راتب المعلم أربعة عشر دينارا ونصف لمن يحمل شهادة المترك وأربعة عشر دينارا فقط لمن انهي الدراسة الثانوية ولكن لا يحمل شهادة المترك .

كانت هذه الدنانير تعتبر شيئا كثيرا إذ لك إن تتخيل ان صوف الهيلد الانجليزي ثمن اليارد ديناران وكانت البدله تحتاج إلى ثلاث ياردات والخياط يخيط البدله بخمسة دنانير لذا كنت أفصل البدلة بأحد عشر ديناراً. وحيث أنني كنت أعرف أنني سوف أواصل مشواري التعليمي

فأكثرت من تفصيل وتجهيز بدلات مناسبة.

كما قلت سابقاً أن أخي صادق هو الآن موظف في دائرة الجمارك مراقب جمرك خيال وبعد زواج شفيق أصبح من المؤكد أنه سوف يتزوج وهذا كان سبب عدم إرسالي لمواصلة دارستي زواج الأخ صادق إذ كما قال أخي تركي لا نستطيع أن نزوج صادق وإرسالي إلى الخارج للدراسة . أخي صادق احتاج أن أقدم له مساعده في زواجه فاستلفت قرضاً من البنك قيمته ثلاثون ديناراً أدفعها على أقساط كل شهر ثلاثة دنانير وهكذا تزوج من قريبته السيدة نهله محمد العبد الله الشريدة من بلدة أبو لقين.

انتهت السنة الدراسية وبدأت أراسل جامعات مصر وسوريا، ولم أكن أعرف أن في العراق جامعة أو كلية طب. نعم تصور كم كنا محدودي المعرفة في أقطارنا العربية.

وأثناء هذا الانتظار تم الإعلان أن مصر سوف تفتتح فرع توجيهي في ثلاث كليات في الأردن، صف في الكلية العلمية الإسلامية في عمان وصف في كلية النجاح في نابلس وصف في الكية العربية بالقدس. وذلك تسهيلا على الطلبة وعدم سفرهم إلى مصر لدراسة التوجيهي، وكانت هذه الصفوف على البرنامج الدراسي في مصر. ... الأستاذة كذلك مصريون، وهكذا هانت الأمور واستطيع أن أسجل في الكلية العلمية الإسلامية في عمان وفعلا تقدمت للكلية العلمية الإسلامية وكانت رسوم الدراسة مع السكن الداخلي السنوي مائة دينار أو أكثر قليلاً. طبعاً الأخ تركي هو المسئول وهو الذي يتصرف كان لنا قطعة أرض مزروعه زيتون في وادي عين سرين (إجور الوادي) وهذه القطعة كانت لا تزال بأسماء جميع الإخوة ولكن كانت في مقسمنا أي تتبع الثلث الذي يعود لنا في الحوض (حوض زيتون الرق) باعوها لشخص من تبنه اسمه سالم عبد الكريم الغزال أظن بمائة وعشرين ديناراً وهكذا توفر المبلغ وانتظمت في الكلية العلمية الإسلامية كطالب في التوجيهي وداخلي في سكن الكلية.

هذه الأرض المذكورة أنفاً كانت باسم جميع الإخوان ورثه الحاج كليب الشريده وبقي السيد سالم الغزال يستغلها أكثر من عشرين سنة ولكن دون تسجيل في دائرة الأراضي بعد هذه الفترة الطويلة باع بعض الإخوة حصصهم إلى أناس آخرين وسجلوا لهؤلاء الناس لما علمت أنا

في هذا الموضوع وكنت قد أصبحت طبيباً .ذهبت إلى السيد سالم الغزال وقلت له حيث أن الإخوان قد سجلوا لغيرك .أنني على استعداد لأدفع لك المبلغ الذي دفعته علاوه على استغلالك للأرض كل هذه المدة. ولكن رفض أن يقبل الثمن وهكذا باع كل واحد حصته في تلك الأرض.

أثناء دراستي في الكلية العلمية الإسلامية عدت واستأنفت نشاطي في جماعة الإخوان المسلمين حيث كان مقرهم في وسط البلد قرب مطعم جبري. ولكن كان نشاطا ثقافياً وفكرياً دون أي التزام ، كذلك في الكلية كان الأستاذ يوسف العظم معلماً في الكلية لتدريس الثقافة الإسلامية وكان له تأثير كبير علي وعلى غيري من الطلبة ولذا أو كل إلي أن حرر صحيفة الحائط في الكلية . في الواقع كان لطلاب الإخوان المسلمين سواء في ثانوية إربد أو في الكلية العلمية الإسلامية الهيمنه والقوة على جميع الأفكار الأخرى ولا أحد يستطيع أن يقف في وجه هذا التيار.

في أواخر 1955 شهر كانون الأول وبدايات 1956 كانون الثاني كانت البلاد تمور وتموج في المظاهرات ضد حلف بغداد وضد وجود تمبلر في عمان واستقالت حكومة هزاع المجالي التي كانت توافق على حلف بغداد . وكان لمصر وأحمد سعيد في إذاعة صوت العرب التأثير الكبير على سير الحياة السياسية في الأردن وتهييج الناس والمظاهرات ضد حلف بغداد لأن مصر كانت تعارض هذا الحلف.

بقيت البلاد مضطر به تموج وتمور بشتى الاحتمالات وكان الطلبة لهم الدور الكبير في هذه الاضطرابات والمظاهرات والغليان. وأن هدأت الأنفس قليلاً بعد استقالة هزاع المجالي.

قي يوم الجمعة 1956/3/2 أذاع راديو عمان خبر صدور الإرادة الملكية بإقالة كلوب باشا وإنهاء خدماته كقائد للجيش ومعه بعض الضباط الانجليز وهنا عم السرور والبهجة وانطلقت الجموع والطلاب في مقدمتهم في مختلف بوادي ومدن الأردن تعبر عن فرحها وسرورها وتهتف لجلالة الملك الحسين وتحول الناس من الهياج والاضطرابات ضد الحكومة إلى تأييد عارم للملك وسارت المظهرات حتى وصلت قصر بسمان ورغدان وخاطب الملك الجماهير التي جاءت لتحيته وتهنئته وهكذا أصبح الزعيم الذي رفع إلى رتبه لواء راضي عناب أول قائد

للجيش بعد طرد كلوب باشا.

انتهت السنة الدراسة 1955 – 1956 وعقد الامتحان لطلبة التوجيهي في كلية نابلس مع طلبة كلية النجاح وطلبة القدس وسافرت إلى نابلس قبل الامتحان بأسبوع وأقمت في نابلس في أحد فنادقها لحين انتهاء الامتحان والمغادرة إلى دير ابي سعيد وأذكر أن المبلغ الذي صرفته في نابلس لم يتجاوز العشرة دنانير مع أنني كنت أنزل في الفندق وأتناول وجبات الغداء في المطاعم كانت النتيجة والحمد لله النجاح في التوجيهي وهكذا كنت أول طالباً في عائلة الشريده يحصل على الشهادة الأردنية المترك (الثانوية العامة) وكذلك أول أبناء عائلة الشريدة الذي ينجح في امتحان التوجيهي المصري.

في شهور سابقة التقيت مع أحد أصدقائي وزملائي في المدرسة الثانوية ولما سألته عن إخباره أعلمني أنه يدرس الطب في الكلية الطبية الملكية في بغداد وهنا كانت دهشتي عظيمه إذ كنت أظن أن لا طب إلا في سوريا ومصر. وهكذا بعد أن حصلت على التوجيهي. راسلت مصر ولم تقبلني في جامعاتها ولا أعرف السبب قد يكون تاريخي مع الإخوان السبب إذ أذكر أننا في 1954 ابرقنا إلى مصر نحن طلاب الإخوان المسلمين في إربد نشجب ونحتج على إعدام عبد القادر عوده وأخوانه.

وكذلك راسلت العراق – وسافرت إلى سوريا من أجل تقديم أوراقي وشهادتي المدرسية لكلية طب دمشق إذ كان على الطالب أن يذهب بنفسه ليقدم أوراقه ومتابعتها.

وأثناء عودتي من دمشق وحال وصولي إلى إربد التقيت بالصدفه أخي صالح الكليب وبعد السلام عليه بارك لي قائلاً(مبروك لقد قبلت في كلية طب العراق. هنا كدت أطير من الفرح والسرور وأخيراً سوف تتحقق أمنيتي وأدخل كلية الطب وأكون أول طبيب في عائلة الشريدة .لابل ثاني طبيب في لواء الكوره بعد الدكتور أحمد مساعدة.

كما أنني شعرت بالأنس والألفه إذ كان ابن أخي عبد المجيد العبد الله يدرس هناك في كلية الحقوق في السنة الأخيرة ولذلك سوف لا أشعر بالغربة.

الآن تمهدت لي الطريق لمواصلة دراستي وبقي على إخوتي أن

يسهلوا إلي الأمر لمواصلة دراستي وخصوصاً صادق قد تزوج في 1955 وشريف قد تزوج 1956 السيده نوال أحمد الفياض الفاعوري أصبح عديلاً لأخي تركي ولم يبق أمامهم إلا الوفاء بالوعد وإرسالي للدراسة.

لا شك كان الفضل بعد الله سبحانه وتعالى لأخي تركي إذ هو الذي كان مسئولا عن هذه العائلة (وأقصد أخوانه أشقائه وهو الذي يمون ويستطيع أن يتصرف في تركتنا وارثنا كما يشاء وكذلك بقية أخواني كانوا محبذين لاتمام دراستي ولذا لم يرفض أحد).

كذلك أنا كنت أعرف الوضع تماماً وكان لتربيتي البيتية والإسلامية الأثر الكبير في إتزان أسلوب حياتي وسلوكي في المجتمع فأنا والحمد لله لم ادخن طيلة حياتي ولم أشرب الخمره عمري كبعض الطلاب ولم أزاول بعض العادات والجهالات التي كان يزاولها بعض الشباب ولذا كان في سلوكي هذا خير معين وكان أخوتي يعرفون هذا عني ومن هنا كان يكفيني المصروف المعتدل الرشيد لذا في أول سنة ذهبت أليها إلى بغداد أرسل معي مبلغاً من المال لا يقل عن مائة وعشرين ديناراً ولا يزيد عن مائة وخمسين دينار بأي حال على أساس مصروفي للسنة الأولى.

كان لنا نحن الأخوان الخمسة مقسم في حوض بلدة مرحباً أي أرض خارج التسوية بصفتنا لنا أراضي مسلجة في حوض مرحباً. لذا قام أخي تركي ببيع حصتنا في حوض مرحباً بمبلغ لا يتجاوز المائة وعشرين دينار. على كل أعطيت هذا المبلغ كمصروف للسنة الأولى في بغداد دارت الأيام وأنهيت دراسة الطب وأصبحت طبيباً وبعد خمس أو ست سنوات من تخرجي استملكت وزارة التربية تلك الأرض من أجل إنشاء مدرسة عليها وهنا راجعوا صاحب الأرض أخواني وكان تركي وشفيق قد وقعوا وصلاً للمشتري أما نحن الثلاثة الباقون لم نوقع على ذلك الإيصال لذا تم الاعتراف للمشتري بأن يأخذ حصتي تركي وشفيق وهذا عاد عليه بمبلغ كبير جداً من التعويض أما باقي التعويض بعد الاعتراض على قيمة التعويض رفع قيمة التعويض إلى مبلغ حوالي خمسة عشر ألف دينار تقريباً وتم توزيع قيمة التعويض علينا نحن الأخوان الخمسة أو ورثتهم "أي ورثة تركي وشفيق".

هنا يلاحظ الأخ القارئ أن قطعتي الأرض التي بيعت من أجلي

استعاد أخواني ثمنها كاملاً وبمبالغ كبيرة.

فقط أقول هذا ليعرف من أراد الحقيقة دون نسيان فضل أو لي الفضل بعد الله تعالى وخصوصاً أنني كنت أصغر أخواني ولا أملك في آخر الأمر مقاليد حياتي وتسييرها إذ أن أخي الأكبر هو الذي يملك ويستطيع أن يقرر عني ما يشاء وكان ذا نظرة ثاقبه وبعيده ولو أراد غير أتمام تعليمي لما وجد معارضة كذلك كان من اجتهادي ونجاحي في جميع الامتحانات من الصف الابتدائي إلى المترك إلى التوجيهي خير معين لي لاتخاذ قرار إرسالي للدراسة....

- السفر إلى بغداد :

وأخيراً حان موعد السفر إلى بغداد وقد راودتني شتى الأفكار والهواجس والخوف من السفر ومن عواقب هذا السفر واحتمال النجاح والفشل وإلى بلاد لا أعرف عنها شيئاً وخصوصاً في وقت كانت المواصلات صعبة والسفر يعتوره كثيراً من شتى الاحتمالات والإنسان عدو ما جهل.

أخيراً ركبت الحافلة "الباص" من مدينة المفرق إذ أن أخي تركي يعمل فيها مديراً للمالية وكان الباص يأتي من عمان ماراً بالمفرق في سويعات بعد الظهر ولحظة ركوبي في الباص كنت فرحاً بسفري وقبولي في كلية الطب وفي نفس لوقت كانت نفسي تتوجس خيفة من المجهول والفشل وترك الأهل والأصدقاء والوطن .ولكن لا بد مما ليس منه بد وما حيلة المضطر إلا ركوبها. السفر إلى بغداد طويل وممل ومتعب كان يستنفذ أكثر من أنثى عشرة ساعة من أرهاق وحر وتعب , ولكن خلال هذه الرحلة قابلت بعض الطلبة والأصدقاء مما أزال من نفسي كثير من الوحشة والتوجس وكان بعضهم يدرس في كلية الطب التي كان اسمها الكلية الملكية الطبية في باب المعظم في بغداد على كل حال لم يكن في العراق في ذلك الحين ألا جامعة واحده هي جامعة بغداد وهكذا بدأت أتآلف مع المكان وأمني النفس الأمنيات العذاب وأخيراً وصلنا إلى مطار بغداد المحطة النهائية حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً في اليوم التالي ليوم السفر بعد أن غادرنا الحدود الأردنية ومحطة الاتش فور "الرويشد الآن"

ومن هناك إلى التش ثرى العراقية ومنها إلى مدينة الرطبة العراقية وبعدها إلى الرمادي ثم بعقبوه وإلى بغداد وكان الطلاب أثناء سفرهم يسلون سفرهم وضيقهم ونصبهم من السفر ببعض الأغنيات والأهازيج الأردنية مثل الطيار يطير فوق إجنينتنا" أو بغداد بلد الرشيد ومربي الأسود وأهازيج غيرها ولكني مع الأسف كنت لا أجيد مثل هذه الأغنيات والأهازيج فكنت استمع لما يدور حولي من أغنيات وصخب هناك في مطار بغداد وبعد ترجلنا من الباص وانهينا معاملات الجوازات والجمارك ركبنا سيارات الأجرة وأول ما لفتني في بغداد الحر الشديد الذي لا يطاق والعرق الذي يتفصد من أجسامنا ونوعية الأكل الذي لا نعرفه "كأن يطلب أحدهم على طعام الإفطار "تشريب" وهو عبارة عن قطعة كبير من اللحم المطبوخ بالمرق ويسكب مع مرقه على الثريد".

الطلبة العارفون في بغداد قالوا لنا يا شباب إلى فندق الوحيد...".

يا محلاها تلك الأيام تثير الخواطر وتبكي العيون النواهل وتضطرب النفوس شوقاً ووجداً وأسى على هاتيك الأيام .

– فندق الوحيد :

أخيراً وصل الركب إلى فندق الوحيد فإذا هو فندق بسيط يتألف من طابقين وله ساحة سماوية واسعة فيها دواوين ومقاعد من بوص النخيل بسيطة كرواده وغرفة كانت متلاصقه صفاً واحداً على شكل مربع واسع ولكن كان هذا المربع غير مكتمل حيث يطل احد أضلاعه على نهر دجله الخالد والفندق يقع في الكرخ من بغداد. كانت عيناى أول مرة تقع على نهر كبير فخيم كالبحر وهل شاهدت بحراً من قبل؟!! فنحن في الأردن تفتقد مثل هذه الأنهر لا بل لا يوجد نهر أصلاً له مواصفاتها هناك أوديه وسواقي ومجازاً يطلق عليها نهر مثل نهر الزرقاء مثلاً أثارني منظر دجله هذا النهر الكبير الذي تسير فيه السفن وعليه الجسور الضخمة التي تصل شطري عاصمة الرشيد بغداد دار السلام الكرخ والرصافة وتذكرت عندها ما قاله الشاعر الكلبي إذ جاء إلى بغداد من البادية والسهوب ورعي الأغنام فقال مادحاً هارون الرشيد:

أنت كالكلب في حفاظك للود ..... وكالتيس في قراع الخطوب

فنهره من كان في مجلس الرشيد فخفف عنه الرشيد وقال دعوه يعيش في بغداد وبعد شهر إئتوا به إلي فلما جاء الرشيد قال مادحاً:

عيون المها بين الرصافة والجسر سلبن عقلي من حيث أدري ولا أدري

إلى آخر ما قال: وكيف كان الرشيد حكيماً وعالماً بأحوال الناس وتأثير البيئة والمعشر على الإنسان.

قائلاً: أرأيتم كيف صار .

وجدت فندق الوحيد ينغل بالطلبة الأردنيين وهكذا تبخرت كل أسباب الشعور بالرهبة والخوف والوحشة. وحل مكانها شعور الاطمئنان والراحة والألفة وكان الغالب على الطلبة في الفندق هم ذوي الاتجاه الإسلامي وقد تلقوني بالعناق والود وكأنهم يعرفوني من سنين ولا شك أنه رباط العقيدة والأخوة ذلك الرابط المتين والحبل الذي لا ينقطع.

كان هناك كثير من الأخوة الطلبة والذين أعرف أو أسمع بهم لأول مرة ولكن كلهم تقبلوني بقبول حسن ولا أريد أن أسمي هؤلاء الأخوة بأسمائهم فمنهم لا زال على قيد الحياة وفتحت له الأيام والحياة ذراعيها بالطول والعرض ومنحهم من قضى نحبه ومضى إلى ربه راضياً مرضياً أن شاء الله.

كان السهر يحلو في فندق الوحيد إلى ساعات متأخرة من الليل (قبل بدء الدراسة) وخصوصاً ليل بغداد الحار وكنا ننتظر نسيم دجلة حتى يهب علينا ويطفئ شيئاً من لهيب الحر. وكانت أسرتنا جميعاً توضع خارج غرف الفندق من أجل النوم وفي الصباح الباكر وقبل أن تحمى الشمس وترسل أشعتها الحارقه نكون قد أوينا إلى غرفنا.

كان بعض الأخوة الخبراء في بغداد والذين جاءوا قبلنا إلى بغداد يأخذوننا لتناول طعامنا وكان الطعام على كل حال غني باللحوم مثل التكه لحمة شقف مشوية وأسياخ الكباب البغدادية المميزة أو يأخذوننا لنأكل الباجة في معطم ابن طوماي في ساعات المساء "كرشات وكوارع "باجه" لا شك قضينا أياماً حلوة في بغداد قيل التحاقنا بكلياتنا المختلفة.

كما اسلفت كان ابن أخي عبد المجيد العبد الله قد سبقني إلى بغداد لدراسة الحقوق وكانت هذه أخر سنة له في كلية الحقوق " طبعاً كان عبد

المجيد متزوجا بابنة عمه صالح الكليب ومنجبا منها جمال لا اعرف متى جاءني إلى الفندق يسأل عني وهكذا ودعت الفندق وساكنيه وذهبت للسكن مع أبو جمال في منطقة الرصافة قريبا من شارع هارون الرشيد الشهير في بغداد .

كان استغراب ابن أخي عبد المجيد كبيرا اذ قال لي بالحرف الواحد لي أربعة سنوات في بغداد ولم أكد أكون هذا العدد الكبير من الأصدقاء الذين رآهم مهتمين بي ومعارفي الكثيرون في هذه الأيام القليلة التي قضيتها في بغداد فاخبرته إنه الإسلام وإخوة الإسلام .

بعد هذه الأيام القليلة من الراحة في بغداد جاء الجد والتعب والسهر ذهبت إلى كلية الطب مع زملائي الآخرين من الأردن والتحقت بالكلية بعد زيارتنا إلى الملحق الثقافي في سفارتنا في بغداد الأستاذ إبراهيم صلاح من مدينة السلط " أبو صلاح اهبيشان".

في كلية الطب استلمنا البرامج اليومية واشترينا الكتب المطلوبة والمتوفرة وغير المتوفر منها كان عبارة عن محاضرات تلقى علينا من قبل الاستاذه .

الدراسة في كلية الطب كانت صعبة جدا ومرهقة اذ كانت كل المحاضرات باللغة الانجليزية وكل المحاضرين غير عرب ولذلك كنت أجد صعوبة كبيرة باللغة وبالدرس والتحضير ولذا كنت اسهر الليل الطويل في سبيل الإلمام بالدرس والحفظ وكان نظام الكلية نظام السنوات الدراسية وليس الساعات . وكانت مواد الدراسة في السنة الأولى : الفيزياء – الكيمياء غير العضوية - الإحياء .

كان نظام الكلية إن من يفشل بالسنة الأولى يمنع من مواصلة الدراسة ويطرد من الكلية , انه نظام صعب ومضني ولذا كانت هذه فرصتي الوحيدة وإلا فقدت الدراسة وعدت بخفي حنين , عزمت إن ابذل كل جهد مستطاع وان أصل الليل بالنهار بالدراسة وان لا تذهب مني ساعة من غير درس واستعداد وكنت اسري من ساعات الصباح الباكر الى الكلية حتى احجز لي مقعداً متقدماً في قاعة المحاضرات .

كانت المحاضرات تستمر الى الساعة الثانية عشره ظهرا وبعدها يأتي وقت المختبر فنذهب الى المختبرات حتى الساعة الرابعة مساء

.وأعود مكدودا مهدوداً من التعب ولكن لا مجال للراحة الا دقائق تناول الطعام لأعود مرة أخرى بين الكتب والمعاجم الانجليزية والطبية حتى استطيع ان احضر المادة وافهمها قدر المستطاع . وكم هي الدراسة شاقة ومرهقة بغير لغة الطالب إلام , فالطالب قبل ان يفهم المحاضرة عليه إن يفهم اللغة ويستسيغ معانيها ويهضمها ومن ثم يحفظها أنها عملية طويلة وشاقة ولكن ما باليد حيلة وعلي إن ادرس ليل نهار حتى لا انتهي تلك النهاية الصعبة . ولذا قررت أن لا ادخل السينما ولا اذهب إلى أي مكان للترويح عن النفس بشكل برئ فالوقت جد ليس بالهزل وكنت اشهد وأراقب عبد المجيد مع أصحابه وأصدقائه وكلهم يدرس في كلية الحقوق وهم يعيشون هكذا بكل راحة ويسر ويروحون عن أنفسهم ولا أراهم يبذلون أي جهد وفي النهاية ينجحون . كانوا يدرسون أياما قليلة قبل الامتحان والنجاح مضمون فلماذا إذن يتعبون وكنت اسر ايما سرور إن أجد عبد المجيد يجلس ويدرس أيام الامتحان لان هذا كان يريحني ويشجعني ويؤنس وحدتي في الليالي الطوال .

الحمد لله لم يذهب تعبي وسهري بدون مقابل اذ تحقق نجاحي وانتقلت في السنة الدراسية 1956 -1957 الى السنة الثانية طب . وفي كلية الطب لا يوجد امتحان في السنة الثانية وإنما يقدم الامتحان عند نهاية السنة الثالثة اذ المواد في السنتين واحده ومستمرة .

خلال سنتي الأولى في بغداد تعرفت على الملحق الثقافي في السفارة الأردنية السيد الأستاذ إبراهيم صلاح وبفضل الإخوة بعد الله سبحانه وتعالى مثل الأستاذ المرحوم غالب أبو عبود وغيره من الأخوان وافق الأستاذ أبو صلاح أن يرشحني لأدرس على حساب الحكومة العراقية ولكن في بداية السنة الدراسية القادمة وبعد النجاح . وفعلا في السنة الثانية في كلية الطب أصبحت ادرس على حساب الحكومة العراقية وقد كانوا يدفعون للمبعوث خمسة عشر دينارا عراقيا شهرياً وثمن الكتب خمسون دينار ومصروف الإجازة السنوية والخمسة عشر دينارا عراقيا كانت بالنسبة لي كافية إذ أن الدينار العراقي كان يعادل دينارا أردنيا وخمسون فلسا . كذلك كان هناك سكن للطلبة المبعوثين ولكني لم اسكن فيه قط إذ فضلت أن اسكن خارجه على حسابي .

كانت الحياة في بغداد سهلة وكل شيء متوفر وبكثرة ويكفي اننا كنا نعيش في طمأنينة وأمان وبغض النظر عن عدم رضاء الناس أو لنقل الحزبيون من الناس كالشيوعيين والبعثيين والناصريين ولكن الحياة سهلة ممتعة الرزق كثير والخير وفير .

مثلا كان عندنا في عمان إذا أردت أن تشتري لفافة (سندويش) شاورما تدفع خمسة قروش وبلكاد تشعر بها . ذهبت يوما في بغداد وأردت أن اشتري بخمسة قروش شاورما ((يقولون له قص)) فملا لي طبقا كاملا وزاد عن حاجتي , بغداد ممدودة ومتسعة أفقيا وليس فيها بنايات شاهقة بل أحواشها لا تزيد عن طابقين أو ثلاثة وهي مترامية الأطراف وكان تعدادها أكثر من مليون قليلا في تلك الحقبة من الخمسينات في القرن العشرين . ونتيجة الحر الشديد كان يوجد في كل حوش ياخور تحت الارض ليجلب الرطوبة والبرودة وشاهدت على الشبابيك مركوس فوقها نبتة اللبيد ومسحوب لهذه الشبابيك ماء بالأنابيب ليبلل النبات هذا وبالتالي يدخل الهواء فيه شيء من الرطوبة والبرودة طبعا هذا الحال قبل انتشار الكهرباء ومبردات الهواء. نعم كان في بعض المقاهي مبردات هواء يقال له مبرد صحراوي يدفع هواء بارداً للمكان وكنت في أيام القيظ اللاهب وفي أيام العطل أو بعد الظهر اذهب إلى احد هذه المقاهي واحجز لي مقعدا تحت هذا المبرد وكانت المقاهي فيها كراسي خشبية طويلة احجز لي كرسيا ويصبح مكان نومي ودراستي وان حان وقت الغذاء أو العشاء اذهب إلى المطعم القريب في باب المعظم وأتناول عشائي أو غذائي وأعود إلى متكئ ومضطجعي ولا احد يعترض ما زلت تقوم بطلبات القهوة والشاي " استكانة شاهي " مع نيمي حامض .

هذه البحبوحة من العيش والأمن والأمان سوف نفتقدها في قادم الأيام ويصبح الخروج من السكن متعذرا ويكتنفه خطر الموت أو السجن والاعتقال في أيام ثورة أو انقلاب تموز . ومع ذلك طيلة السنة الأولى لم أعرف طعم الراحة والخلو من الهم الشديد الذي كان يكلكل على صدري حتى يكاد أن يخنق أنفاسي وينتزع روحي من بين جنبي.

هكذا بعد السنة الأولى لم اعد بحاجة إلى مصروف من الأهل إذ كان يكفيني ما أخذه من الحكومة العراقية وزيادة على ذلك أعود إلى الأردن

في العطلة الصيفية وجيبي مملوءة براتب الثلاث الشهور وهذا المبلغ ليس قليلا في ذلك الزمن إذ يكفيني ويزيد .

مثلا ذات مرة كان أخي تركي في الروشيد ((الجفور)) بمهمة رسمية أثناء عطلتي الصيفية كنت في بيته وإذا السيدة زوجه تعاني من نزيف شديد افقدها الوعي فما كان مني إلا أن استأجر سيارة وذهبت بها إلى اربد مسرعا إلى مستوصف راهبات الناصرة في اربد واجري لها اللازم دون حساب لتكاليف العملية إذ كانت جيبي عامرة بالفلوس . وكنت قد تركت خبرا لأخي تركي فلما جاء في مساء ذلك اليوم إلى اربد كنت قد أجريت جميع اللازم لها وبتنا تلك الليلة في بيت عبد الله باشا إذ انه سكن فترة من الزمن في اربد غضبا لشيء لا اذكره الآن ولكن أهل الكورة أبوا عليه أن يبقى في اربد بعيدا عنهم وأصروا عليه حتى نزل عند رأيهم وعاد وسكن في دير أبي سعيد بين ظهرانيهم .

أصبحت الآن منسجما بمحيطي الجامعي وأصبح لي أصدقاء كثر من الأردنيين والعراقيين وأكثر تحديدا شباب الحركة الإسلامية في مختلف الكليات في بغداد وكنا نلتقي في دار الإخوة الإسلامية العراقية نحضر المحاضرات والنشاطات وكان الأخ الشيخ محمد محمود الصواف هو المسئول عن جماعة الإخوة الإسلامية وكان الشيخ مجدي الزهاوي هو العلم في ذلك الزمان بالنسبة للإسلاميين . أقول سارت حياتي الطلابية والفكرية بكل يسر وهدوء وبقيت أعاني من الدرس والمشقة ولكن دون ضغط الخوف من الطرد .

كنت قد آليت على نفسي أن لا أساكن أحدا من الزملاء وكذلك أن لا اسكن في دار الطلبة " السكن الجامعي " إذ كان لدي شعار العب وحدك تيجي راضي " ولكن هذه القصة اضطرتني أن أساكن احد الزملاء الأردنيين في كلية الصيدلة وفي حوش مع عائلة عراقية كريمة احد أبنائها كان من الحركة الإسلامية وكذلك معي في كلية الطب بنفس سنتي الدراسية ولكن هذا الشاب مثالا كريما للشاب المسلم الملتزم حيث أن عائلته من الشيعة وتحولت إلى المذهب السني بعد أن أقنعها بوجهة نظره وكذلك كان شابا مجيدا مجدا ذكيا .

كان صديقنا الأردني متزوجا واتفق مع أخينا العراقي أكرم أن يحضر

زوجته من الأردن ليسكن معهم في حوش واسع وإيجاره السنوي أكثر مما يستطيعون . جاء أخونا الأردني ولم يحضر زوجه بدعوى أن أهله رفضوا إرسالها معه , قلت له أنت هكذا كلفت الأخ مئونة كبيرة وفوق قدرته المادية وحتى نحمل معه العبء فأشرت على الأخ الكريم أن نسكن معهم في الطابق العلوي من المبنى وهكذا كان .

بدأت أعاني من هذا السكن واكتشفت أشياء بالساكن الجديد معي لم أكن طبعا اعرفها وقتها , مثلا : هو لا يريد أن يشرب الشاي ولا القهوة ولكن إذا قدم له الشاي والقهوة فهو خير من يشرب ويتلذذ . كذلك لا يفكر أن يكلف خاطره إذا شرب الشاي أن يغسل ويجلي كاسة الشاي أو القهوة , الأخ الكريم عند استيقاظه صباحا يحتاج إلى طبول فوق رأسه توقظه وكنت إذا تركته لا يصحو وبالتالي يخسر كليته ومحاضراته يعاتبني على عدم إيقاظه . ولما اطلب منه أن يصحو ويهتم بنفسه يقول لي والله أنا زوجتي بتظل تفرك برجلي حتى أصحو وبعدها تركته يراعي شانه وأمر صحوته بنفسه .

وكانت كذلك هناك مشكلة حمام يوم الجمعة والذهاب إلى الصلاة فكان أخانا إذ دخل الحمام لا يخرج منه أبدا دون اعتذار ومراعاة لحق غيره ولذا كنت اذهب قبله لا بل أسبقه إلى الحمام قبل أن يشغله وغير هذا ولذا لم أساكن أحدا ابداً بعدها .

في سنة 1958 أعلن الاتحاد العربي الهاشمي بين دولتي الأردن والعراق ووضع دستور ومجلس أمة مكون من البلدين وذلك مقابل الوحده بين جمهورية مصر وسوريا بأسم الجمهورية العربية المتحدة.

وكان أخي عبد الله أحد أعضاء البرلمان الموحد من الأردن وقد زاروا بغداد لعقد جلسات مشتركة للبرلمان الموحد وزرته في فندق الرشيد الحديث . وكانت الوفود الرسمية تروح جيئة وذهاباً بين الأردن والعراق لأتمام مكونات وأسباب الاتحاد. وحاولت العراق الرسمية أن تظهر ابتهاجها بهذا الاتحاد فكنت ترى مظاهر الفرحه والسرور في الحفلات الشعبية التي كانت الناس تحييها طبعاً بايعاز من الحكومة هذا رأيته في بغداد أما في عمان فلا أعرف ولكن من المؤكد أنه جرت الاحتفالات الرسمية وغيرها وكانت الناس بين مؤيد وغير مؤيد وبعضهم

كان يرجو وأنا منهم أن يكون الاتحاد فاتحة خير للعرب والمسلمين وخصوصاً أن الاتحاد ترك الباب مفتوحاً لأي دولة عربية تنظم إليه.

في صيف 1958 أثناء العطلة الصيفية كنت في المفرق حيث يسكن أخي تركي مديراً للمالية وفي مساء اليوم 1958/7/13 نزل بديارنا ضيوفُ من العراق، بعض اصدقائي وزملائي الطلبة في كلية الطب وكانوا ثلاثة زملاء فتلقيانهم بالترحيب والسرور أولم لهم أخي تركي عشاءً يليق بهم وقد دعا معهم طبيب الحكومة في المفرق في ذلك الزمان الدكتور نوفان الحمود الذي توفاه الله تعالى في صيف2008) وبعد سهرة طويلة أو ينا إلى فراشنا وكان مفروش لنا أمام الدار في الحوش لأن المفرق كذلك حاره والنوم فيها خارج الغرف جميل ومريح جداً .

كان أخي تركي يصحو مبكراً قبل السابعة صباحاً وكان يتابع الراديو فإذا بالمذياع يعلن أن انقلاباً وقع في بغداد صباحاً يوم 1958/7/14 وأن الحكومة العراقية قد اقفلت الحدود مع الأردن قام تركي بايقاظنا وإعلامنا بحادث الانقلاب فكان كالصاعقة في وقعها على اسماعنا وخصوصاً الأخوه العراقيون قد شعروا انهم تقطعت بهم السبل حاولنا تهدئة نفوسهم ولملمتها ولكن كانت النار تغلي في صدورهم وأخذت عقولهم تتوزعها مختلف الأفكار والهواجس وتضرب الأخماس وبالأسداس والقلق الشديد على أهاليهم وكذلك قلق أهليهم عليهم. الحدود العراقية الأردنية اقفلها الانقلابيون في بغداد وتوقف شريان الحياة بين الأردن والعراق وأصبح الأردنيون الرسميون في العراق كانهم سجناء وأسارى العراق وقد عوملوا معاملة وحشية وأعدم بعضهم دون ذنب جنوه أو أسباب اقترفوها إلا أنهم أردنيون ويمثلون وزراء الاتحاد العربي.وقد أعلن يوم الأربعاء 1958/7/23 نبأ مقتل كل من إبراهيم هاشم وسليمان طوقان وخلوصي الخيري وكذلك أعلن نبأ مقتل عدنان الحسيني وجميل صوالحة يوم الخميس 1958/7/14 .

وعاد إلى عمان سالماً كل من صادق الشرع وإبراهيم عثمان ومحمد هباهبة وموسى عادل.

أن الأردن كان كريماً كعهده دائماً برعاية الضيف والجار فلم يطال العراقيين أي مكروه وسوء، الأخوه الطلبة الضيوف لدينا استطعنا أن

نسفرهم عن طريق سوريا حيث أن الحدود مع سوريا والعراق بقيت مفتوحه.

وبدأنا في الأردن نسمع الأهوال والجرائم التي يندى لها الجبين التي ترتكب في العراق بحق العائلة المالكه والرسميين العراقيين وكأن رجال الانقلاب قد فطروا على لعق الدم والولوغ بدماء الناس وأعراضهم وبعد سفرنا وعودتي إلى بغداد للألتحاق بكليتي سمعت من الأخوه العراقيين ما يندى له الجبين ويترفع عنه بنى البشر وأن هذه الأحداث والحوادث لا تليق إلا بالحيوانات المتوحشة وإلا كيف تفسر مثلاً أن يسحلوا الناس في الشوارع وهم أحياء ويمثلون بهم مثلات لا تطاق وإلا كيف بهم يقطعون العضو التناسلي للرجل ويضعونه في فم صاحبه: أنها أعمال وحوادث تشمئز منها النفس البشرية والخلق السوي وما فطرت عليه العقول من أنسانيه ورحمة.

عند اقتراب افتتاح الكلية الطبية في العراق كانت لا تزال الحدود الأردنية العراقية مقفلة ولذا اضطر الطلبة الأردنيون للسفر لبغداد عن طريق دمشق ، سافرت إلى دمشق مع مجموعة من الزملاء والطلبة الأردنيين وأقمنا في دمشق بضعة ليالي حتى تمكنا من حجز مقاعدنا في الحافلة التي ستقلنا إلى بغداد غادرنا دمشق بعد الظهر، وكانت الطريق بين دمشق وبغداد غير معبده وغير واضحة المعالم وعندما أقبل الليل كنا نسير في وسط الصحراء وكان الجو صافياً والقمر منيراً ليلة البدر ولا ترى مزعة أو مزقة من غيم وكنا ننظر إلى القمر فنراه ثابتاً في كبد السماء واقفاً لا تعرف اين يسير وفي أي أتجاه وبعد ساعة من زمن شعرنا أن سائق الحافلة قد اضاع الطريق وأنه يسير بغير هدى ويدور في الدائرة نفسها ويحاول أن يهتدي على الطريق بالنظر إلى السماء وإلى القمر ولكن القمر أبى أن يرشده على الطريق وبقي ثابتاً صافيا ينظر إلينا من عليائه ولا أدري اشامتاً أم مشفقاً أم أنه كان أبلهاً لا يدري ما حوله أو أنه كان يضحك علينا ومن عجزنا ونحن نستنجده ولكن لات منجد ،الكل ينظر إلى هذه السماء الصافية المترامية الأطراف والتي لا افق لها وإلى هذه الصحراء المديدة اللانهائية التي لا ترى في هذا الليل المقمر أثراً لحياة أو نأمة صوت أي صوت يجلب الطمأنينة إلى النفوس أنها لحظات

حرجة ومخيفة أن تشعر أنك عاجز تماماً لا تستطيع أن تفعل شيئاً صحيح الخوف من الموت لا يزال بعيداً ولم تفقد نفوسنا رباطة جأشها ولكن لا شك أن الاضطراب بدا يغزو قلوبنا وقلب سائق الباص ولكن هذا السائق لم يستسلم ولم يكل عن البحث والدوران في الصحراء واينما كنا ننظر نرى أثار "عجلات" دواليب السيارات متقاطعة ومتعرجه دون هدى ومتشابكه لا تنبي بأي اتجاه أو مسار نتبع.

وفي هذه الأثناء التي تحمل كل احتمال وكادت القلوب أن تبلغ الحناجر واصبح قوس اليأس يقترب من نهايته وزاد البلبال والهمهمة بين الركاب ومعظمهم من الشباب الجامعي لم يمروا بمثل هذه التجربة المخيفة والمحفوفة بكل خطر ونهاية مصير وبعد أن أمضينا الوقت الطويل الذي لا أذكره الأن لاح لنا من بعيد سوادة.

لا نستبنيها من الظلام ولكن حق أنها سواده تكسر رتابة المنظر المخيف في هذه الصحراء البلقع التي لا ترحم ولا تشفق على مرتاديها أن لم يكونوا على قدر المسئولية والدراية الشُجاعة على ارتيادها. اقترب الباص من هذه السواده وإذا هي لإنسان نعم إنسان في هذا الليل البهيم وفي هذه الصحراء المقفره البلقع التي لا يجرؤ على اريتادها الا من خبرها نعم أنه أنسان بلحم ودم كانت فرحتنا بهذا الإنسان لا توصف وكان لديه جملاً.

ينشل بواسطته الماء من بئر عميقة في الصحراء نعم أنه إنسان يرتاد ويرد الماء ليجلب حاجة ربعه من نسغ الحياة من الماء مستغلاً الليل وغياب الشمس ولفح الصحراء. هرعنا إليه فرحيين مستبشرين كأنه طوق النجاة الذي سينجينا من هذه القفر البلقع وفعلا أرشد السائق على الطريق وبين له من أين يسلك ومن أين يسير وسهل الله وسارت الأمور على خير. في هذا الخضم من الوساوس والأفكار المتشائمة والخوف الذي مررنا به تذكرت حديث رسول اللهρ ما معناه الذي يشبه فيه ذلك الرجل الذي يفقد راحلته وعليها زاده وزوادته وسبيل حياته وعيشته وبينما هو مستلماً لمصيره المحتوم فيفتح عينيه ويرى دابته أمامه من شدة فرحه يشكر الله ويحمده حتى تضيع منه المعاني ويبدل القول غير القول. كذلك فرح الله سبحانه وتعالى بالعبد التائب.

وصلنا إلى بغداد في مساء اليوم التالي فإذا بغداد غير بغداد فما لها هكذا مكفهره وتتغشاها غلالة من كآبة أو حزن مكتوم في الصدور، والكل يترقب ويرقب ويأمل أن تعود الحياة إلى بغداد الرشيد دار السلام وتنام بغداد ملء جفونها أمناً وأماناً ولكن إلحال قد تبدل والحكام الجدد مشغولون بتعقب رجالات العهد البائد كما يسمونهم وقد نصبوا محاكم الشعب آه لهذه هذه الشعوب كم يدلس عليها ويرتكب باسمها شتى المعاصي والأثام وهذه محاكم الشعب تنصب وهذا هو عباس المهداوي رئيساً للمحكمة ويرسل رجالات العراق وسياسة إلى أعواد المشانق وكانت المحاكمات لا بل المهازل تذاع على الهواء في تلفزيونات ذلك الزمان في المقاهي وكانت في بداية عهدها .

وكم رأينا من محاكمات لساسة العراق ورجالاته وكم كانت شجاعتهم وإيمانهم بصواب مسارهم يدعو إلى الاعتزاز وكم كانت سخريتهم بالغة من العهد الجديد ومن رئيس محكمة الشعب التي تبعث في النفوس الخوف والشفقة عليهم ولكنهم كانوا متأكدين من نهايتهم المحتومة وحبال مشانقهم معلقة فلا أقل من أن يقولوا رأيهم بجرأة وقوة.

وبعد أن انتهى شهر العسل مع الجمهورية العربية المتحدة بدأت الاذاعات المتحدة تهاجم بشدة النظام العراقي وتنعته بشتى النعوت السائدة في ذلك الزمان واصبحت اذاعة دمشق تذيع لازمه من لوازمها وهي (اللهم – اللهم – تبعث للمهداوي حمه).

في هذه السنة الدراسية 1958-1959 سميت لدينا نحن الطلبة سنة الزحف ،إذ أمرت قيادة الثوره بان جميع الطلبة العراقيين وغير العرقيين في مختلف الكليات العراقية نقلهم إلى الصفوف الأعلى بدون رسوب أي طالب كوسيلة لقبول الناس بالثوره وزياده شعبية رجالها (يعني رشوه على مستوى الوطن).

أن هذا القرار أفاد كثيراً من الطلبة وخصوصاً في السنة الأولى في كلية الطب الذين كانوا مهددين بالطرد فهولاء لم يطردوا بل رفعوا إلى السند الثانية من كلية الطب وقد استفاد من الرشوه الزحف عدد من الطلبة الأردنين المهددين بالطرد ولا أرى حاجة لذكر اسمائهم فقد انهوا دراسة الطب وتخرجوا وأصبحوا اطباء ولكن لم تفارقهم كلمة الزاحف

فنقول فلان زاحف وبعضهم من قد قضى نحبه ومضى إلى رحمة الله تعالى.

بدأ حبل الأمن والطمأنينة لدى المواطنين يتلاشى أو ينعدم خصوصاً كما كنا نرى في بغداد واصبحت التهم جاهزة للناس من قبل ازلام السلطة ومؤيدي الانقلاب.

كنت أظن أن الشعب العراقي أقل الشعوب العربية نفاقا ومسحاً للجوخ لاننا في أيام العهد الملكي لم نر مظاهرات تؤيد أو تمسح الجوخ للسلطة ولم نكن نسمع بشعارات بالروح – بالدم ... وما إلى ذلك من الشعارات التي عفا عليها الآن الزمن والتي لا تقنع حتى اولئك الذين تطلق لتأييدهم أو إظهار الولاء لهم.

وجه الحكم بدأ يُسفر عن انيابه واصبح الطلبة الشيوعيون يظهرون على الساحة وأنهم مؤيدوا الحكم وأن الحكم شيوعياً أو على الأقل اتخذ منحنى ماركسيا وبدأ الطلبة البعثيون والقوميون يتراجعون أن لم يكونوا مستهدفين وخصوصاً بعد أن وقع الخلاف بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وكل من لا يؤيد الثوره ظاهراً علناً ويهتف لهم فهو يعني مارق يجب تصفيته والقضاء عليه وهكذا اصبح يطلق على عبد الكريم القاباً شتى مثل الزعيم الأوحد لا زعيم الأ كريم وكانت هذه الصفة أو الشعار تكفي أن تطلقها وتصرخ بها وتقتل أي انسان فهذه الصرخه تدل أن هذا الإنسان مارق ضد الثورة وضدا الزعيم الأوحد وسجلت حوادث من هذا القبيل وكان الإنسان الخائف المرعوب من القتل يلجأ إلى مراكز الشرطة والأمن العام ولكنها كانت تقف عاجزه أمام كلمة لا زعيم ألا كريم – أو الزعيم الأوحد.

الآن كما قلت حصل طلاق بائن بين أصحاب الانقلاب وحكام الجمهورية العربية المتحدة وعبد السلام عارف ومن معه في السجون وأمام محاكم الشعب وأصبح الوضع وخصوصاً عند الطلبة العرب لا يطاق من زملائنا الطلبة العراقيين الذين كشفوا لنا عن وجوههم الحاقدة الكالحة وشيوعيتهم السافرة واصبحنا كلنا بعثيون دون تحقيق وأثبات واصبح الطالب إذا رغب أن يتجول في الأسواق أو ان يشتري حاجته يجب أن يحمل صورة الزعيم ويبرزها بوضوح حتى يراها البائع والزبون ومار

الطريق.

حصل ذات يوم معي في السكن الذي كنت أقيم فيه في بغداد أن علقت صورة نجيب الربيعي الذي كان يقال أنه قائد الثورة وهنا سألتني ابنة صاحب الدار وهي لا تزال طفله اين صورة الزعيم فقلت لها هذا قائد الثوره فلم يقنعها الجواب وقد خشيت على نفسي من هذه الطفله.

بدأنا نخفف من تجوالنا أو ظهورنا في الشوارع وكنت مثلاً أدرس في أحد مقاهي باب المعظم لوجود مكيف صحراوي فيه فانقطعت عن ذلك وبدأنا نحن الطلبة الأردنيين نتجمع مع بعضنا وننام في مكان واحد خوفاً على حياتنا وكان الذهاب إلى كلية الطب مشكلة بحد ذاته وخصوصاً كان بعض الطلبة الأردنيين سواء عن جهل أو حباً بالمجادلة والمراء أو عدم وعيا بإن الجو مكهرب وأن الحال غير الحال ليدخل في نقاش عقيم مع الطلبة الشيوعيين وكنا نحن الطلبة الأردنيين نمنع هذا النقاش ونأخذ زميلنا الأردني بعيداً حتى ولو كان بالشدة والقوة.

فجأه سادت طريقة توقيع العرائض وكانت هذه العرائض تكتب ضد الجمهورية العربية المتحدة وضد عبد الناصر ويوضع فيها كل ما هو مقذع وسئ وكان يطلب توقيع هذه العرائض وكان الإنسان منا يوقع كل من يلاحقه ويطلب منه توقيع هذه العرائض صدف مرة أن قلت لأحدهم لقد وقعت هذه العريضة أكثر من مرة فقالوا الا تعجبك ألا تريد أن توقع ؟ قلت لا أوقع وأوقع فقط أردت أن أقول أنني وقعتها أكثر من مرة.

دخلنا في 1959 والأمر يزداد سوءاً والحياة أصبحت لا تطاق في بغداد وحبل الأمن مضطرب والأمان مفقود وأصبح الذهاب إلى الكلية صنو الموت أو السجن ،جو الكلية مكفهراً ومخوفاً ولا تعرف الصديق من العدو ولا تعرف اين تضع قدمك إذ أن كل خطوة منك غير محسوبة ستفجر بك لغماً أما أن يؤدي بحياتك أو بطردك من بغداد.

فجأه اذاعت اذاعة الموصل في يوم 1959/3/8 ثورة ضد عبد الكريم قاسم وكان قائد هذه الثورة العقيد عبد الوهاب الشواف انتعشت أمالنا بقرب زوال هذا الكابوس الذي نعيش تحت وطأته ولكن مع الأسف استطاعت بغداد أن تقضي على الشواف وهكذا كشر عبد الكريم قاسم أو على الأقل الناس التي تحكم باسمه عن انيابها وبدأ عهد جديدة من

الطغيان والبطش والظلم والخوف وكل من ليس مع الزعيم ظاهراً وعلنا فهو بعثي مارق يجب تصفيته وسحله وأخيراً اتخذت قراراً مع بعض الزملاء الطلبة الأردنين مغادرة بغداد والالتحاق بالجامعات المصرية وخصوصاً بعد أن أعلنت مصر قبول جميع الطلبة الخارجين من العراق وصلنا إلى الأردن ومن محاسن الصدف عند وصولنا للأجفور (الروشيد) كان جلالة الملك الحسين بحوامته (طائرة الهليوكبتر) هنا في الروشيد فساعدنا وخفف عنا وقال الله يعطيكم العافية يا شباب وليذهب معي بطائرتي حمولتها وهكذا تسابق الزملاء على ركوب الطائرة مع جلالة الملك . أما أنا فكانت وجهتي المفرق لذا بقيت في الباص.

نعم أنني شعرت عند خروجي من حدود الرطبة العراقية ودخولي الحدود الأردنية كأنني ولدت من جديد ، وأخذت نفساً عميقاً معلناً إزاحت حمل ثقيل عن صدري وقلت الحمد لله رب العالمين .ولم أعد إلى بغداد بعدها أبداً.

في هذه السنة 1958 ذهبت مع أخوي تركي وشريف إلى بيت السيد عبد الكريم العقله الزعبي لبحث طلب يد ابنته الأنسة سهام وبعد التداول تم الاتفاق على الخطبة وفي وقت لاحق ستأتي الجاهه من أجل أتمام مراسم الخطبة أنا بعد هذه الموافقة الأوليه سافرت إلى بغداد لمواصلة دراستي هناك ، وفي شهر كانون الأول من نفس العام كدتَّ الجاهة برئاسة أخي عبد الله باشا وتمت خطبتي رسمياً على الأنسه سهام عبد الكريم العقله الزعبي.

كما أسفلت عدت إلى الأردن مع مجموعة الطلبة الأردنية في بغداد في بدايات ربيع 1959. وهناك بعض الزملاء من الطلبة الأردنيين سافروا إلى القاهرة مباشرة من دمشق وفد زودتهم باوراقي وشهادتي من أجل التسجيل في كلية الطب أي كلية سواء في القاهرة أو الاسكندرية حيث كانت هناك ثلاث جامعات تدرس الطب وهي جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) وجامعة عين شمس وهي (جامعة إبراهيم) في القاهرة أيضاً (جامعة الاسكندرية) في الأردن وجدت صعوبة بالسفر إلى القاهرة حيث كنت سأسافر عن طريق دمشق الآن لا أذكر لماذا كانت هذه الصعوبة وبعد مراجعات رسمية تمت الموافقة على سفري إلى دمشق ومن هناك إلى

القاهرة ، في دمشق مكثت بضعة ليالي مع بعض الزملاء الآخرين، وبعدها سافرت إلى القاهرة على متن الطيران المصري وصلنا مطار القاهرة الدولي في ساعات الصباح الباكر الثانيةأو الثالثة صباحاً. استأجرنا سيارة أكل الدهر عليها وشرب مهكعة وقلنا للسائق أوصلنا إلى فندق "ارخيص وكويس وابن ناس" فقال حاضر يا بهوات وسارت عين الله ترعاها حتى وصلنا منطقة يقال لها العتبه الخضراء إلى لوكاندة الريش ولم تكن كويسه ولا بنت ناس ولكن كانت رخيصه جداً.

أعلمت أن أوراقي في فندق أفرست وأنني قد قلبت في كلية جامعة عين شمس. اقمت باللوكانده ليلة واحدة. كان معي اسماء بعض الطلبة الأردنيين من أهل المفرق ولهم لدي بعض الحاجيات ومعي أيضاً عنوانهم في القاهرة في الدقي والطالبين هما عطا الله الشبيل من بنى حسن ومحمد مساعده من كتم سكان المفرق أخذت سيارة أجره وذهبت إلى العنوان الذي بحوزتي وكم كانت فرحتي عظيمة أن التقيت أخيراً بأناس من بلدي وأعرفهم ويعرفوني في هذه القاهرة العظيمة التي لم أطأها سابقاً مكثت عندهم بضعة ليالي. أذ ثاني يوم مباشرة بادرت معهم وهم العارفون بالقاهرة بالذهاب إلى كلية طب عين شمس وكانت في حي العباسية تحققت من قبولي فيها وأن بإمكاني أن أداوم فيها ولكن لسوء الحظ كانت امتحانات نهاية السنة قد بدأت.

وهكذا ضاعت علي سنة 1959 إذ أن الامتحانات تبدأ في القاهرة قبل بغداد بشهرين أو أكثر. وبواسطة الشباب استطعت أن استأجر غرفة في مصر الجديد. إذ هي أقرب مسافة وانسب مكان لسكن طلبة طب عين شمس بقيت في القاهرة شهراً واحداً انهيت معاملاتي وأمر تسجيلي في الكلية وما هو مطلوب مني لاصبح طالباً رسمياً في الجامعة وكذلك علمت ان الحكومة المصرية قد قدمت منحة شهرية لنا بقيمة أربعة عشر جنبها مصرياً أي بعثه طيلة مدة الدراسة في مصر أي مثل العراق وكانت لا تزال الجنيه المصري لها قوتها الشرائيه ويستطيع الطالب المعتدل أن يعيش فيها بشكل طبيعي إذ تكفي المأكل والمشرب والمواصلات والسكن ، كذلك كان في جامعة عين الشمس سكن مجاني للطلبة ووجبة شبه ببلاش ولكن لم اسكن في سكن الطلبة ولم أكل من وجباتهم إلا مرة واحدة ذهبت مع

بعض الزملاء الذين يسكنون مدينة الطلاب وتناولت معه وجبة الغذاء وهي بقيمة قرشين (عشرين فلسا) صاغ.

وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي اذهب بها إلى المدينة الجامعية علماً بان بعض الزملاء الذين اصبحوا اطباء امضوا مدة دراستهم وهم يسكنون فيها.

أن القاهرة مدينة فخيمة جداً جميلة كبيرة تختلف عن بغداد وهي بحق كما يسميها الأخوة المصريون أم الدنيا – مدينة جميلة بكل المقاييس وتختلف عن عمان وبغداد – شوارع فسيحه جميلة وحياة عامرة تنغل بالبشر والناس وفي الواقع كل ما شاهدته فيها أدهشني من أول وهله مدينة تقول لك أنها ليست كغيرها من المدن. أن محمد وعطا الله الشبيل لم يقصرا وقاما على خدمتي وحاولا أن يمتعاني ويجلبا لي السرور ويخففا عني مشقة السفر والغربة والانقطاع عن الدراسة . إذ بقيت عندهم بضعة ليالي ضيفاً مكرماً إذ كنت أكبر منهم سناً ولذا كانا معي في غاية اللطف والكياسة والاحترام طيلة مدة أقامتي عندهما وبعد أن سكنت في غرفتي في مصر الجديدة لم تنقطع صلتي معهما ولا هما كذلك.

بعد أن رتبت أمور كليتي وأمور بعثتي لم يبق علي إلا أن غادر القاهرة إلى الأردن لحين الانتهاء العطلة الصيفية وفتح الكلية مرة أخرى للسنة الدراسية 1959-1960 وهكذا حجزت بالطائرة المغادرة إلى الأردن وأوصلني إلى مطار الأخ محمد مساعده جزاه الله خيراً هذا الإنسان سافر ولإكمال دراسته في المانيا ولم اعد اراه أو اسمع عنه.

في هذه السنة اعني 1959 عقدت قراني أو كتبت كتابي على الانسة سهام عبد الكريم العقله الزعبي وكان ذلك في يوم 1959/8/5م ، 30 محرم/1379هـ.

وكان عقد قراني له تأثير كبير علي فاصبحت اشعر بالمسؤوليه المضاعفة وأنني الان اصبحت مسئولاً عن انسانة اخرى لذا فعلي أن ابذل جهداً كبيراً ومضاعفاً لأكون على قدر المسئولية التي حُمْلتها وخصوصاً كان الناس يعتقدون أن الزواج أو الخطبة قد تكون سبباً للهو وتضييع الوقت واهمال الدروس.

عدت إلى القاهرة لمواصلة الدراسة وكانت تصدر في القاهرة كثير

من الصحف وكنت أنا ممن يقرأون جريدة الجمهورية وكانت هذه الجريدة ورئيس تحريرها انور السادات قد اختطت طريقاً تنشر بواسطته كتب التراث . إذ كانت كل اسبوع تصدر ملزمة من كتاب من كتب التراث ،السيرة النبوية لابن هشام مثلا وهذه الملازم صالحه لإن تجمع في كتاب في نهاية الأمر. وهكذا استطعت بهذه الطريقة أن أجمع كتاب السيرة النبوية لابن هشام والأغاني لابي الفرج الاصفهاني وكتاب صحيح البخاري في الحديث . وكانت هذه الجريدة تصدر مع كل عدد من اعدادها كوبوناً يحمل رقماً. وكنت اجمع هذه الارقام وكانت نهاية كل شهر تدخل هذه الأرقام السحب عليها كأنها ورقة يانصيب وصدف أن كان نصيبي أن أفوز بالجائزة الثانية وقدرها 500جنيه مصري في أحد أشهر 1960. وهذا المبلغ بحد ذاته يعتبر ثروه في ذلك الوقت وقد أودعته في صندوق البريد للتوفير كعادة المصرين في ذلك الوقت . وعندما تسلمت المبلغ اخذوا منه قيمة الضريبة ومقدارها 125 جنيها.

وكان معي الصديق عطا الله الشبيل بني حسن. عند استلام قيمة الجائزة وكحلوان الجائزة دعوته على حفلة اضواء المدينة التي كانت تحييها شهرياً الاذاعة المصرية وكان يشترك فيها معظم مطربي ذلك الزمان ما عدا عبد الوهاب وأم كلثوم ، وفريد الأطرش .

أما باقي النجوم والفنين والمغنيات فكانوا يشاركون فيها وهذه هي المرة الوحيده والأخيرة التي احضر فيها مثل هذه السهرات .

بعض الناس ممن يعرفوني طمعوا بالحصول على المبلغ أو على جزء منه لأنه مبلغ كبير وكان أحد ابناء غزه لديه مطعم حمص وفلافل في مصر الجديدة وفي يوم كنت في مطعمه اتناول عشائي وكان أول من يجلس على طاولتي ويرحب بي ترحيباً لم أعتده من قبل وبعد أن شكرته على استقباله لي طرح علي فكرة أن اشاركه في المطعم وأعطيه جزء من الجائزة ولما رفضت لجأ إلى التهديد المبطن وهنا صحت فيه وغادرت مطعمه ولم أعد إليه.

وهكذا أصبح لدي مبلغ كبير في عرف ذلك الزمان وعلاوة على المنحة الشهرية من الحكومة المصرية ولذلك عشت في بحبوحة ولكن باعتدال وتوازن.

ولقد بقي معي شيء من هذا المبلغ عندما تزوجت 1961 وكنت احتفظ فيه في صندوق توفير البريد.

استأجرت غرفه مفروشه في شارع أبو سمبل في ميدان الجامع بمصر الجديدة .

وأثناء 1959 ، 1960، 1961 لحين زواجي كنت اسكن قرب ميدان الجامع لدى سيدات مسنات ارمنيات أو يونانيات ليس لهن أزواج أو أبناء ويقمن بتأجير غرف مفروشة من شققهن كوسيلة للعيش وكانت في الغالب أجرة الغرفة المفروشة مع الغسيل تكلف ستة جنيهات مصرية أكثر أو أقل قليلاً. نعم أن الحياة في مصر كانت رخيصة وفي متناول الجميع إذ كانت الجنيه لا تزال تتمتع بقوة شرائية معقولة ومتطلبات الحياة الأساسية متوفرة كالخبز والأرز واللحوم . سواء كانت لحوم الأغنام أوالابقار قندوس أوبتلو. لحوم دواجن وارانب وأسماك وكانت هذه المواد رخيصة جداً خصوصاً الدواجن والأسماك وكانت الأقة من اللحم الضأن أذكر 28 قرشاً صاغ والأقه كما أظن كانت 2 كغم . بشكل عام كانت الحياة في أواخر خمسينات القرن العشرين وبدايات الستينات مقبولة ويستطيع الإنسان أن يعيش بمستوى دخل بسيط. وهذا أيضاً ينعكس على الملبوسات والمواصلات وكل أسباب الحياة.

في عطلة صيف 1961 رجعت إلى الأردن وقررت أن أتزوج في هذه السنة وكذلك والد زوجتي حبذ زواجي وأعطى موافقته على ذلك وكذلك أخي تركي وافق على زواجي . أذن لم يبق إلا تدبير أمر المهر ودفعه إلى والد زوجتي واستطعت أن أدبر المهر وبعض المال الآخر من أجل سفري إلى مصر.

في تلك أيام وأنا في دير ابي سعيد برفقة أخي تركي من أجل توفير مقدار المهر. كنا نجلس عند أخي صالح الكليب وإذا رجل من أهل تبنه قد جاء يسأل عني ، أدخله الأخ صالح إلى ديوانه وعند سؤاله عن غرضه معي ، قال الرجل: أن الحاكوره التي اشتراها من صالح الكليب على بيادر تبنه والتي اعطيت لصالح الكليب إكباره لا يزال للدكتور "يقصدني" حصة فيها ولم يسجلها علي.

هنا اغتنمت هذه الفرصة وحاجتي إلى النقود فقلت نعم انني على

استعداد أن اسجلها إذا دفع لي ثمن حصتي . وفعلاً دفع المطلوب منه وقمت بتسجيلها عليه علماً بإن أخي صالح حاول إن يأخذ الثمن بحجة أنها اعطيت له أكباره وباعها وقبض ثمنها في حينه.

تمت حفلة العرس البسيطة يوم 1961/8/17 حيث كان عمي أبو جعفر يسكن مستأجراً في جبل اللوبيدة في دار أبو فؤاد القسوس ومن هناك خرجت العروس معي وسافرت إلى أحد فنادق رام الله وكان الذي يقود السيارة السيد جعفر ابن عمي ومعه زوجته انتصار نزار المفلح وصلنا إلى رام الله في الساعة الحادية عشر ليلاً عاد جعفر وزوجته إلى عمان.

مكثنا في رام الله ثلاث ليالي ثم استأجرت سيارة من رام الله إلى عمان. بتنا ليلة في عمان وبعدها سافرت إلى المفرق. هناك في المفرق قام أخي تركي ودعا أخوانه وابناء اخوانه على الغداء.

بعد بضعة ايام سافرت ومعي زوجتي إلى مصر في يوم 1961/8/27 وصلنا القاهرة ونزلنا لوكنده جميله في مصر الجديدة اسمها "فيلاروزا" بقيت فيها حوالي ثلاث ليالي وبعدها استأجرت شقة جديدة لم تسكن من قبل في شارع الدير البحري المتقرع من شارع عبد العزيز فهمي وكان صاحب العمارة السيد كامل أمين أبو جورج يسكن في شقة في نفس العمارة. كانت أجرة الشقة تسعة جنيهات شهرياً وقد فرشتها فرشاً بسيطاً ولكن يفي بالغرض وبعد سنة من إيجار الشقة أصبحت اجرتها ستة جنيهات إذ كان القانون يعطي للمالك أن يؤجر السنة الأولى كما يحلو له ولكن بعد سنة من الإيجاره يقدر الايجار الدائم وهكذا بعد سنة أصبح ايجارها ستة جنيهات شهرياً...

طبعاً قبل سفرنا إلى القاهرة قدم عمي والد زوجتي المهر كاملاً وزيادة وقد حولت كامل المبلغ مع الذي معي إلى الجنيه المصري إذ كان الدينار الأردني يعادل جنيها مصرياً وربع جنيه.

في بادئ الأمر حسبت ان الزواج والزوجة سوف يأخذان كثيراً من وقت الدراسة والجامعة ولكن اكتشفت كم أنا مخطئ وأن الزوجه كانت خير معين لي على الدراسة وعلى الاستقرار النفسي والشعور بالمسئولية الكبيرة إذ اصبحت مسئولاً عن عائلة وعلي القيام بواجباتها، وأن علي أن

أبذل كل جهد ممكن وطاقة لتوفير جو أسري محبوب ولأغني زوجتي عن الأهل والأصحاب في ديار الغربه وكذلك لأن اتقدم في دروسي لأنهي دراستي بأقرب وقت ممكن وكان لي ما اردت ولم تمض اشهر قليله حتى اصبح لنا اصدقاء من اسر مصرية نحترمها ونمضي معها بعض الوقت أوقات فراغنا وكان ابو جورج المدعو كامل أمين وزوجته أم جورج خير الأصدقاء ولا تزال صداقتهم ممتدة إلى هذه الأيام بعد أن كان أطفالهم صغاراً كزغب القطا واليوم هم أصحاب أسر وعائلات وفي كل مرة نزور فيها مصر. نزورهم ونتصل بهم.

ولا أنسى عندما كنت مبعوثا إلى مصر في جامعة الاسكندرية السنة الدراسية من تاريخ شهر أب 1978 – شهر أب 1979 جاءت عائلة أبو جورج لقضاء عطلة الصيف في الاسكندرية ولذلك كانت عائلتي زوجتي وأولادي في الاسكندرية يقضون عطلة الصيف أيضاً هناك التقينا مرة ثانية وأمضينا وأطفالنا وأطفالهم أياماً ممتعة في مدينة الاسكندرية. وكانت الاسكندرية مدينة جميلة ليست مكتظة بالسكان كالقاهرة في ذلك الزمان كان يسكنها فقط قرابة المليون انسان ولذا كان المرء يشعر أنه يستطيع أن يتنفس فيها براحة وليس كالقاهرة التي كانت تضيق بساكنيها وتشعر أن الهواء قد نفذ منها لكثرة السكان في تلك الأيام إذ كان سكان القاهرة يزيدون على العشرة ملايين نسمه.

– أخذني الاستطراد :

كانت حياتي الجديدة كمتزوج أفضل بكثير من حياة العزوبيه إذ أصبح لي بيتاً فيه زوجة تنتظر ولذا زادت مسئوليتي تجاه البيت واصبحت حياتي أكثر استقراراً ومتعة وأصبحت زوجتي أنيسي ومؤنستي في ليالي الدراسة الطويلة والصعبة وكانت زوجتي تبذل جهدها لتخفيف هم الدراسة وعبئها وتشد على ذراعي.

حملت زوجتي بطفلها الأول حيث انجبنا اسامة ولدنا البكر في 1962/11/7 وكانت طبيبتها الدكتوره عزة النجار في مستشفى هليوبولس في ضاحية مصر الجديدة حيث كنا نسكن وكانت ولادة متعسرة وصعبة ولكن طبيعية حيث أن الطبيبة اصرت على الولادة الطبيعية ودون

اللجوء إلى العملية القيصرية على الرغم من الخطورة والصعوبة التي صاحبت تلك الولادة.

وفي النهاية الله سلمَّ ووضعت طفلنا الأول.

حياة الزوجية علاوة على الاستقرار والنفس المرتاحة خلقت اجواء جديدة من العلاقات والاهتمامات التي لا يمكن توفرها حياة العزوبية. كذلك اصبح من الطبيعي أن أدعو بعض الزملاء على الغداء والعشاء من الطلبة المقاطيع والمساكين وكنت أشفق عليهم ولذا كنت استغل شهر رمضان المبارك وأدعو بعضهم على الأفطار... نعم الست صاحب بيت وزوجة ومسئولية وعليه عتب.

وأن بعض الزملاء لا يزال للآن يذكر تلك الدعوات والأفطارات للآن.

سارت حياتي الزوجية والدراسية بشكل جيد حيث أنهيت دراستي الطبية 1964 واصبحت استعد لقضاء سنة الامتياز أي سنة التدريب في مستشفيات كلية الطب.

أنني من يوم أن غادرت الأردن إلى القاهرة سنة 1961 لم أعد إلى الأردن بينما كانت زوجتي تسافر سنوياً إلى الأردن. في هذه سنة 1964 وجدت من المناسب وقبل البدء بالامتياز أن أمضي بعض الوقت في بلدي الأردن بين أهلي وأحبائي وصلنا إلى الأردن يوم 1965/1/5 حيث كان نسيبي والد زوجتي يسكن في بيته الجديد في جبل الحسين قرب دوار فراس العجلوني "دوار مكسيم سابقاً" قضيت ليلتين في ضيافة عمي أبو جعفر حيث كنت أعتزم السفر إلى حيث يقيم أخي تركي في المفرق لأنني مشتاق لهم ولوالدتي هنا في هذه الليلة قال لي عمي بعد مقدمة طويلة في الحديث مما جعلني أشعر أن أمراً خطيراً قد حدث وليس لي علم به عندما استعجلت عمي بالحديث ورجوته أن يطلعني على جلية الأمر لأن التوتر قد بلغ بي مبلغه فقال لي عندها تعيش أنت: فقلت بمن؟؟ قال بالوالدة. شعرت أن شيئاً ثقيلاً هوى في داخلي وسبقتني دمعتان من عيني ... وبعد كلمات التعزية المعتادة في مثل هذه المناسبات لمحاولة تخفيف وقع المصيبة تجرأ عمي ليخبرني خبراً أخر وإليماً أيضاً وكأنه قال في نفسه لماذا نجعله يتفاجأ لذا لأخبره الخبر الأخر وهو وفاة أخي الكبير فلاح الكليب (أبو رضا) هذا الخبر زاد من وقع المصيبة والفاجعة وهو لها

عندها قلت لعمي وأنا ذاهل هل هناك أخبار أخرى من مثل هذه الأخبار! قال لي : لا سلامتك . في الصباح التالي سافرت إلى المفرق وكان الجور بارداً وقارساً ولكن كل شيء يهون في سبيل السرعة بالسفر وتركت زوجتي وابني إسامه عند أهلها وصلت المفرق وأنا أكاد أطير شوقاً لملاقات أخي وأهله ومن بعد أخواني.... ويالها من مفاجئة من الحالة التي وجدت عليها أخي الكبير تركي والذي له في النفس كل الحب والتقدير أقول كان في حالة صحية مريعة تُركي العفي القوي والجميل لم يبق منه شيء وأصبح كأنه العودالجاف وبياض عينيه مخضرتين ووجه قد غادرته اثواب العافية والصحة ونضرة الشباب هالني هذا المنظر وهذه الحالة التي وصل إليها تركي وبعد السلام المشتاق بادرته في السؤال عن هذه الحالة وما الذي أوصله إليها. فقال لي اخبرني الطبيب أن هناك انسداد في المرارة وأن الأمر سهل. في الصباح التالي بادرت بالذهاب إلى الطبيب الذي يعمل بالمفرق وكان اسمه سليمان مدانات ولما سألته عن أبو حلمي وحالته اجابني بكلام لا يجلب الطمأنينة والراحة إلى النفس وانني اخشى أن يكون هناك مرضاً خطيراً طمأنت أخي على حالته الصحية ولكن قلت له لا بد من الذهاب إلى المستشفى للفحص والاطمئنان أكثر... وهكذا صحبته إلى المستشفى العسكري الرئيسي في ماركا حيث لم تكن قد انشئت مدينة الحسين الطبية " وهناك عاينه الطبيب العسكري الجراح كارلوس دعمس وكان مساعداً له الدكتور اسحق مرقه الذي انهىُ واتم دراسة الجراحة في بريطانيا وعاد حديثا للأردن.

ادخله المستشفى وقد تقرر له عملية استكشاف في اليوم التالي. ادخل إلى غرفة العمليات واجرت له عملية استكشاف. وجدوا أنه مصاب بسرطان الغدد للمفاويه وأن المرض منتشر ولا يستطيعون عمل أي اجراء جراحي له . لقد أصبح على عانقي حملٌ عبء ثقيل إذ عليَّ أن اجلب له الطمأنينة والراحة وقد بذلت الكثير من تجلدي وصبري وحزني على أخي الكبير وقد بذلت كل وسائلي في سبيل جلب الطمأنينة إلى نفسه الست أخوه الطبيب كذلك. ومع مرور الأيام أصبح النوم عليه عصياً ولذا احضرت له حقناً منومة وكنت احقنه في الليل حقنة منومة فتجلب له النوم اعتسافاً وغصباً فيبقى نائماً ساعات قليلة ليعود مستيقظاً ومتوتراً ويشهد

الله أنني كنت أبذل الكثير من إظهار التجلد والتفاؤل والاطمئنان علني أجلب له بعض الراحة. وأخيرا تقرر أن يُعالج شعاعياً وحينها لم تكن الأشعة العلاجية متوفرة في عمان أو في الأردن ولذا يجب عليه السفر إلى بيروت... هنا برزت مشكلة الموافقة على معالجته خارج الأردن ، إذ أن طبيب الأشعة التشخيصية في المستشفى الجراحي سابقاً والبشير لاحقا د.حسان عبده أعلمني أن لا يوجد أي اختصاصي يمكن أن يقوم بهذا العلاج على الرغم من قول البعض أنه يستطيع ذلك. كان مدير صحة العاصمة د. توفيق كرادشه وقد قام عمي عبد الكريم العقلة في الحصول على تقرير طبي موقع من اللجنة الطبية العلاجية وبموافقة وزير الصحة الذهاب به للعلاج في بيروت فذهب برفقته أخواه صادق وشريف للمعالجة في بيروت وقد دفعت خمسين ديناراً مساهمة مني في هذه الرحلة. إذ كان السيد جعفر عبد الكريم العقله مديراً لمؤسسة الأقراض الزراعي في إربد واستطعت الحصول على قرض من المؤسسة قيمته خمسمائة دينار أردني (500) وهذا المبلغ القرض كان خير عون لي لإكمال سنة الامتياز في مصر حيث كنت اتقاضى خمسة عشر جنيها مصرياً كراتب لي وهكذا عدت إلى مصر مع زوجتي وطفلي اسامة للألتحاق بالمستشفى من أجل انهاء سنة الامتياز وكان السفر يوم 1965/2/21 عدت إلى مصر وأنا مشغول البال ومكدود النفس على أخي الكبير والذي هو بمثابة الوالد الثاني وأنا بين القنوط والرجاء بمعجزة تنقذ أخي من براثن الموت وكان مرض السرطان في تلك الأيام لم يكن منتشراً وشائعاً مثل هذه الأيام.

وكذلك تكاثر عدد أطباء الأشعة العلاجية وتقدم هذا الاختصاص وأصبح مركزه في مستشفى والبشير واثناء خدمتي في مستشفى البشير 1988 كمديراً له زودته الوزارة بالمسارع النووي من اجل العلاج الشعاعي وأصبح البشير يستقبل حالات السرطان والعلاج كان مجاناً وعلى حساب الوزاره ، ثم انشيء مستشفى الأمل بجهود خاصة وشعبية من أجل هذه الغاية ثم تحول اسمه إلى مؤسسة الحسين للسرطان وأصبح تحت رعاية الحكومة بشكل مباشر بعد أن تغيرت إدارته السابقة وأصبح الأن يبشر بمستقبل واعد بعد أن اهتمت به الدولة وقامت على توسعته وتجهيزه بالكوادر والأجهزة حتى يماثل أخوانه من فروع الطب الأخرى

المزدهرة في الأردن الأن.

وهناك الأن مشروع جديد لبناء مستشفى يحمل نفس الاسم.

أول يوم لي دوام كطبيب إمتياز كان في مستشفى باب الشعرية وهي منطقة في قلب القاهرة القديمة ومزدحمه بالسكان بشكل كثيف وأول يوم كطبيب امتياز لي كان في قسم الطوارئ ، ذهبت إلى هذا القسم مع الطبيب النائب أي الطبيب المقيم جراحة".

وكان الزحام على اشده وجميع أنواع الحالات المرضية وكأن الأمراض قد فارقت العالم أجمع وجاءت إلى طوارئ باب الشعرية طلباً العلاج والشفاء كان حظي أن أتعامل مع حالة جراحية رجل وقد تشاجر مع آخر، وشج رأسه جرح رضي كبير والدماء تنزف غزيره ، والنائب الطبيب يرقبني كيف اتعامل مع هذه الحالة.

اسعفته وعصبت رأسه، لا يقاف شلال الدم وبدأت أكتب له طلب تصوير أشعة من أجل تصوير الجمجمة. هنا تقدم النائب مستسفراً عما أعمل فقلت له أريد أن أجرى صورة شاعية لراسه خشيه أن يكون هناك كسر في الجمجمة. هنا قال لي الطبيب النائب "إذا أردنا تصوير كل حاله كهذه الحالة شعاعياً فلن يبقى أفلام أشعة في مصر ولا يستطيع قسم الأشعة أن يتعامل مع هذا الكم الهائل من البشر. فقلت مستوضحاً إذن ماذا أعمل : قال سوف أريك ماذا تعمل: أجلس المصاب على كرسي وطلب من الممرض اعطائه مشرط وقام بتوسعة الجرح هكذا بدون بنج:البنج المستعمل في هذه الحالة كان قوله للمريض أو المصاب (أجمد يا راجل/ وبقى يعمل هكذا برأس المصاب حتى وصل إلى عظم الجمجمة وأزاح غشاء العظم ثم نقر على عظم الجمجمة بعجز المشرط وقال اسمع.... اترى.... أن العظم سليم والآن عليك بخياطة الجرح وتضميده.

وهكذا اصبحت أتعامل مع كل حالة مشابه بطريقة الاستشكاف هذه في الطوارئ كان هناك يوماً للمرضى الذين يعانون من الخراج (الدمامل) والدمل والخراج في الانجليزية اسمه البسس (Abcess) أي هناك يوم يقال له يوم الأباسس وتتم عملية فتح الخراج هكذا وبدون بنج وإينما كان موقع هذا الخراج كذلك كان هناك يوم في الطوارئ اسمه يوم التنظيفات أي اجراء عملية كحت وتنظيف للنساء اللواتي يعانيين من بعض مشاكل

الأمراض النسائية وأيضاً هذه العملية كانت تتم بدون بنج ولكن في غرفة العمليات الصغرى اشهد أنني تدربت في هذا المستشفى على أعمال طبية وجراحية كثيرة قد لا يمارسها البعض إلا بعد سنوات وسنوات من التخرج إذ أصبحت أجري كثير من العمليات الصغرى والمتوسطة في المستشفى مثل الزائدة الدودوية والفتق الإربي بأنواعه والبواسير وغيرها من العمليات الجراحية. وقد ساعدت الاختصاصين في كثير العمليات الكبرى وهكذا بعد فترة وجيزه من التدريب اشهر لا أكثر استطعت التعامل مع مختلف الحالات المرضيه التي تمر علي في المستشفى واصبحت اثق بنفسي وبحسن تدريبي وأن أيام الدراسة في الجامعة هي نظرية فقط أما الطب وتعلمه فهو هنا في المستشفى وقد لاحظت هذا وعشت في مستشفيات وزارة الصحة الأردنية فالطبيب المتدرب جيداً يستطيع أن يمارس المهنه بمنتهى الثقة والجدية على عكس الذي مارس المهنة بعد التخرج وبدون هذه السنة التدريبية و"الامتياز".

أول يوم داومت فيه في المستشفى رتب لي الطبيب المسئول مناوبة مسائية في المستشفى أعلمته أنني لا استطيع أن أناوب هذه الليله إذ خرجت من البيت وزوجتي لا تعرف بأمر هذه المناوبة وخصوصاً لم تكن التلفونات شائعه في تلك الأيام وخصوصاً التلفون المحمول ولذا سوف أناوب الليلة القادمة. وهكذا اصحبت أيام مناوبتي بالمستشفى معروفه لزوجتي، امضيت في مستشفى باب الشعرية ستة شهور ومن بعدها نقلت إلى مستشفى العباسية وهو مستشفى الجامعي لجامعة عين شمس.

أثناء هذه الأيام كنت دائم السؤال عن أخي تركي وعن اوضاعه الصحية ويأتيني الخبر لا بأس بحالته الصحية ولكن لم أكن ارتاح. أو اطمئن إلى هذه الاخبار إذ كنت دائم التفكير فيه وكثيراً ما رودتني الأحلام المرعبة حياله وأقول عسى أن تكون خيراً.

في أحد أيام شهر حزيران من 1965 جاء لزيارتنا شقيق أم إسامة السيد حسان العقله في طريق سفره إلى لندن. وبعد ان استقبلناه بالمطار ذهبت لأحضار سيارة أجره وعند عودتي رأيت أم إسامة تبكي بحرقه شديدة عرفت في الحال وقلت مات تركي... كانت صدمة شديدة زلزلت كياني على الرغم من توقعي هذا ولكن مصيبة الموت والفراق كبيرة

وحراقة وخصوصاً إذا كان المتوفي إنسان يعز عليك وتكن له كل الحب والمودة وتركي كان من خيرة الشباب وانبلهم وأكرمهم. اعتذر حسان عن هذا الخبر وقال كنت أظن أنكم تعرفون.

ما أصعب وقع المصيبة على الإنسان وهو في ديار الغربة إذ لا أنيس ولا جليس معزياً ولا مواسياً. إذ عليك أن تتجرع كأس الأسى و الألم والحرقة وحدك. إذ أذكر هنا قولاً لنزار قباني عندما فقد غزيزاً عليه في ديار الغربة أظنه ابنه مات في مستشفى بريطاني صور هذا المشهد بكثير من الحزن والوجد والألم المشبوب المبرح وقال كل ما قالوه لي نحن اسفون ومضى كل واحد في طريقه لا يلوي علي ولا على المي شيئا أين منها عادات وتقاليد بلادنا الجميلة من مشاركة المصاب وتعزيته وحمل بعض الآمة وهمومه.

انقطعت عن المستشفى ثلاثة أيام وطالت لحيتي وعند دوامي في المستشفى قالو لي الكلمات المعتادة في مثل هذه الحالة وهكذا طويت صفحة وصحيفة أبي حلمي عليه رحمه الله في الثامن والعشرين من شهر نيسان من 1965، 1965/4/28).

نقلت كما اسلفت إلى مستشفى الدمرداش (العباسية)وهو المستشفى الجامعي التابع لجامعة عين شمس.

داومت في مستشفى الدمرداش الجامعي التابع إلى كلية طب عين شمس وهذا المستشفى ضخم وكبير يضم مئات الاسره وفي أول شهر دوام لي فيه كان في قسم النساء والتوليد ولا زلت اذكر أنه في ليلة من ليالي دوامي كلفني الطبيب النائب "المقيم" أن اقيس أو آخذ ضغط الدم للحوامل في قسم الحوامل كل نصف ساعة مرة فامضيت تلك الليله ساهراً آخذ ضغط الحوامل حيث كنت ما أكاد انتهي من أخر حامل حتى يكون قد جاء دور الحامل الأولى التي أخذت ضغطها وهكذا دواليك.

طبعاً كان آخذ ضغط الحوامل في غاية الاهمية إذ أن الضغط المرتفع يكون أحد علامات ما قبل التسمم الحملي.

أخيراً وافقت كلية الطب أن تسمح لمن اراد أن يعود إلى بلده قبل نهاية سنة الامتياز وهكذا قررت أن أعود إلى الأردن بتاريخ 26/أيلول/1965 وفي 1965/10/25 صدرت الارادة الملكية بتعيني في

الدرجة الرابعة في وزارة الصحة إذ كان يجب على الطبيب أن يعمل لمدة سنتين في وزارة الصحة أو الخدمات الطبية الملكية وهكذا تم تعيني في وزارة الصحة وطلبت أن يكون عملي في المستشفى الجراحي في الاشرفية (البشير) لانني كنت أحب الجراحة وذلك الشعور الذي يخالج الجراح عندما يجري عملية لإنسان ما يعاني من مرض ما كم هي فرحته وسروره وكان لدينا نحن الاطباء قول شائع.

الجراح لا يعرف شيئاً ويعمل كا شيء.

"الأمراض الداخلية" يعرف كل شيء ولا يعمل شيئاً .

وأما اختصاصي الجلدية: فلا يعرف شيئاً ولا يعمل شيئاً طبعاً ما كتبت أعلاه من قبيل الدعابة.

استأجرت في عمان أول طلوع جبل الحسين من جهة العبدلي في بيت السيد عبد الحليم الساكت وكان بيتاً فسيحاً جميلاً من الحجر الاحمر المنحوت وكان في حينها لدينا ولدنا الجميل اسامة وزوجتي كانت حامل بابنتنا اميمة .

كانت اجرة المنزل في ذلك الزمان خمسة وعشرين ديناراً أي ربع الراتب بالتمام والكمال.

وكذلك اثثت بيتي بأثاث جميل من منجرة السيد فرحان الشحا تيت بتقسيط شهري مريح وكان اثاثاً جميلاً ومتيناً وما تبقى من الراتب فكان هو المصروف الشهري.

ولم يكن لدي سيارة ولذا كنت اذهب إلى دوامي في سيارات الاجرة كانت زوجتي وولدي يقضون أيام مناوبتي في المستشفى في بيت أهلها المعروف على دوار فراس ولم يكن بعيداً عن بيتنا لذا كنا نذهب إلى بيت والد زوجتي مشياً على الاقدام.

في أول يوم لي دوام في مستشفى الاشرفية كان الجو متوتراً بسبب الاطباء المحدودي العدد فيه وهم مدير المستشفى د.جميل مرقه – مساعده د. سليمان دحابره – طبيب مناوب د. طلال عبد الرزاق خريسات وجاء تعيني لأكون الطبيب المناوب الرابع أما اختصاصي التخدير معالي د. موفق ناصر الفواز الزعبي فكان الوحيد في المملكة وكل من كان موجوداً فهم فنيو تخدير وكذلك طبيب اشعة تشخيصية وحيد هو د. حسان

عبده في تلك السنة 1965 كان رئيس الوزاء الاستاذ وصفي التل وقد أصدر مجلس الوزاء قراراً لتفرغ الاطباء العاملين مع وزارة الصحة وأغلاق عياداتهم الخاصة وتقرر منح الطبيب غير المقيم أو غير المناوب علاوه بدل أغلاق عيادته 70% من الراتب الاساسي و 25% بدل عمل مسائي من مجمل الراتب والذي لا يوافق على هذا الترتيب يستطيع أن يقدم استقالته وهكذا فقدت الوزارة خيرة اطبائها على قلتهم ومحدودية عددهم واختصاصهم.

وهكذا كنت اتقاضى راتب بداية الدرجة الرابعة 54 ديناراً و70% بدل تفرع ولكن لا اتقاضى بدل دوام مسائي لأنني أصلاً طبيباً مناوباً وهكذا كان راتبي مع هذه العلاوه مع علاوة الزوجة والطفل خمسة وتسعين ديناراً لا غير .

رحب بقدومي الزملاء وخصوصاً الطبيب المناوب لأنه اخيراً جاء من يسنده ويخفف العبء عليه وهكذا اصبح العمل بالتناوب معه وأبيت في المستشفى ليلة مناوبتي. كان المستشفى الجراحي محدود العدد مائة وعشرين سريراً ولكن كان الضغط عليه كبير وكنا نقوم بجهد كبير ولكن بنفس راضية واريحية مطلقه وكان الاتفاق سائداً بيننا جميعاً .

كان هناك مباني أخرى في حرم المستشفى مثل مستشفى الامراض الصدرية – وسكن الممرضات والمطعم للمرضى والممرضات والاطباء والمناوبين.

طبعاً زوجتي ليلة مناوبتي تبيت لدى أهلها. كان أكثر ما يزعجنا أن الاذاعة الاردنية والصحف تعلن يومياً أن الطبيب المناوب المستشفى الجراحي وكان في هذا الاعلان خطأ كبير إذ أن المقصود بالمناوبة هي مناوبة الطب الشرعي إذ كان طبيباً من مديرية صحة العاصمة يأتي لمناوبة الطب الشرعي في المستشفى الجراحي اثناء ساعات الليل الأولى.

لكن هذا الاعلان كان مبهماً وغير مفهوم لدى الاخوة المواطنين ولذلك كانت أية حالة يرى صاحبها أو قرابته أنها بحاجة إلى المستشفى يأتي بها إلى المستشفى الجراحي وكان هذا يسبب لنا كثيراً من الضيق والحرج لدى الاخوة المواطنين عندما نعلمهم بان حالاتهم تستدعي اختصاصات اخرى وعليهم مراجعة تلك المستشفيات التي كانت متناثرة

هنا وهناك في عمان.

وهكذا اصبح الطبيب المناوب كأنه مصفاه يصنف الحالات الطارئة ويقوم بإعادة تحويلها إلى لاختصاصي المناسب في المستشفى المختص.

لا أرى بأساً من أن اذكر هذه الحادثة في ليلة من ليالي المستشفى الجراحي اثناء مناوبتي وكانت نافذة غرفة نومي في المستشفى تطل على ساحة قسم الطوارئ . وإذا فجأة يرتفع صوت صراخ وعويل وبكاء شديد. طبعاً استيقظت وانتظرت أن يأتيني ممرض الطوارئ لينقل لي جلية الخبر وكان ممرضاً نشيطاً وكفوءاً. أتاني ذلك الممرض واخبرني أن الحالة لرجل في أواسط العمر وانه متوفي نتيجة جلطة قلبية حادة.

استوثقت منه فأكد أن الرجل متوفي ولا استطيع أن أقدم له شيئاً فقلت له اذن ادخله إلى الغرفة السوداء (غرفة الأموات) بعدها لم استطع أن يغمض لي جفن ولعل الممرض مخطأ ولعل الرجل في حالة غيبوية نهضت من فراشي. وطلبت من ذلك الممرض اصطحابي إلى غرفة الأموات . ذهبت إلى هناك وقمت بالكشف عليه والتأكد من وفاته اطمأن بالي وعدت إلى فراشي.

كانت أيام ممتعه التي قضيتها في المستشفى وكذلك ازددت تدريباً واصبحت أكثر ثقة بقدرتي الجراحية واصبحت أجري كثيراً من العمليات المتوسطة وساعدت في كثير من العمليات الكبرى. كما قلت عددنا كان محدوداً وضغط العمل كبير يتطلب الاهتمام والمهاره والقيام بالواجب الملقى على عاتق هذا العدد البسيط من الكوادر الطبية المختلفة.

في 1965/12/28 رزقت بأبنتي اميمه أنجبتها والدتها في مستشفى الشفا في جبل الحسين والذي كان مملوكاً للدكتور رضا السباسي أبو مازن وما أن اخرجت من المستشفى حتى اكشتفنا أن الطفله الوليدة تعاني من كسر في عضدها. فاخذتها إلى المستشفى الجراحي وهناك وضعنا جبيره لها حتى شفيت تماماً.

في أحد الأيام زارني أخي عبد الله باشا وكان برفقته الشيخ محمد المنور الحديد (أبو عفاش) وهذه هي المرة الأولى التي ارى فيها أبا عفاش إذ كانا يقومان بزيارة مريضه قضائية واصيبت بعاهة دائمة ليقدروا لها قيمة التعويض في هذه الاثناء طلب أخي عبد الله أن اطلب

النقل إلى اربد استعداداً وتهيئة لترشيحي للمجلس النيابي . فعلاً قدمت طلب للنقل إلى اربد وكان في حينها وزيراً للصحة د. أحمد أبو قوره.

اتصل بي معالي وزير الصحة ما الأسباب التي جعلتني اطلب النقل وهل هناك مشلكه أو فقط بناء على رغبتك كان الطلب فقلت لمعاليه أنني أنا راغب في النقل فقط وعندها وافق على نقلي بتاريخ 1966/7/1 كمساعد جراح في مستشفى الاميرة بسمه وكان المستشفى متواضعاً بعدد اسرته إذ كان مستشفى عاماً فيه اختصاصات الجراح والامراض الداخلية – والأمراض النسائية – والاطفال أما الامراض التي تحتاج إلى جراحة فكان الجراح يقوم بها مثل امراض النسائية والتوليد وجراحتها وكذلك امراض العظام.

الان اصبحت لا أبيت بالمستشفى بل هناك أطباء مقمين آخرين وأنا اشرف عليهم وكذلك اصبحت اتقاضي علاوة بدل الدوام المسائي 25% وكان للزياده في الراتب شأن مفيد.

كما اسلفت فإن نظام التفرغ للأطباء أوجد فراغاً وحاجة للأطباء وخصوصاً الجراحين .

سكنت في مدنية أربد في بيت يقع في شرقها وكان بيتاً مستقلاً فيلاً لم يسكن به أحد قبلي وكانت اجرته الشهرية عشرون ديناراً.

أصبح اسمي يطرح في مختلف بلدات وقرى محافظة اربد وخصوصاً بالكوره. في مستشفى الأميره بسمه كان هناك جراحاً ليس بمستوى الضغط والعمل الكبير المطلوب من المستشفى واذكر في بدايات عملي بالمستشفى ان جاءت امرأة حامل وتحتاج إلى عملية قيصرية اكيده وأنا كجراح تدريبي كان في الجراحة العامة استطيع ان افتح البطن واستطيع ان خيط الجرح واجرى عملية جراحية صرفه ولكن عملية قيصرية لم اتدرب عليها من أيام الامتياز في مصر. كان مدير المستشفى غير جراح ولكنه شجعني ووقف بغرفة العمليات تشجيعاً لي ولم يكن هناك أي مجال الا إجراء العملية في المستشفى إذ كان هو المستشفى الوحيد في اربد.وكانت حاله خطيرة بين الموت والحياة.

وما كان مني إلا أن توكلت على الله وقمت بالعملية القيصرية واخرجت المولود سالماً معافى وكذلك اغلقت الرحم والجرح وتشافت

بعون الله تلك المرأة ومن يومها اصبحت ازاول هذ العملية بكل يسير وسهولة ولكن لم يمضن وقت طويل حتى نقل ذلك الجراح من المستشفى وجيء بجراح جديد وكفوء كان قد جاء من بعثته الدارسية في المملكة المتحدة ويحمل شهادة زمالة كلية الجراحين الملكية التي حصل عليها بعد أن أمضى سنوات تدريبه في مستشفيات وزارة الصحة الأردنية وكذلك عين اختصاصي نسائية جديد قد جاء من الولايات المتحدة وهكذا خف العبء علي كثيراً وأصبح هناك اطباء اكفاء يحملون هذا العبء الجراح الأول في المستشفى هو د.حسام المحتسب واختصاصي النسائية د. عارف زلاطيموا. وهكذا اصبح المستشفى يقدم هاتين الخدمتين على أكمل وجه واسلمه وسخت لي الفرصة أن أواصل تدريبي بشكل جيد وسليم وبكفائة عالية.

وأقول هذا ليس تباهياً ولا خُيلة ولكن هو الواقع لانني أولاً: أحد ابناء المنطقة المعروف اسم عائلته فيها وثانياً لقلة عدد الاطباء في تلك الايام وثالثاً لانني كنت أحاول أن أقدم الخدمة التي استطيعها سواء أكنت مقدم الخدمة بنفسي أو من خلال اهتمامي ايصالهم إلى موقع الخدمة ومقدمها.

رزقت بأبني الثاني أحمد بتاريخ 1966/12/28 وكانت ولادته في نفس مستشفى رضا السباسي في دار الشفاء في عمان وللمصادفة العجيبة أن اميمه ولدت في يوم 1965/12/28 وسجلتها في 1966/1/1 وكذلك أحمد في يوم 1966/12/28 وسلجته من مواليد 1967/1/1.

العمل اصبح كبيراً والجهد الذي ابذله في المستشفى مضني كوني الجراح الثاني والراتب قليل لا يوازي ولا يساوي الجهد الكبير الذي يبذل وكذلك اخي عبد الله لم يستطع ترشيحي في انتخابات 1967 فترشح هو للانتخابات وبعض خاصته لم يقروه على ترشيحي بدلاً منه أي لم يمن (يمون).

عندها قررت الاستقالة من الوزاره على الرغم من النصح الذي قدمه لي مدير المستشفى ومدير الصحة ووزارة الصحة ولهذه الاستقاله قصة سوف آتي عليها لاحقاً.

في هذه السنة 1967 بدأت نذر الحرب بين الكيان الصهيوني والدول

المحيطة بهذا الكيان تظهر وكذلك بدأت بعض المنظمات الفلسطنية تحاول أن تقوم بعمليات فدائية ضد هذا الكيان وما أن جاء شهر أيار "مايو" إلا وسحب الحرب بدأت تزداد وتتكثف واصبحت الحرب شبه أكيده واصبح الجميع يتوقعون حدوثها حتى أن مصر كأنها قبلت ضمناً أن تتلقى الضربة الأولى لا أريد أن ادخل في تفاصيل الحرب والاستعداد لها ولكن سأكتفي بما اراه مناسباً بذلك.

نحن العرب وخصوصاً الشباب كانت انفسنا تتوق للحرب ومحو الكيان الصهيوني من الوجود وتعود فلسطين حره عربيه مسلمه.

في بدايات الستينات من القرن العشرين كنت لا أزال أدرس الطب في مصر وكانت الصحف المصرية تملأ الجو والمدى باستعدادت مصر وقوة مصر وأن مصر هذه قد انتصرت بعدوان ستة وخمسين 1956 على ثلاث دول وبدأت الاذاعات تتغى بهذا الانتصار وتشذح همم الناس وحتى عدم الاشارة إلى الموقف الدولي الرافض للعدوان في ذلك الوقت وعلى رأس الرافضين امريكا بزعامة رئيسها ايزنهاور وكان احمد سعيد طبعاً على رأس جوقة المطبلين والمزمرين: وكانت الصحف المصرية كذلك تنشر الاخبار المفبركة وغير الصحيحة مثلاً نشرت الصحف في حينها وقرأ نا فيها أن هناك دوريات جوية مسلحة على مدار الساعة ولذلك لا يمكن ان تؤخذ مصر على حين غره.

كذلك نشرت الصحف أن الرئيس جمال عبد الناصر قد شارك في اطلاق صواريخ القاهر والظافر وصاروخ اخر قد يكون الناصر.

وكان مدى هذه الصواريخ الحربية القاهر والظافر اكثر من 400 كم اربعمائة كيلو متر ولما سئل الرئيس أن هذه الصورايخ تستطيع أن تصل إلى اسرائيل سكت الرئيس ولم يجب اما الصاروخ الثالث فهو صاروخ أبحاث .

اريد أن اقول اننا عبئنا تعبئة شديده وان مصر قادر ه على هزيمة اسرائيل بغضون ايام ان لم يكن ساعات وأن الجيش المصري في اليمن قد اكتسب خبرات قتالية كبيرة وقد تعمد بالدم وأن حرب اليمن كانت ايجابية له وليست عليه ومثل هذا كثير من الدجل والتدليس وقلب الحقائق.

وما ان أهل الشهر السادس من عام 1967حتى تحقق وقوع الحرب

وانها اصبحت حتماً مؤكداً .

اعلنا نحن في المستشفى حالة الطوارئ ووضعت خطة الطوارئ المعده لمثل هذه الظروف ونحن هكذا ننتظر زارنا مجموعة من المغاوير المصرية وبينهم بعض الاطباء ليطلعوا على استعدادنا للحرب واستقبال الجرحى وتحلقنا نحن حول هذا النفر المخلص وما في شك في اخلاصه .وهم يتحدثون الينا وجميعاً نشعر بالفخر وان ساعة اسرائيل قد حانت وقال الاخوة المصريون (الم نغلب ثلاث دول في العدوان الثلاثي) الآن نحن عواطفنا كانت فواره وثقتنا كبيرة بالنصر ولذا أمنا على هذا الكلام وغاب العقل والمنطق خلف سجف الدعاية والغرور والثقة الزائده عن الحد.

وقعت الحرب وبدأنا نسمع البيانات العسكرية الصادرة عن وزارة الدفاع السورية والبيانات العسكرية الصادره عن مصر فكدنا ان نطير من الفرح على اخبار الانتصار الساحق ضد العدو وان اعداد الطائرات الساقطة كالفراش على الجبهة السورية والمصرية حاول احد منا ان يستعمل عقله ويحصي عدد الطائرات الهائل الساقطة للعدو يكاد ان يقول ان هذا يخالط الكذب واللامعقول فيسكته الاخرون ويطمسون على عقله وفكره.

نحن نتظر في المستشفى ولكن لاجرحى ولا ما يحزنون وفي اليوم الثالث اظن قيل لنا إن هناك أعداداً كبيرة من الجنود السوريون في الطوارئ فهرولنا اليهم لانهم اكيد يحتاجون إلى مساعدتنا نحن الكوادر الطبية فلما رأيناهم فاذا هم جنود كالنمور صحة وعافية ولا وعثاء عليهم ولا تعب بادى على سيماهم ولما سألناهم جلية الخبر قالوا اننا لم نقاتل ولم نر اليهود ولكن لما سمعنا من الاذاعة السورية ان الهضبة سقطت (يعني الجولان) بايدي الجيش الاسرائيلي فلم يبق أمامنا الا الهرب إلى الأردن نحن كنا على الحدود الاردنية وبجوار الحمه. خاب املنا وكأنك قد رشقت وجوهنا بماء بارد مثلج اسقط في ايدينا. لكن كنا ما نزال نمني النفس والامنيات خداعة وأنني اذكر ان احداً نقل عن اذاعة العدو أن القدس قد سقطت فارتعت وهلعت واسرعت إلى مدير المستشفى وهو الخليلي العريق انقل له الخبر الصاعقة فلم يهتزله جفن وقال بكل برود ما

تسقط والخليل فوقها قالها بلهجة خليلية قح عبد الناصر سوف يعيدهن: تصور إلى هذا المدى وصل فينا الانخداع والأماني العذاب .....

للقارئ الكريم أن يتصور كيف كانت نفوسنا وكيف كانت معنوياتنا ونتلهف على سماع كلمة واحدة تعيد لنفوسنا بعض ثقتها وخصوصاً اننا لم نستقبل حالة واحده طارئة من الميدان ونحن على هذه الحال وإذا نقل احدهم ان الجيش المصري قد طوق لواءً كاملا اسرائيلياً وان هذه القوات الاسرائيلية قد ذهبت بين قتيل واسير أن قائد اللواء الاسرائيلي نفسه أسير.

انه خبر عارم بالسرور وفرح فاض من اعطافنا فلم نجد له متنسفاً نحن الشباب إلا الأهازيج والفرح والدبكة الشمالية بللنا العرق. لكن لا هذا ولا ذاك يستطيع أن يغير نتائج المعركة وبدأت المعركة نتائجها واضحة تستعصي على الدجل والكذب والتهويش. وللقارئ الكريم وخصوصاً من معايشي تلك الحقبة ان يتصور كم كانت صعبة وقاسية وقاتلة تلك النتيجه وانني قد تصورت كأن احداً أو نسراً صخماً قد حمل احدنا إلى الأعالي السحقية ثم قذف به من ذلك العلو الشاهق اللانهائي إلى الأرض الملتهبة تحتة والملتاعة. واصبحنا نطرح على انفسنا الاسئلة الحائرة ولا جواب مقنع فكفرنا بقادتنا وزعمائنا والمسئولين عن هذه الكارثة لجأنا نحن الشباب إلى محاولة التقشف والكذب على نفوسنا وعقولنا فخطنا ملابس كاكي ورخيصه وارتديناها تعبيراً عن غضبنا وسخطنا ولكن فلسطين ضاعت ومعها بلاد من أراضي عربية أخرى وقبل ان انهى هذا الفصل المأساوي ارى أن لا تفوتني ان اذكر هذه الحادثة التي تدل على ان الجندي العربي والاردني قام بما يستطيع من جهد في حدود الامكانات التي زودوه فيها فجأه جاءنا أحد من الطوارئ بخبرنا ان جندياً جريحاً في الطوارئ، جندي جريح في الطوارى؟؟؟؟اخيراً وقد توقفت الحرب وانكشفت نتائجها هرعت إلى هذا الجندي البطل فعلاً كان هناك رجل جالس في الطوارئ ولا اثار جروح بادية عليه ولما سألناه ما الخبر كشف عن بطنه وإذا كتلة لحمية كبيرة بارزة من بطنه . ولما سألناه ما هذا قال:

كنت في القدس في الشيخ جراح وقاتلنا في حدود ما نستطيع اذ ان الطيران الاسرائيلي لم يتح لنا ان نرفع رؤوسنا وإذا رفع احدنا راسه

اطاحت به الدبابات التي بدأت تسير فوق اجسادنا وخنادقنا. اذن ماذا فعلت: قال لقد اصابتني رصاصة في "بطني وبقيت ممدوداً في خندقي إلى ان انتهت الحرب وقل الطلب وخفت الرجل وإذا بعائله مقدسية تعثر علي وتحملني إلى حيث تسكن وبدأت تسعفني وتداويني ولكن من دون اطباء إذ خشيت علي وبقيت عندهم حتى اصبحت استطيع السفر ثم رحلوني على دابه وهناك مشيت على نهر الإردن مسافات كبيرة على الأقدام وكان الاجهاد بادياً عليه واقدامه متقرحة فقد جاءته رصاصة عرضية ففتحت بطنه كسكين جراح وهنا برزت احشائه الداخلية إلى الخارج وحاط بها الغشاء المساريقي فحفظها ومنع انتشار اي التهاب اليها. أجرينا له عملية وكانت احشائه سليمة تماماً وتعافى وشفي بعون الله.

كما أسلفت سابقاً قد عزمت على الاستقالة من العمل في وزارة الصحة وذلك لضغط العمل الشديد والمردود المالي القليل مقارنة مع العمل الحرفي السوق، كنت التقيت مع زميل طبيب يعمل مع وكالة غوث اللاجئين في مدينة أربد في الصباح ويعمل بعد الساعة الثانية ظهراً بعيادته في إربد كان قد تعاقد للعمل في المملكة العربية السعودية واتفقت معه أن أعمل في وكالة الغوث براتب أكبر من راتب وزارة الصحة وأفتتح لي عيادة في مدينة إربد وعلى هذا الأساس قدمت استقالتي في 1967/8/1 حيث أعلمني ذلك الزميل أنه خلال شهر تموز سوف يغادر إلى السعودية.

شاءت الظروف أن يتأخر سفره بسبب أو لآخر وأصبحت الآن مستقيلاً ولم أرغب أن أرجع عن استقالتي وبمراجعة وكالة الغوث كان جوابها أن لا شاغر لديها في إربد ولكن لديها شاغر في الزرقاء وبعمل جزئي من الساعة الثامنة صباحاً إلى العاشرة صباحاً أستشرت بعض الأهل والأصدقاء ، وشجعوني على العمل في الزرقاء وأن الزرقاء عمل الأطباء فيها جيد ومزدهر، توكلت على الله وعزمت على الموافقة للعمل في الزرقاء (سبحان الله هذه الزرقاء كنت أقول لن أعمل أو أسكن فيها ألا ضيفا أو ماراً فيها إلى أن شاءت الأقدار أن أعمل في الزرقاء وأفتتح عيادتي الخاصة فيها في 1967/9/1 كانت عيادتي في شارع الملك حسين (السعادة) في ملك السيد محمد أبو حلتم وكانت اجرة عيادتي الشهرية

سبعة عشر ديناراً في الشهر وهي أعلى أجرة عيادة في الزرقاء.

كان يسكن في الزرقاء أخي شريف الكليب حيث يعمل مع ديوان المحاسبة وكذلك كان يسكن فيها ابن أخي المرحوم عبد المجيد العبدالله وبعض أبناء أخواني الآخرين، وهكذا شعرت أنني لست غريباً وكل من يسكن في الزرقاء لا يشعر بالغربة فيها وذلك لأنه يسكن فيها من جميع مدن وقرى المملكة بضفتيها ولا أنكر أنني عشت في الزرقاء أيام جميلة وحلوة ومملوءة بالعمل العام والخيري والتطوعي وقد زارني الكثير من أبناء الكورة والشمال مرحبين بافتتاح عيادتي الخاصة في الزرقاء وبدأت الدوام في عيادات الوكالة صباحاً من العاشرة صباحاً إلى الثانية عشرة ظهراً وبعدها أكون في عيادتي وبدأت بداية جيدة وخصوصاً أن أعداد الأطباء كانت محدودة جداً إذ كنا لا يتجاوز عددنا عشرة أطباء ولم يكن في مدينة الرصيفة ولا طبيب خاص استطيع أن أقول أن دخلي الشهري تضاعف وكان الدينار لا تزال قيمته الشرائية جيدة وبعد ثلاثة أشهر نقلت زوجتي وعائلتي إلى الزرقاء بعد أن تمكنت من استئجار بيت مناسب لهم في شارع فيصل بقرب مسجد عمر (في دار الشاويش) وبعد ستة أشهر استأجرت بيتا جديداً لم يسكن أحد فيه من قبل في حي الضباط بالزرقاء بالقرب من سكة الحديد في ملك السيد عبد المنعم بصل (أبو سكندر) وهذه الزرقاء التي كنت أقول لن أسكنها سكنت فيها من 1968 إلى 1985 لحين بناء بيت خاص لي في عمان وعلى الرغم من أنني سكنت عمان لكن ... عملي في الزرقاء سأفصل هذا لاحقاً .

أثناء عملي في الزرقاء عملت مع بعض الشركات التي كان لها مصانع بالزرقاء والرصيفه ومع مرور الزمن أصبحت معروفاً في الزرقاء ويأتي عيادتي كثير من الناس الذين نرتبط بهم بأواصر القربى والمعرفة والصداقة من مختلف المشارب والأطياف .

أستمر عملي في وكالة الغوث جزئياً لمدة ستة شهور بعدها طلبوا مني اتفرغ للعمل معهم دواماً كاملاً من الصباح حتى الساعة الثانية ظهراً.

كما قلت كان عملي في عيادتي جيداً ولم أرغب بالدوام الكامل في وكالة الغوث ولذا قررت الاستقالة من الوكالة والتفرغ إلى عيادتي الخاصة.

كان العمل الفدائي في بداياته وبدأ رجال العمل الفدائي يظهرون بشوارع الزرقاء ولكن باعداد محدودة ودون أن يلمس الناس منهم أية تجاوزات أو أعمال غير مرغوب فيها.

الواقع أننا كنا نعول عليهم كثيراً ونبني عليهم الأمال العراض لتحقيق النصر على إسرائيل واستعادة الحقوق والكرامة وخصوصاً كنا لا نزال نعاني من تلك الهزيمة المنكرة في صفوف الدول العربية لذا كنا نشجعهم بالمال والتأييد ونشد على ايديهم ولا مانع من الانتساب إلى الفئة التي يراها احدنا مناسبة وكان لنا نحن المشجعين رأياً واضحاً وهو لماذا كل هذه المنظمات وكل هذه الأسماء التي ينضون تحتها ومع ذلك كنا نغض الطرف عن هذا التشرذم أملاً في المستقبل الواعد للعمل الفدائي الذي يقومون فيه، وبدأنا نسمع ونقرأ بيانات انجازتهم على الجبهة وأيدينا على قلوبنا أن تكون غير مختلفة عن بياناتنا العسكريين أياها ولكن نرجع ونقول لعل وعسى نستمر بالتشجيع والدعم حتى حصلت معركة الكرامة الخالدة في 1968/3/21 .

وهنا تغير كل شيء

على الرغم من أن معركة الكرامة قام بالعبء الأكبر فيها الجيش الأردني لأنها معركة جيوش ودبابه ومدفعية وطيران ألا أن الفدائيين خطفوها من الجيش وأدعوا النصر فيها ونحن كنا على استعداد نفسي لأن نطمس على عقولنا ونجاريهم في ادعاءاتهم وذلك املاً من الناس أن ترد الحركة الفدائية بعض كرامة الناس المهدوره .

بعد هذه المعركة الزلزال أو الرعد في ليالي الشتاء القارس بدأت اعداد الفدائيين بالتزايد والانتشار تماماً كالفطر البري السام الذي يهيج هيجة واحدة بعد ليلة مرعدة معتمة .

بدأنا نرى اعداد الفدائيين بالزيادة في الشوارع وبدأنا نرى اسلحتهم وقنابلهم التي تشبه المدقه والكلاشنكوف بتزايد مستمر حتى أن بائع العرابايه في الشوارع تراه يحمل كلاشنكوف ويضعه في حمالة عربة الخضرة التي يبيع عليها ثم بدأت تظهر مسلحات محموله عليها الديكتريوف (رشاشه خمسماية) وهكذا وبدأت الاسماء المستعاره تظهر من أبو فلان إلى أبو علان إلى الضبع إلى غيرها من الأسماء التنكرية .

كنا نفهم أن يحملوا مثل هذه الأسماء ولكن ليس بين المواطنين والأهالي المدنيين ولكن كنا نحاول أن نجد العذر والمبرر، ثم بدأت تظهر اصطلاحات ماركسية لينينيه في خطابهم وبدأت صور غيفارا وسالتين وماو سي تونج ولينين تظهر وتعمم وأن ساقتك قدماك إلى حيث مقر الكفاح المسلح ترى هذا وأكثر.

ثم بدأت التدخلات الشعبية والرسمية لمحاولة وضع ضابط لمثل هذه المضايقات والتدخلات التي تؤذي الناس وكم حضرنا مثل هذه الاجتماعات ولكن دون طائل وتتم المخالفات تحت أسماء وعناوين كثيرة حتى يأسنا من الاصلاح، وكان شيئاً عادياً تسمع صفير وعويل مسلحات الفدائين بصفيرها العالي والمزعج وعندها نضع أيدينا على قلوبنا ونقول خير أنشاء الله(شو فيه)؟؟ أي ماذا هناك ، فيأتينا الجواب لا شيء ولكن هناك جندياً تابع للجيش الأردني في الغويريه وذهبت المسلحة لإحضاره لمقر الكفاح المسلح وهكذا دواليك حتى أمتنع على الجنود أن يخرجوا من معسكراتهم ليتفقدوا أحوال ابنائهم وعائلاتهم وخصوصاً أن أعداد هائلة من عائلات الجنود تسكن بالزرقاء وبدأت تظهر نعرة سيئة وقاتلة طالما خشينا منها وهي أردني وفلسطيني ومع الأسف لم نكن نسمع بمثل هذا التعبير الذي يمس الوحدة الوطنية ويخلق الأعداء ويشرذم الكتلة السكانية التي كانت تحاول أن تدعم الحركة الفدائية ، لذا كنا نحن والناس نحاول أن نجد الأعذار لهم في بادئ الأمر ثم بدأنا نسكت لا نعتذر ولا نبرر ثم بدأنا بالهجوم على هذه الحركة الفاشلة التي أصبحت تسبب الأذى لمعظم الناس ونادراً ما تجد أحداً لم يطله مثل هذه التجاوزات والمخالفات وأصبحت قصص الفدائيين، كقصص الحية إذا فتحت لا تغلق وغادر الحركة الفدائية معظم الناس الشرفاء الذين انظموا إليها تحت مصطلح الجهاد والدفاع وبقي في الحركة من لا هم له ألا مصالحه ومنافعه وغاب الجهاد والعمل الفدائي الجاد ألا بالبيانات التي تصدر عنهم والمعارك التي خاضوها تحت مسميات كبيرة حتى أن العدو الصهيوني أصبح قاب قوسين أو أدنى من الفناء والهزيمة.

اصبح السفربين المدن الأردنية محفوفاً بالمخاطر والمخاوف وأصبح السفر إلى عمان من الزرقاء رحلة صعبة من العذاب وخصوصاً

كانت طريق واحدة لا بد وأن تمر بالرصيفة ومخيم حطين (شنلر) وهكذا تبقى تتوجس خيفة حتى نصل مقصدك لكثرة المقصات والدوريات وكل منظمه لها مقصها الخاص ودوريتها الراجلة أو المسلحة وكما قلت اصبحت أعدادهم تتكاثر كالفطر السام. حتى ضج الناس وقالوا (متى نصر الله)لأن الفدائيين اصبحوا يتدخلون في كل شيء حتى بين الزوج وزوجته وبين الجار وجاره وهكذا حتى سئمنا من الفدائيين والعمل الفدائي ولا بأس من أن اضرب مثالاً قيل لياسر عرفات: أن الحركة الفدائية كانت حلم الجميع كرجل تزوج زوجة ليست ولوداً ولا تحمل إلا بعد مجاهدة وعسر ومحاولات كثيرة وصعبه وأخيراً حملت هذه الزوجة وكل من يعرفها كان يحيطها برعايته واهتمامه (اسم الله ما شاء الله) خوف من أن تسقط جنينها حتى اكتمل الحمل وجاء ميعاد الوضع والولادة أجتمع القاصي والداني وهلل وكبر ودعا الله أن تقوم الحامل بالسلامة وأن تضع الوليد المرجو المؤمل فيه واخيراً خرج الوليد إلى النور ولكن يا الله صاح الجميع واندهش وبعضهم بكى واستعبر وبعضهم تألم واسترجع لماذا مالذي حصل ماذا الذي وضعته هذه الأمة نعم أنه كان وليداً مشوها لا يتوافق مع الحياة وسننها بل اصبح عبئاً على هذه الأمة التي كانت تأمل فيه خيراً وعزاً واصبحنا نضرع إلى الله أن يأخذه ويستريح ويريح أمته منه.

وأخيراً طفح الكيل وزاد وبلغ السيل الزبى وفاض وقام الجيش بحركته المباركة في أيلول من 1970 وخلص البلاد والعباد من ذلك الداء العضال والألم المستشري الممض وارتاح الناس وعادت الطمأنينة إلى النفوس والأمن والأمان ضرب بجرانه وعاد الأردن بلد الأمن والأمان والطمأنينة، نعم أن الأمن من أهم مقومات الحياة وقد من الله سبحانه وتعالى على قريش في سورة قريش في القرآن الكريم وفي غيرها من المواضع وكذلك أحاديث رسول الله ρ وأصبح كل إنسان آمن في سربه لديه قوت يومه .

في سنة 1971م شكلت الحكومة لجنة لإدارة بلدية الزرقاء بعد أن حل مجلس بلديتها وكنت أحد أعضاء اللجنة المعينة لمدة سنتين وهكذا أعيد تعييني بلجنة بلدية الزرقاء أكثر من مرة إذا حل مجلس بلديتها حيث

أنني بعد ذلك أصبحت مديراً للصحة فيها وكان هناك تقليد يتم بموجبة أن يكون مدير الصحة عضواً في مجلس إدارة بلدية الزرقاء إذا نتهت أوحل مجلس بلديتها.

وفي هذه السنة شاركت مع مجموعة محترمة من متعلمين ووجهاء الزرقاء واسسنا جمعية المركز الإسلامي الخيرية (وكنا نجتمع في بيوت أحدنا وخصوصاً بيت المرحوم الحاج خليل حيمور).

وجعلناها فرعاً للمركز الإسلامي في عمان وذلك أختصاراً للأجراءات الرسمية والإدارية في حالة تكوين جمعية جديدة بإسم جديد وبعد أشهر معدودة اصبحت رئيساً لها ولغاية 1992 م حين استقلت منها ورفضت الترشيح لها لإسباب لم أوافق عليها من قبل الجمعية الأم في عمان كانت تطلبها ورغبت في الراحة وعدم الاستمرار، أن هذه الجمعية اصبحت أقوى الجمعيات الخيرية في المملكة وحتى من الجمعية الام في عمان لا بل كنا نتبرع لها وهي تبني المستشفى الإسلامي وكذلك ساهمنا في تأسيس جمعية المفرق وجمعية الكرك وكلها فروع من الجمعية الأم في عمان، كذلك أصبحت هذه الجمعية من القوة أنها كانت توزع نقداً شهرياً على العائلات المستورة ما يقرب الأربعين ألف دينار أن لم يزد وكذلك انتشرت مدارسها وكليات المجتمع ورياض الأطفال والمساجد في الزرقاء وكانت كما كان أعضائها اللحمة الرئيسية التي كونت جامعة الزرقاء الخاصة بل كان لها الفضل بالتقدم بطلب افتتاح جامعة في الزرقاء بعد أن سمحت الحكومة بتكويين الجامعات الخاصة وقد قدمت الجمعية حيث كنت رئيسها طلباً لوزارة التعليم العالي لإنشاء جامعة في الزرقاء قبل كل الناس.

كذلك في هذه السنة أيضاً تم تأسيس جمعية اليرموك الخيرية وكانت لإبناء الشمال وكنت أحد الأعضاء المؤسسين فيها وعندما تقرر انتخاب هيئة ادارية لها بدأ التزاحم والتدافع على رئاستها أو على الأقل الهيئة الإدارية فيها وكما هو معروف فإن ابناء الشمال وخصوصاً العسكريون منهم كثر وكل من تقاعد عن رتبه عسكرية ما إذن لماذا لا يكون رئيسها أو أحد أعضاء الهيئة الإدارية فيها.

وهناك مثلاً الخصاونة ، والعبيدات ، العزام والفريحات، المومنية،

والروسان، والهباهبة، والقضاة والشريده وغيرهم كثير وكادت أن تفرط من أول اجتماع لهيئتها التأسيسية وكان لي دور بان تقدم بعض الوجوه والزعامات أولاً وليجعلوها بالدور وكنت أول الزاهدين فيها، وأخيراً استطعنا أن نكون الهيئة الإدارية ورئاستها وبعد الدوره الأولى والثانية خف الطلب عليها والزحام واعرضت الوجاهات عنها واصبحنا نتطوع لنجد من يرأسها ويعمل في مجلس إدارتها، وبذلك كنت أحد رؤسائها تطوعاً مني ولدورة واحد فقط، كذلك دخلت في هيئات إدارية أخرى مثل جمعية التربية الإسلامية وكنت نائباً لترئيسها إذ أن رئاسة هذه الجمعية كانت حكراً لشخصيه إسلامية شيشانيه معروفة ولا أحد يرغب، بمنافسته عليها وأن كان ذلك ممكن لو أردت ثم دخلت وأسست تجمعات وجمعيات أخرى سواء في الزرقاء أو في عمان في المختصر كان لي نشاط اجتماعي خيري بارز وكنت أجد التقدير والتشجيع من كثير من الأخوة والأصدقاء، كذلك أصبح لي نشاطاً عشائرياً ملحوظاً وخصوصاً في حالات العطوات والصلحات وكان أكثرها جاهات وعطوات حوادث السيارات واصبح كثير الناس وخصوصاً من أهالي الكوره الكرام في الزرقاء يلتفون حوالي ويطلبون مساعدتي في مثل هذه الأمور التي لا يخلو منها أي مجتمع في أردننا العزيز الغالي، وحتى أن أحد أبناء ووجهاء الكورة الكرام جاء لي وقال استلم المسئولية الآن مني إذا أنت أبن كليب الشريدة وهذه لك ولأبيك وأنا متنازل عن هذه المسئولية لك وأنا معك.

بعد احداث 1971م المشئومه وظهور تلك النزعه البغيضه اردني فلسطيني وغاب كثير من العقل والمنطق من أننا أبناء أمة واحدة تجمعنا كل أسباب التجمع والانتماء وخصوصاً وإذا سمونا على العنعنات الصغيرة وأسباب الخلافات الشخصية إذ كلنا يجمعنا دين واحد ولغة واحدة ووطن واحد وتاريخ واحد وثقافة وأماني واحده أي كل أسباب ومسببات تكون الأمم والشعوب. ولكن مالعمل بإناس كالطحالب الضاره لا تعيش إلا بهذه الاوحال والمستنقعات ولا تجد لها متكئا تستند إليه إلا مثل هذه السفاسف الضارة والأمور المنكرة ولا نعدم أن تجد من يعينها وينصرها من أناس سيئين لا يخلو منهم مجتمع من المجتمعات.

وهكذا نشأت الحاجة لايجاد تنظيم سياسي يوحد مختلف فئات الشعب

ويعيد إلى شعبنا لحمته القوية إلى سابق عهدها وخصوصاً بعد أن تعطلت الحياة النيابه بعد احتلال الصفة الغربية وهكذا بزغت فكرة تنظيم سياسي يضم الجميع تحت جناحيه ويجمع الناس على قواسم مشتركة كثيرة ويكون رئيسه الأعلى جلالة الملك على غرار بعض الدول المجاوره مثل الاتحاد الاشتراكي في مصر وغيرها من الدول العربية والتي لاتزال تعيش مثل تلك الاحزاب في هذا البلاد ومنها الحزب الحاكم. والمسيطر وبغض النظر عن مدى اقتناع تلك الشعوب بمصداقية مثل هذه الأحزاب إذ أن كل رئيس حاكم لديه حزبه الحاكم والمسيطر وهو الذي يرشح الرئيس لدوره رئاسيه متكرره لا تنتهي مددها أي ملك مدى الحياة ولكن غير متوج حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

نشأ في الأردن هذا التنظيم تحت "مسمى الاتحاد الوطني الأردني" وكان الأمل معقوداً عليه ليصبح قاعدة شعبية واسعة لتتولى وتوسع دائرة الحكم لتشمل أكبر شريحة من المجتمع الأردني ويعيد هضم وصهرجميع مكونات المجتمع وبذلك تتعزز روح الانتماء ويعلو شأن الحرية والعدالة الاجتماعية وروح العمل الجماعي المنسق والمنتج.

على هذه الأفكار والآمال جرن الانتخابات للأتحاد في شهر أيلول من عام 1971م حيث تم انتخاب 240 عضواً على مستوى المملكه، وأعطي الملك بصفته الرئيس الأعلى للأتحاد أن يعين 120 عضواً على مستوى المملكة أيضاً ليصبح أعضاء الاتحاد 360 عضواً.

قمت بترشيح نفسي عن دائرة محافظة العاصمة لواء الزرقاء وبعد تعب وكد وسهر على مستوى العاصمة بجميع دوائرها واحيائها وبلداتها وقراها اعلنت نتائج الانتخابات وكنت أحد الأربعة الفائزين عن لواء الزرقاء .

كان النجاح في الاتحاد كأنه نجاح في مجلس النواب وخصوصاً بسبب أن الحياة البرلمانية معطله فجاء بعض أخواني إلى الزرقاء يهنئوني وبعد الغداء سافرنا إلى دير أبي سعيد وهناك قبل أن نصل إلى بلدة حواره وجدت كثيراً من الأخوان وابناء الأخوان ولاقارب ينتظرون قدومنا واصلنا السفر إلى دير أبي سعيد بما يشبه الزفه وطافوا بي في شوارع دير أبي سعيد على غير رغبة مني ولكن لم اعترض إذ قسماً من

هذه الزفه كانت مقصودة لبعض الشانئين وبعض العداوات البسيطة لدى بعض المحتفلين وغيرهم من مواطنيهم وكانت سهرة حافله بالغناء والدبكة والفرح. ويجب أن لا أنسى أيضاً أن ابن اخي عبد المجيد العبد الله وكذلك ابن عمومتنا حمزة محمد سعيد قد فازاً بالانتخابات عن محافظة اربد – لواء الكورة.

لا أنكر أنني لم استطع أن أستغل هذا الفوز كما استغله غيري لا بل وبدأت حياته السياسية فيه على الرغم من الاشارات التي كانت تردني من بعض المسئولين ، كنت لا ازال متخما بالافكار إياها ومع ذلك لست اسفاً الآن وخصوصاً أنني كنت ولا أزال مؤمناً ببلدي ونظامه ولكن كان تفكيري بالإصلاح والخدمة قد لا تنسجم مع تفكير البعض الأخر.

هكذا بدأ الاتحاد بداية جيدة ومشجعة وقد ترأس جلاله الملك الحسين (رحمه الله) اجتماع الافتتاح وبعد الكلمات والخطابات فوض المجتمعون جلالة الملك ان ينتخب هيئة تنفيذية للمجلس وأمين عام المجلس . وهكذا بدأت الأمال العراض والتوقعات الكبار بالمجلس وهيئته التنفيذية وبدأ نشاط الاعضاء كلجان في المحافظات والألوية باجتماعات دورية. وفي أول شهر رمضان يمر على المجلس تشرف اعضاء المجلس بدعوة بالأفطار على المائدة الملكية وحين ارتفاع إذان المغرب كنت ترى الصائم أو غير الصائم والذي معه وضوء أو بلا وضوء يسارعون للأصطفاف لصلاة المغرب جماعة قبل الإفطار مع جلالة الملك أما نحن الذين لم نسارع كغيرنا بقينا ننتظر انتهاء الصلاة ليشرف جلالة الملك المائده لنباشر الأفطار لم يستمر الاتحاد على نفس الزخم الذي بدأ به وكأن الأحداث قد تجاوزته وأنه قد أدى الغرض من وجوده وسبب وجوده وهكذا بدأ يذوي ويضمحل حتى تلاشى في عام 1976.

كنت أحد المؤسسين لحزب جبهة العمل الإسلامي في مدينة الزرقاء ولد حزبنا بتاريخ 1992/12/8 استناداً إلى قانون الأحزاب رقم 30 لسنة 92، وهكذا عقدت الهيئة التأسيسية للحزب في يوم الجمعة الموافق 1992/12/25 بقاعة اطلس الواقعة في شارع "الجامعة الأردنية" الملكة رانيا العبد الله لاحقاً وفي تلك الجلسة تم انتخاب أول مجلس شورى للحزب يتكون من 120 عضواً وتم انتخابي لاحقاً بالتزكيه كنائب لرئيس

مجلس شوري الحزب يتكون الذي كان المحامي الأستاذ محمد الذنيبات مراقب عام الإخوان المسلمين لاحقاً . وهكذا انتخبت في مجالس شورى الحزب الأول والثاني والثالث والرابع نائباً لرئيس مجلس الشورى . وهذا من تاريخ 1992-2006 .

سوف لا أزيد عما كتبته في هذا النقش على الذاكرة وأرى أن اختمها بملخص عن سيرة حياتي المدونة تالياً.

– سيرة ذاتيه :

الإسم: د. عبد العزيز كليب يوسف الشريده.

العمر: 1934/1/3م.

الجنسيه: أردني.

الديانه: مسلم

الحالة الإجتماعية: متزوج ولي ولدان وبنتان .

الشهادة العلميه: بكالوريوس الطب والجراحه بتقدير جيد، جامعة عين شمس – القاهرة سنة 1964م.

1- طبيب امتياز في مستشفيات كلية الطب.

2- عينت كطبيب في ملاك وزارة الصحة الأردنية بتاريخ 1965/10/25م في المستشفى الجراحي "مستشفى البشير فيما بعد".

3- 1966/7/1: وبناء على طلبي نقلت إلى مستشفى الأميره بسمه"مساعد جراح " في مدينة أربد .

4- 1968/1/1: قدمت استقالتي من وزارة الصحه وافتتحت عيادتي الخاصه في مدينة الزرقاء .

5- بتاريخ 1974/9/31عينت مرة أخرى في وزارة الصحة الأردنية وباشرت عملي في محافظة الزرقاء.

6- 1975/6/15نقلت مديراً إلى مستشفى الزرقاء الحكومي.

7- بتاريخ 1978/9/3ذهبت في بعثة دراسية إلى مصر للحصول على الدبلوم العالي في الصحة العامة وإدارة المستشفيات /جامعة الإسكندرية "المعهد العالي للصحة العامة" وحصلت على دبلوم التخصص بتقدير جيد جداً.

8- بعد عودتي من البعثة 1979/8/2 باشرت عملي رئيساً لقسم المستشفيات في الوزارة .

9- بتاريخ 1980/1/16 وبناءاً على طلبي نقلت مديراً لصحة لواء الزرقاء وفي نفس الوقت مديراً لمستشفى الزرقاء الحكومي.

10-1986/5/4نقلت رئيساً لقسم الوثائق والمكتبات بمديرية التخطيط والتدريب والأبحاث بدون سبب مفهوم.

11-بتاريخ 1987/7/16 نقلت مساعداً لمدير عام مستشفى البشير .

12-بتاريخ 1988/1/1 عينت مديراً عاماً لمديرية مستشفى البشير.

13-بتاريخ 1988/11/16 وبناء على طلبي وبعد مباشرة المؤسسة الطبية أعمالها لم أرغب بالاستمرار بالعمل فيها تم نقلي مديراً لمديرية صحة محافظة الزرقاء .

14-بتاريخ 1993/1/2 قدمت طلب إحالتي على التقاعد من أجل الترشيح لمجلس النواب الأردني.

15-قيمت من قبل لجنة الحوافز باختصاصي أول اعتباراً 1989/7/1.

16-بتاريخ 1994/8/24 عينت مستشاراً صحياً لرئيس جامعة الزرقاء الأهلية ومديراً عاماً للخدمات العامة والصيانة والشؤون الصحية والتأمين الصحي إلى نهاية عقدي مع الجامعة بتاريخ 2006/6/30.

17-المؤتمرات الطبية والدورات :

- دورة طبية متخصصة في الإدارة الصحية والصحة العامة في باريس فرنسا 1982.

- دورة طبية في الصحة العامة والطفولة في الولايات المتحدة الأمريكية "هاواي" المدة شهر 1988/5/1 وشهر آخر للإطلاع على الخدمات الصحية في الولايات المتحدة "في أكثر من ولاية".

- حضور مؤتمرات طبية ودورات داخلية متعددة بإشراف منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة.

18-نشاطات اجتماعية وخيرية كثيرة.

على الرغم مما قلته بأنني لن أزيد عما كتبته في هذا النقش وجدت من المناسب أن أتابع ما يلي .

اوابد تبناويه :

سوف اتطرق في هذه الأوابد إلى بعض التقاليد والعادات التي كانت سائده في مجتمع تبنة وقد تكون مثالاً لكثير من قرانا في حقبة اوائل ومنتصف القرن العشرين ثم طغت الحداثة ودخلت تبنة في عصر الكهرباء والتلفزيون والتليفون وكثير من طرق الحياة والمعيشة وتضاءلت أن لم تكن قد انقرضت تلك الحياة البسيطة الوادعة وذلك الجو العائلي والحميم الذي كان سائداً بين ناس ذلك الزمان يتعاونون على البر والرحمة والمودة، ويحمل قويهم ضعيفهم وغانمهم غارمهم وهكذا كانت تمضي بهم الحياة وهم يشعرون انهم يعيشون في مجتمع قوي متماسك تتداعى له أفرادهم وجماعاتهم قويهم وضعيفهم كلٌهم وغارمهم لصد عاديات الزمان وتداعيات الأيام وعاتيات العواصف والنوازل.

قال الشاعر:

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاة الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عود الصبا فيها فحنو لذلكا

انني قد كتبت عن تبنه في كتابي خالد بن الوليد وسأحاول هنا ان أوجز:- تبنه الجغرافيا والتاريخ واذكر فقط تبنه مسقط الرأس وتشكل الوعي والحنين.

الجغرافيا : تقع تبنه ضمن التقسيمات الإدارية للواء الكورة (ناحية الكوره) في محافظة اربد فهي تبعد عن مركز المحافظة اربد بحوالي 27كم كيلو متر إلى الجنوب الغربي وتبعد عن دير أبي سعيد مركز اللواء حوالي تسعة كيلو مترات إلى الشرق من دير أبي سعيد وترتفع عن سطح البحر بحوالي 700متر.

وهي تقع ضمن سلسلة جبال لبنان الشرقية في جبال عجلون.

وللمصادفة أن هناك أكثر من مكان وموقع في مناطق سوريا الكبرى يحمل هذا الاسم وان اختلفت التهجيات والنطق فيها.

فهناك تبنه في سوريا وكذلك تبنه في لبنان وتبنه في فلسطين علاوه على تبنة الأردن .

تنبه كانت في القرن التاسع عشر الميلادي أكبر قرية في لواء

عجلون وكانت حاضره الكوره والحكم الزيداني وكانت تحشد أكثر من خمسمائة مقاتل "أبوا ردي" وكان موقعها حصيناً جداً وكانت تساعد ساكنيها على الدفاع عنها وحمايتها فالغابات والأشجار الحرجية الكثيفة داقة بالبيوت ولذا تفتقر تبنه إلى الأراضي الزراعية ولذلك كثير من حمايلها كانت اراضيهم خارج نطاق القرية ولذلك كونت هذه الحمايل قرى جديدة بقرب مقاسم الأراضي المخصصة لهم ولذلك تكونت قرى أرحابا وكفر الماء ومرحبا والسمط وأبو اللقين وهكذا.

يحيط بتبنه واديان سحيقان من الشرق ومن الغرب فالوادي الشرقي نطلق عليه وادي عين إسرين ويجري من الجنوب إلى الشمال حتى ينتهي في عيون الحمام حيث يلتقي مع الوادي الغربي .

والذي نطلق عليه اسم وادي صُمِّيل وهو كذلك يمتد من المرتفعات الجنوبية الغربية ويجري إلى الشمال حتى يلتقى كما قلت بوادي عين اسرين في منطقة عيون الحمام ومن هناك يتحد الواديان ويشكلان وادياً واحداً نطلق عليه اسم وادي زقلاب وهذا الوادي تمده كثير من العيون والنبعات ويصبح وادياً دائم الجريان وينتهي عند "سد زقلاب" وزقلاب هذا أو زقلار هو أحد قادة الرومان في منطقة الأغوار، أيام الحكم الروماني .

عين اسرين: هي عين دائمة متجدده وتسيل وتجري فقط أيام الخير وايام الشتاء الغزيرة وفي غير هذه الأيام تبقى راكده ومتجدده ولا تزيد أو تنقص مهما كثر ورَّادها وخصوصاً تبنه وعنبه وازمال ترد عليها من أجل ماء الشفه وما أعذب ماءها ومن اجل ري وسقاية قطعان الماشية لهذه القرى وكم امضينا أياماً سعيدة وجميلة ونحن نلعب عند هذه العين وقطعان الاغنام المعزا السودا تحف بنا وكنا نطلب من الرعيان صنع الجبنه من حليب الأغنام إذ يحلب الراعي الحليب ويضيف عليه بضع قطرات من لبن التين العجر وبعد دقائق يتخثر الحليب ويصبح جبنه لا أحلى ولا أطيب منها وكان الشباب لما تفيض هذه العين "وحسب لغتنا كنا نقول تفقع " يسبحون فيها ويقفزون من رأس صخره عالية إلى حوض هذه العين. كنت لا أجيد السباحة وحاولت مرة أن أسبح فيها في غياب الأخوة الكبار وربطني بعض الأصدقاء الاولاد بحبل من الشرايط والحبال

القديمة الضعيفة والممزقة ولما نزلت إلى الماء وخوفاً من الغرق طلبت من بعض. الأولاد أن يسحبني إلى اليابسة انقطع حبل الشرايط هذه ولولا لطف الله لغرقت في تلك العين ولم أكرر هذه المحاولة اطلاقاً.

كان جنوب تبنه بحوالي 2 كليو متر جبل مرتفع نطلق عليه اسم جبل العجمي وكان على رأس هذا الجبل شجرة ضخمة نسميها شجرة العجمي وكان تحت هذه الشجرة مقام يقال له مقام العجمي "بالمناسبة كان الناس يطلقون على مثل هذه المقامات "عجمي" من عجم وأعجام" وقد كان الباحثون عن الذهب واللقايا يحفرون مثل هذه الأحجار المكدسة ظناً منهم أنها علامة على وجود ذهب مخبأ تحتها ونتيجة لهذا الاعتقاد نبش المقام وماتت الشجرة مع الاسف الشديد.

أما شمال البلده كان هناك تلاً مرتفعاً نقول تل البرج وذلك لأنه كانت هناك أثار بناء برج كان يستعمل للمراقبة من الناحية الشمالية للبلده وتحذير الناس من أي اعتداء إذ كانت القرية شبه آمنه ومحمية من بقية الانحاء لوعورة مسالكها.

مناخ تبنه معتدل ومقبول شتاءً وصيفاً وكانت ايام الصيف فيها جميلة رايقه معتدله وما أحلى النوم فيها ليلاً وعلى ظهور الحيطان "السقف" لا حر ولا برد ولا ناموس .... وكان يطيب السهر في تبنه ونحن نلعب مع لداتنا واجيالنا من ابناء البلده وخصوصاً لعبة السرَّه خلف العلالي وفي الليالي المقمره تلك اللعبة الجميله والتي تتكون من فريقين متقابلين اما الان فقد نسيت كثيراً من إسسها واحكامها لتقادم العهد وانشغال اطفال واولاد هذا الزمان بغير ما كان يلفتنا ويجلب انتباهنا واهتمامنا إذ لم يكن هناك شيئاً موجوداً تلك الأيام من العاب وادوات هذا الزمان.

نطلق على تبنه ام القرى اذ كما اسلفت كثير من حمايل تبنه اقامت حيث كانت مقاسم أراضيها مثل ارحابا ومرحبا والصمط وكفر الماء وابو القين وكلها حمايل تبنه الستة.

حيث ان تبنه كانت مركزاً للحكم الزيداني كان يحيط بها سور وقد ادركنا بعض بقايا هذا السور كذلك كانت هناك شرق القلعة وشمال تبنه بركة لجمع الماء وهذه البركة كانت صناعية اي مبنية بواسطة الناس

وكانت مياه الامطار التي تسقط على حيطان القلعة " سطح مباني القلعة" تجر إليها بأنابيب فخارية وقد شاهدت بعض هذه الانابيب الممدوده من القلعة إلى البركة ومغطاة بطبقة عازله.

هذه البركة كانت معلماً من معالم تبنه وكان العريس قبل زفافه إلى عروسه يأخذه شباب البلده إلى هذه البركة ليسبحوه في ركن من اركانها وكانوا يغنون له أغاني الحمام "يرودون تراويد خاصه بالسبوح" اثناء تحميم العريس.

كذلك كانت هناك بركة في جنوب البلد أقصى جنوب البلد وهذه البركة عباره عن منخفض صخري من الأرض بانحدار تدريجي حتى القعر وكانت واسعة وكبيرة لذلك كانت في سنين الغلال والامطار الغزيرة تمتلئ وتفيظ ولكن كانت مياهها ملوثه بعرف هذه الأيام لأن مياهها كانت تنساب إليها من حارات تبنه وازقتها ولذلك كان لون مياهها يميل إلى الخضره مع بعض روائح غير مستساغه "مصننه" ومع ذلك في ايام الربيع نجد فتيان تبنه وشبابها يمرحون ويسبحون فيها وكان لها الفضل على كثير من شباب تبنه في تعلم السباحة أما أنا فكان ممنوعاً علي أن العب وأسبح فيها لأنها غير نظيفة ولذلك لم أتعلم السباحة كغيري من لداتي ومن هنا جاءت حادثة غرقي في عين اسرين. كذلك كانت هذه البركة ترد عليها ماشية وحيوانات البلده ولذلك في أيام الربيع وعندما يحين وقت الظهيرة تنغل وتفيض جنباتها بشلايا وقطعان الماعز مع الرعاة والوراد وتعج فيها الحياه حتى يحين موعد صدور الرعاء بقطعان الماعز طلباً للرعي ونجد الحياة حول البركة تلاشت أو كادت الا من بعض الصبية الصغار الذين يطيب لهم اللعب فيها بعد أن غادرها الكبار والرعاة. ضاقت الأرض على أهل تبنه ولم يجدوا متسعاً من الأرض لبناء مسجد الا ارض هذه البركة وبذلك تحول موقعها إلى بناء مسجد تبنه الجنوبي أما عن تبنه الأثار والتاريخ فاكتفي بما كتبته عنها في كتابي خالد بن الوليد .

بعد أن غادر تبنه كثيراً من افراد حمايلها المختلفة ليكونوا بجوار مقاسمهم من الأراضي تناقص عدد سكان تبنه كثيراً حتى كان عدد سكانها حوالي الفين إلى ثلاثة الآف نسمة في بدايات الخمسينات من القرن العشرين كانت أغلب بيوت القرية تتكون من بيت كبير مسقوف باعواد

القصيب. أو نبة البلان والخشب وعلى قناطر حجرية شذبت حجارتها كان في البيت مصطبة عالية يصعدون إليها على درجتين أو ثلاثة لمبيت افراد العائلة جميعاً وفي حوش البيت الكبير كان ساكن البيت يزرب فيه ما لديه من حيوانات وحلال .أما البيت كان سنوياً يطرشونة بمادة الحور أو الحثان التي يقطعونها من الصخر الكلسي ، لأن البيت يصبح اسوداً شديد السواد نتيجة دخان الحطب والنيران أيام الشتاء أما الجدران فكانت تقصر بالطين والتبن، ويبنى أمام جدران البيت من الداخل وبارزه منها كواير"كواره" عدة أو كثيرة لحفظ الحبوب المختلفة والبرغل والطحين أو أية حاجات يحتاجها الانسان وقابله للتخزين حتى أن بعض البيوت الموسرة كانت تخزن فيها الزبيب والقطين. كان يحيط بهذا البيت الكبير حوش واسع لمختلف الاستعمالات وخصوصاً في أيام الصيف إذ تبيث وتزرب المواشي فيه. ونادراً ما يكون هناك غرفة ثانية في الحوش تستعمل من قبل الساكنين .

وفي حوش الدار في الغالب كانت تتعاون النساء على بناء فرن بلدي "طابون" ومادته مكونه من طينة الحجر الجيري "الحثان" وكان للفرن فتحة علوية واسعة من اجل الخبيز وله فتحة جانبية تسمى "السمامة" لوضع الوقود من الحطب والجله "فضلات الأبقار " بعد تجفيفها أو أكواز الدريس ألمجفف "جفت" وهو ما يتبقى بعد درس الزيتون وعصره بعد تجفيفه.

وكانت كل قرية في ساعات المساء "عندما يزبلون الفرن ليبقى حامياً وساخناً" تعبق بروائح تزبيل هذه الأفران البلدية وياما أشهى وأحلى خبزها وتحمير الدجاج أو شوي اللحوم" في هذه الافران طبعاً" هذه الافران الاهتمام بها كان من واجب النساء فقط، والنساء اللاتي ليس لهن افرانهن الخاصة يذهبن إلى الخبيز في هذه الافران عند الجارات وكانت صاحبة الفرن في الغالب لا تمنع فرنها من استعمال جارتها أو ابنة قريتها وكانت النساء تصطف على الدور أي تضع نوبة أي شيئاً من الحطب من أجل الوقود ولا تعتدي احداهن على دور الأخرى طبعاً بعدان تقضي صاحبة الفرن حاجتها كذلك كان لكل بيت تجويف في جداره يسمى المطوى أي المكان الذي تطوى به الفرش واللحف وإذا كان صاحب البيت

مقتدراً تجده يفرش على الأرض علاوة على الحصر والمدراج البسط والفجج المصنوعة من صوف وشعور الاغنام والماعز، وكانت النساء بارعات في صناعة هذه الفجج والبسط، وكذلك كان هناك عدد وافر من الجواعد الجميلة وهي جلود الغنم البيضا بعد دبغها وتنظيفها

وكل عروس تخرج من بيت أبيها يجب أن يكون السبت جزءا أساسياً من جهازها وهو عبارة عن صندوق خشبي كبير ومزخرف وله قفل كبير وهذا السبت يعتمد على قدرة كل انسان ولذا نراه يتراوح في قيمته وشكله وجماله حسب مقدرة مالكه.

أما أنواع الطعام والشراب والاكل في الغالب معظم أهل القرية يأكلون نفس الاكلات وأن كان هناك بعض الأكلات الموسمية مثل:اكلة المطابقة : فهي أكله تتكون من رقائق العجين العويص "أي غير المختمر" وتوضع الرقائق كطبقات مطويه فوق بعضها البعض على شكل حجاب مربع أو مسدس ، ويوضع في هذه الرفائق أو عليها البصل والزيت"زيت الزيتون طبعاً" لأن الأكله هذه موسمها في الغالب أيام عصر الزيت وجنيه في بلدتي تبنه التي كانت في تلك الاحقاب هي القرية الوحيده أو المنفردة في وجود شجر الزيتون الرومي فيها إذ لم يكن الزيتون يزرع في القرى لصعوبة زراعته والحصول على غراسه أو شتلاته وكذلك يأخذ زمناً طويلاً لا نتاج الزيتون والزيت والفلاح لا يستطيع ان ينتظر مدة طويلة للحصول على الانتاج بينما الزراعه الحقلية والحبوب تعطي ناتجا سريعاً يسد حاجة المزارع من الطعام والنقود .

اخذني الاستطراد أعود إلى أكلة المطابقة وبعد تحضير أكثر من قرص مطابقة تقوم ربة البيت بوضع هذه الاقراص من عجين المطابقة لإنضاجه وخبزه بالفرن البلدي وكذلك شوي فراخ الدجاج حسب المتسير من هذه الفراخ أو الصيصان إذ كان الحصول على طير أو طيرين من فراخ وديوك الدجاج غاية في الصعوبة في زمن لم يكن دجاج المزارع وصناعته قد دخلت الأردن، وقد يستغرب القارئ الكريم أن اخاً لي شفيق كان يبادل "دونم الأرض في حوص البلد مقابل زوج من الديوك لندرتها وقلتها وخصوصاً عادة ما يكون موسم الزيت غير موسم التفقيس والتفريخ للدجاج إذ أن الدجاج كبير السن "العتقي" غير مرغوب في

الأكل، أنها أكلة لذيذة جداً وتعمل للضيف العزيز جداً تعادل المنسف الأكله الشعبية الثانية وسيدة الأكل والدلاله الأكيده على قيمة الضيف ومكانته واكرامه.

هناك اكلاث كثيرة وبسطية لدى الفلاح وإن حاول أن تكون ساخنة مثل الرشوف والكعاكيل وهي البيض المخفوق مع الطحين وعشبة الجعده المجففة ويعمل فيها كتل صغيره تسمى شعاشيل تم اسقاطها في اللبن المخيض أو لبن الجميد المغلي والسمن نعم كان هناك كثير من الأكلات التي يحتال بها الانسان ليسد جوعه ويقنع عيمته والناس التي لديها حلال ومنوحه حالها افضل من تلك التي ليس لها مثل هذا المنايح "الأبقار والماعز" وأن كان الموسر يجود على المعسر وفي بعض المرات قد يجود الكريم باعطاء بعض الناس منوحة من الماعز ليستفيد من لبنها فترة الحلب ودر الضرع .

لم تكن الثلاجات قد دخلت البلد أو الدور ولم تكن الكهرباء معروفه ولم يكن هناك وسيلة لحفظ الأطعمة فيها لذا كان الناس بعض الناس يلجأون إلى تجفيف بعض المواد فكنا نعرف الجميد وكشك اللبن وكشك البندورة والباميا وبعض الفواكه كالعنب يعملون منه الزبيب ومن التين القطين ودبس العنب وشلف العجوة ونصية الحلاوة لا بد منها. كذلك كنا نحن نعمل القاورمه وهي:كانوا يسمنون ويعلفون خاروفاً أو أكثر من أيام البيادر الصيف حتى يحل فصل الشتاء ببرده وزمهريره والتي افتقدناها هذه الأيام وهذه السنين".

يذبحون هذا الخاروف ويقطعونه قطعاً صغيره مائة غرام اواقل بعظمه وشحمه ولحمه ثم ينضجونه ويطبخونه بالسمن البلدي فقط يضعونه في وعاء كالتنك أوالفخار المطلي من الداخل ويصبح مؤنة يأكلون منها عندما يريدون يغرفون من التنكه أو الجره الفخارية حاجتهم ويذيبونها بتسخينها فتصبح طازجة لذيذة وهذه هي القاورمه.

كذلك لا أنسى أن أهل قريتي وغيرها من القرى كانوا يشرَّكون "أي يذبحون شراكة" ناقه جسيمه فخيمة شحيمة يشتريها مجموعة من أهل القرية المؤسرين ثلاث أو أربعة نفر يذبحونها ويشركونها وتباع لأهل البلد بالمقايضة أو بالنقود أو بالدين الأجل وكنت أعرف عائله كان ربها

متخصصاً في شراء رأس الناقة فقط وهكذا تفيح رائحة الشوى وطبخ اللحم وترد نفس الجائع والمعتر وتسد عيمة المعيوم المشتهي غالباً هذه الواقعة تحدث مرة واحدة في السنة ، غير أن هناك بعض الأبقار المترديه من علو ويلحقونها بالسكين والذبح قبل أن تلفظ انفاسها وكانت تسمى الوقيعه أو الواقعه.

وأنني أذكر في طفولتي أن هناك راعياً قد قتل ذئباً معتدياً فقام بعض الناس باحضاره إلى القرية وسلخوه وإكلوه . نعم أن الحياة كانت صعبة جداً ولكن كانت محتمله والناس راضية وكان أحد الناس إذا تدبر أمر مؤنته من القمح والذره والزيت لنفسه وعياله يحمد الله صبحاً ومساء وكذلك إذ كان لديه حلال تدبر أمر مؤنتها من شعير وتبن ينام ليله الطويل شاكراً حامداً انعم الله فما عدا ذلك رفاهية وخير عميم تستوجب الحمد والشكر لرب العالمين.

- أيام العيد :

العيد في القرى له نكهة خاصة وبعد أن عرفنا المدن أو شبه المدن كجرش فالعيد بتبنه يتميز باشياء كنا نراها حلوه وتراثيه فمثلاً عيد رمضان المبارك يسبقه التحضير إلى شهر رمضان المبارك وفي بداية الأربعينيات من القرن العشرين حيث لابرق ولا بريد ولا تلفون أو راديو كانت كل قرية تعتمد على رؤية الهلال وتصوم على رؤيته وتفطر على رؤيته وكنت اشاهد المسنين أو البالغين من أهالي قريتي، وبعد أن يصلون المغرب في المسجد القديم الذي ابتناه والدي يخرجون من الجامع ويرقبون الهلال في الأفق الغربي في أيام الصحو وكان الأفق فسيحاً واسعاً لا تعترض المراقب والناظر البنايات أو العمائر وإذا شاهدوا الهلال يصومون أو يفطرون وكنت ترى وتسمع القرية الفلانيه عيدت أو صامت قيل القرية العلانيه فهكذا يدخل شهر الصوم أو تبدأ أيام العيد.

أدركت شيئاً يسيراً من تقاليد الصوم بحياة والدي على صغر سني كان رحمه الله قبل موعد الإفطار بوقت كافي يجلس في مقعده المخصص له في المقعد وأمام نقره النار والقهوة وبجانبه إلى مجلس إدنى من مجلسه يجلس القهوجي الذي يعد النار والقهوة . أمام العلالي وأنني الأن

وكأنني اراه رأي العين . في تلك الأوقات الدانيه من وقت الأفطار يجلس ولا يدع احداً يمر من هناك الا أن يعزم عليه وأن يأتي ويجلس في المقعد أمام العلالي لتناول طعام الأفطار معه، وما أن يرفع إذان المغرب حتى يكون قد اجتمعوا باعداد لا بأس بها ويمد السماط وتفرش الأرض وتبدأ أواني الطعام والصحون تتوارد حيث قد فرش السماط حتى تصبح سفره عامره بالميسور ومستلزمات الأفطار وبعض أنواع الأطعمة الرمضانية التقليدية التي تصاحب الأفطار وبعد الأفطار تدار عليهم القهوة الساده والشاي والفاكه الموسمية مثل البطيح والحروش "الشمام" والعنب والتين والصبر وهذه الفواكه الأخيره مما تمتاز به قرية تبنه بشكل كبير.

أما بعد وفاة الوالد رحمة الله ومن الكوثر سقاه ومن الدمقس والاستبرق كساه ، سكن أخي عبد الله بتبنه إذ كان يسكن بحياة والدي بلدة كفر الماء وهكذا طالبه الناس أن يملأ فراع أبيه ويسكن حيث سكن وعاش . الآن أصبح عبد الله يقوم مقام والده ويقعد مقعده ويدعو كل مار قبل وقت الأفطار ولكن بما أننا أصبحنا بعد وفاة والدي نشكل عائلة مستقله يرأسها أخي تركي وبعد رحيله من تبنه أخي شقيق وكذلك أخي محمد الكليب أصبح يكون رأس عائلة أخرى . وهكذا كنا نحن وأخي محمد نخرج كذلك ما تيسر من طعام للأفطار ولذا كنت تشاهد مائدة عامره بكل اصناف الطعام المعروفه لديناقي ذلك الوقت وكان اللحم أو الدجاج أحد مكوناتها الاساسيه.

في أوائل الأربعينات كنت لا ازال فتى غراً نحيف البنيه ضامر الجسد ولذا لم أكن أقوى على صيام رمضان ولذا كنت لا أصوم أما أخي خليفة فكانت بنيته وجسمه أكثر مني امتلاءً وقدرة على الصيام وكان يقول أنه صائم "والله أعلم" . الصائم من الأولاد له مكافئة وهي ان له الحق أن يفطر مع الصوَّم أو الصائمين أما نحن غير الصائمين فلا "لنا الحق بالأكل بعد أن يصدر الصائمون فما أن نبدأ في الأكل الذي جاس به السابقون واشيعوه نتفاً وتمزيقاً وازدراداً وعيوننا نحن الصغار تراقب هؤلاء الكبار الصائمين وهم يأكلون الفواكه ولا يكادون يبقون على شيء من هذا أو ذاك ، اليسوا بصائمين أما نحن الصغار وغير الصائمين فليس لنا أن نتطلع لبلوغ تلك الجائزة التي يتمتع بها الكبار أو من يدعون الصيام .

وفي سنة من السنين قررت أن أصوم صيام حمام مكة الذي كانوا يقولون أنه يصوم الثلاثة أيام الأخيره من رمضان وهكذا بدأت صوم أول يوم ياه - آه ما أطولك يا ذلك اليوم نعم لقد وقفت الشمس في كبد السماء وابت أن تتزحزح قيد أنمله عن مكانها السامي وأنا أنظر إليها وأستعطفها أن تسير لماذا تتلكأ هكذا الا تريد أن تبترد في محيط الأفق وتغسل عنها وعثاء السفر وتنفض عنها غبار الكسل لتعود بيضاء نقية صافية نشيطة لتبدأ يوماً جديداً في دورة الزمان طائعة لامر ربها مخبتة لجبروته وهيلمانه وها قد حان اذان الظهر ففرحت وتهلل وجهي غبطة وسروراً وذهبت إلى الجامع مهرولاً لإصلي ألا يصلى الصائم وليعرف الجميع أنني صائم بعد الصلاة بقيت في المسجد وكان المسجد بارداً تهب علي نسمة عليلة من بابه الغربي بقيت هناك اقرأ ما تيسر لي من القرآن الكريم حتى غلبني النعاس فنمت فقدتني والدتي ولم تعرف أين أنا وذكر لها أنهم رأوني بالمسجد فلما جاءت وجدتني نائماً هناك ايقظتني لماذا أطيل شرح عذاباتي وتعبي حد الانهاك وما أن قال المؤذن الله أكبر حتى بادرت بالماء وجلستت مع الصوم أو الصيام الست صائماً والكل يبارك لي ويحثني على المواصلة فقلت لا ولا أريد هذه الجائزة الأفطار مع الكبار بعد كل التعب والمشقة وطول الانتظار.

وفي ليلة العيد تستعد له نساء القرية بخبز أقراص العيد وهي عبارة عن ارغفة توضع على قالب فخاري عليه زخارف ونقشات إذ يخلط العجين ببعض زيت الزيتون ثم يوضع الزيت على وجهة بعد خبزة ويوضع مع العجين بعض حبات القزحه "حبة البركة" وفي صباح يوم العيد تأتي النسوة وتضع اقراص العيد أمام سور المسجد حيث يأكل منها المصلون وكذلك ونحن الأطفال.

كذلك أولاد القرية يلبسون ما تيسر من البسه جديدة أن تيسر أو بعض الألبسه المغسوله لهذه المناسبة. إذ ليس الجميع باستطاعته شراء ثوباً جديداً وصندلاً أو حذاء إذ أن حال الناس كان لا يسمح بمثل هذه العيدية .

كنت انتظر صباح العيد وأيام العيد بفارغ الصبر والانتظار وذلك لسببين الأول حتى نرى "العدة" التي تخرج يوم العيد، إذ كان في قرية

تبنه عائله رفاعية تنتمي إلى الطريقة الرفاعية وإلى الشيخ أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية ، هذه العائلة كان عندها أعلام وبيارق مختلفة الألوان والأقمشة والاحجام وأن غلب عليها اللون الأخضر المزخرف وكان هناك عدد من الرجال يحملون هذه الأعلام الجميلة المهيبة وكذلك هناك رجلان أو أكثر يدقون على المزاهر "الدفون الكبيرة" ومعه حامل الصنج ونقول لها الكاسات وكانت عند ضربها بيعضها تخرج صوناً يلقي المهابة بالنفوس وخصوصاً إذا صاحبها بعض المدائج النبوية والتي كانت تشتهر بها هذه الطرق الصوفية الصنج أو الكاسات عبارة عن قطعتين نحاسيتين مستديرتين واسعتين رقيقتين ولهما ممسك بوسط كل قطعة من الخارج حتى يستطيع ضارب الصنج أو الكاسات من أمساكهما بكلتا يديه تسير العدة هذه باعلامها ومزاهرها وكاساتها أمام جموع المصلين صباح يوم العيد لزيارة القبور وكان في تبنه مقبرتان واحده وهي التي لا تزال بين المشاتل قريباً من القلعة والعلالي والأخرى تحت شجرات الشيخ أسعيد أيضاً شمال القلعة .

أما السبب الثاني لإنتظار العيد هو أن المضافة تعج بالمعايدين وكذلك الذبح والنفخ والمناسف .

كان هناك عاده جميله محببه وهي أن كل قرى الكوره كانت تأتي للسلام والمباركة بالعيد لأخي عبد الله باشا وكانت أيام العيد كلها مشغولة بالغادين والرائحين وكانت هذه الجموع تأتي طبعاً إما رجليه أي ماشيه على رجليها أو على الدواب وخصوصاً الخيول إذ لا سيارات ولا وسائل للنقل الا الدواب والخيول هذه الجموع التي تأتي تحضر معها رأس من الماعز أو رأسين حسب عدد القفل أو الجماعة القادمه للمعايده، كما قلت لا وسائل نقل لاستعمال المعادين وبالتالي فهم بحاجة إلى غداء حال أن تحضر الوفود وتحضر معها ذبائحها تذبح هذه الذبائح وتعد المناسف لغداء الضيوف، أن الضيوف كانوا لا يحضرون معهم الا غداءهم من الذبائح أما باقي تكاليف الطعام وتحضيره فكان يقوم به النساء والرجال المتواجدون من أهل القرية أو أقارب الباشا وعلى حسابه الخاص وكان دائماً يعد الطعام ويقدم تحت اشراف وتعليمات ابنة الباشا.

كان يصدف أن يحضر بعض الوفود والطعام والمناسف معده

وتخرج إلى المضافه ولكن هذه الوفد أو ذاك كان لا يأكل من هذه المناسف إذ هذه المناسف معده لإناس قد سبقوا بالحضور ولذلك تنتظر هذه الجماعة حتى تذبح ذبائحها ويعد طعامها .وهكذا تمضي أيام العيد والمضافه تعج بالناس والمعايدين والحركة الدائبة وكنا وكانت فرصتنا نحن الصغار ركوب خيول الضيوف بحجة أننا نريد أن نسقيها على الرغم من اعتراض اخواننا الأكبر أو الضيوف أنفسهم بان خيولهم ليست عطشانه ولكن لا بد من سقايتها وريها وما أن نعتلي صهواتها حتى ان نسرع بها إلى بير القلعه ومن هناك إلى الأرض في شمال تبنه التي يقوم عليها المركز الصحي وثانوينه البنات القطعه أو الحصحاصة عندما نشبع الخيل طراداً ونتعب نعود بالخيل وهي ترشح وتنقط عرقاً.

نعم صدق الشاعر الدوقراني حيث يقول في بعض قصائده بمدح كليب الشريده.

" يا دار كنت سوق بيع وشاري
شفت الركب والخيل حولتش ارباطات "

أما أيام عيد الأضحى كأيام عيد الفطر إلا أن هذا العيد يسافر فيه بعض أهل القرية رجالاً ونساء مع محارمهن إلى الحج وأن كان العدد ليس بالكثير لصعوبة السفر في تلك الأيام والتكلفة العالية إذ بعض حجاج تبنه سافروا على الجمال وأنها رحلة شاقه متعبه الذاهب بها مفقود والراجع بالسلامه مولود وفي أواخر الاربعينات من القرن العشرين مع انتشار وسائل النقل الحديثة ، أصبح المقومون على الحج يستأجرون شاحنات كبيره "تركات" ويقسمونها طابقين بواسطة الألواح الخشبية، وهكذا يركب بعض الحجاج مباشرة في صندوق الترك والبعض الآخر يركب في الجزء العلوي من الترك أي فوق الخشب وكانت رحلة متعبة جداً سواء للذين يركبون تحت هذا السقف الخشبي والذي فوقه ولكن ما دام الأجر على قدر المشقه تهون كل الصعاب والمتاعب وعلى كل حال ركوبها أيسر وأسهل وأسرع من إمتطاء الجمال وركوبها.

كذلك في عيد الأضحى المبارك تكثر الأضاحي في البلدان والقرى وكان المضحى "صاحب الأضحية" يقسمها إلى ثلاثة أكوام : كوم للقريب، وكوم للبعيد وكوم لأهل الدار وكان أولاد القرية يلفون ويدورون

على دور أهل الأضاحي للحصول على اللحم وكان يعطي الطفل أو الولد قطعة من اللحم وفي نهاية اليوم يكون الطفل قد جمع كمية من اللحم تسد حاجة الغداء ذلك اليوم.

كما قلت في بدء حديثي عن بدء يوم الصوم أو يوم عيد الفطر وكذلك الأضحى تقدمت الأمور ويصبح يرسل عكسري صواري "فرسان" ليطوفوا على القرى ليخبروا الناس ببداية الصوم أو بداية العيد.

أن الوفود والمعايدين على عبد الله باشا كان لبعضهم حاجات أو هناك مشاكل محلية آنية تنشأ بين الناس يعرضونها أمامه ويجدون لها الحل المناسب والذي يرضي الأطراف المتنازعه أو المتخاصمة، أما المشاكل الكبيرة وصعبة الحل كان لا بد للباشا وإخوانه وأقاربه ووجوه ربعة من السفر إلى القرى التي تحدث فيها المشكله ويحاولون تطويقها قبل أن تكبر وتستفحل وفي النهاية الكل يرضى بالحل الذي يصلون إليه وبهذا يطوفون المشاكل وترضى النفوس ويعود الناس أخوان متحابون ويسود السلم الاجتماعي فيما بينهم ولا يعودون بحاجه إلى المحاكم والتقاضي التي تستنفذ كثيراً من الوقت والجهد والمال.

- أيام الزيت .. أصبحت أمسيت :

أن بلدة تنبه كانت من القرى القليله التي فيها زيتون ويقولون أنه زيتون روماني حيث أن الأهالي والناس كان يحجمون عن زراعة الزيتون لأسباب منها : أن الزيتون يحتاج لفترة زمنيه طويلة للنمو وبالتالي للثمر على الأقل عشرة سنين والفلاح بحاجة ماسة إلى الزراعات الحقلية السنوية مثل الحبوب على اختلاف أنواعها مثل القمح والشعير والقطاني وهي سلعة استراتيجية ومهمة أكثر من الزيت على أهميته للفلاح.

ثم لم تكن كذالك غراس الزيتون متوفره وميسوره للزراع أذكر أن خالي أرشيد يوسف الطلافحه اراد أن يزرع زيتون في بلدة جحفيه .أرسل ولدين من اولاده إلى تبنه واقاموا عندنا كانوا يذهبون صباحاً مع بعض العمال إلى حوض الزيتون المملوك لنا ليقطعوا قطع خشبيه مع جذور الزيتون ويقولون لها قرامي "واحدتها فرمية" ويبلنونها بالماء ويحفظونها بالخيش المبلل لحين عودتهم إلى جحفيه لزرعها وكانت هذه

العملية تأخذ جهداً كبيرا. ونسبة الناجح من هذه القرامي متدنيه .

كما اسلفت تبنة خرجت منها أكثر من قرية مثل كفر الماء وأرحابا ودير أبي سعيد ومرحباً والسمط وأبو القين وغيرها وهذه القرى جذورها من تبنه ولذا أيام الزيت والافراط يعودون إلى تبنه وكلهم يساكنون أقاربهم في بيوتهم وبذلك تصبح تبنه تمتلئ بالبشر والناس والكل يسري للفراط وهكذا تبدأ عجلة الموسم الثاني في تبنه موسم الزيتون بعد موسم البيادر والحصاد.

أنها أيام كانت لذيده وجميله ومشرقه وتفيض بالحياة والبشر وكل يتحدث عن الموسم وعن جودته وقلة الزيتون وكانت تبنه في هاتيك الأيام تصل ليلها بنهارها ولا تنام إذ أن العزبية من أهالي القرى يريدون أن ينهوا عملهم بالزيتون باسرع ما يمكن ويعودون إلى قراهم وبيوتهم .

دارت عجلة جني الزيتون المباركه في الصباح الباكر يسرون لا نجاز مختلف أعمال جني الزيتون التي تبدأ بالفراط "وكانوا يحملون عصي طويله ورفيعه "شاروط" يجدون بها ويضربون شجر الزيتون حتى يتساقط ثمر الزيتون وكانت هذه الطريقه تسبب للزيتون الشجر والزيتون الثمر أفدح الأضرار.

كانت الناس تبدأ عملية استخراج الزيت بان يسلقون حب الزيتون ولذا كنت ترى النيران في تبنه مشتعلة في كل مكان ورائحه النيران والسليق تعبق المكان.

ثم ينشرون ويفردون هذه الزيتون المسلوق "السليق" في العراء حتى يجف وبعدها يذهبون به للبد وكان في تبنه أكثر من بد وكانت هذه الابداد أو البدود لها أسماء معروفة بها مثلاً : هناك كان بد يُعرف ببد الحلان وآخر اسمه بد خاروف وهناك بد يعرف ببد العوايصة نسبة إلى فخد من أفخاذ حمايل تبنة.

البد كان يتكون من قطعتين حجريتين ضخمتين واحدة تعرف باسم القصعة والأخرى باسم المهر . أما القصعة فهي عبارة عن حجر ضخم من القرطيان يجوف ويجرف على عمق عدة سنتمترات ويعالج بشكل جيد حتى يصبح أملس وناعم جداً ويمكن أن يكون قطره متر ونصف إلى مترين وفي منتصف هذا التجويف ينحتون بروز حجري ومستواه أعلى

من مستوى التجويف الأصلي بعدة سنتمترات ويكون هذا النتوء أو البروز الحجري مثقوب ثقباً واسعاً وعلى عمق مناسب ويوضع في هذا الثقب قطعة خشبية مدببة الرأس وتملأ فراغ البروز الحجري وهذا البروز مع الخشبة المدببة تعرف بالقُلب .

أما الحجر الآخر والذي يقال له المهر فينحت ويعالج حتى يصبح مستديراً وأملساً شبيه بعجل السيارة الكبيرة وفي وسطه ثقب واسع يسمح بمرور خشبة مستطيلة وطويلة وذات ثخن مناسب وتمرر هذه الخشبة من فتحة المهر وتركب على خشبة القُلب المدببة وتمتد خارج قطر القصعة بأكثر من مترين إلى ثلاثة أمتار . وهكذا بواسطة هذه الخشبة المثبتة على القلب يديرها العمال بدفعها بأيديهم أو بواسطة الحيوانات كالبقر والحمر وهكذا يدور المهر متعامد مع القصعة ويهرس حب الزيتون المسلوق والمجفف . وتستمر هذه العجلة تدور حتى يهرس حب الزيتون ويصبح ناعماً وهنا نسميه الدريس.

طبعاً دراسة الزيتون كانت تتم حسب الدور ويسمى هذا الدور نوبه ولا يتعدى أحد على دور أحد . وبعد أن يتم درس الزيتون يؤخذ إلى عصارة الزيت وهي من ابتكارات هاتيك الأيام والأزمان.

العصارة عبارة عن خشبه طويله أكثر من ثلاث امتار مع شعبتين مسطحه ثقيله وسميكه لها في نهايتها شعبتان كأصبعين منفرجين بزاويه حاده "وقد تكون 45°) وتثبت نهاية هذه الخشبة بان يحفر لها تجويف عمقه نصف متر بجدار البيت ليس أقل من ذلك أما الطرف الخارجي ذي الشعبتين ويوضع عليه نير خشبي قوي وسميك ليرفع حجراً ضخماً مستديراً يسمى القلع وله ثقب في أعلاه "خراميه" بواسطة حبل قوي يربط القلع والنير على الخشبة "العصاره" ذات الشعبتين ويشد القلع بواسطة الحبل على النير ويرتفع عن الأرض وهكذا يضغط بثقله على الدريس .

يأتون بالدريس إلى حيث لعصاره وهناك يحمصون هذا الدريس بوعاء على النار ثم يملأون هذا الدريس المحمص بالقفاف أو "الشداد" والقفه هذه منسوجه من غزل شعر الماعز مستديره واستدارتها لا تزيد عن سعة استدارة خشبة العصاره أي لا يزيد قطرها عن أربعين سنتمتر

وتوضع هذه القفاف الشداد التي لا يزيد عددها عن خمسة قفاف على حجر املس مصنوع لهذه الغاية وحوله قناه مستديره له ميزاب "مزراب" صفير وبعد حشو هذه القفاف بالدريس المحمص بشكل خفيف توضع على هذا الحجر ويأتي بعد ذلك دور شد هذه العصاره بقلعها الثقيل فوق هذه القفاف المحشوه وهكذا يتدفق الزيت من جوانب القفاف إلى القناه حول حجر العصر ويسيل الزيت بالمزراب إلى الوعاء الموضوع لهذه الغاية.

وهكذا عندما يبدأ جمع وجني محصول الزيتون في تبنه نرى هذه العمليات بأنوعها مستمره طيلة الليل وطيلة النهار والنيران مشتعله ورائحة النيران والزيت المكتح تعبق المكان والخياشيم وتكثر الدعوات وسيدة الاكلات عند الجميع هي المطابقة لأنها بحاجة إلى زيت وما أكثر الزيت في أيام الزيت المشهورة بقصرها "وهي أيام الزيت أصبحت أمسيت ولا أنسى أن أخي صالح كان أيام الزيت يعزب في حوض الزيتون ونسهر عنده كلنا وياما حلا تلك الليالي وتلك السهرات التي كانت تجمع في الغالب جميع إخوانه وأبنائهم، المطابقة تحتاج إلى زيت والزيت لا يزال غير متوفر عند أخي صالح الكليب إذن لماذا لا نعمل زيت فغيش وهو : يجمعون ثمار الزيتون في الحارك "يعني حالاً في المساء" ويدقون الزيتون دقاً بالحجر أو الهاون ثم يحمصونه على النار ثم يعصرونه بالايدي ويخرجون زيتاً يقال فغيش للمطابقة وما اطيب ذلك الزيت وأما اطيب المطابقة بذلك الزيت . أيام لا تنسى وليالي كلها جذلي وسرور وهناء وحبور ولا مانع من أن يجر أخي صالح أو أحد إخواني الأخرين الذين يجيدون العزف على الربابة مع قصائد المدح أو الغزل وتمضي الليالي والأيام تلك الخوالي على هؤلاء الشيوخ وهم يعيشون حياة هانئه ناعمه على عرف ذلك الزمان واعتبارات لا يشغل بالهم هم ولا غلاء أسعار ولا ضياع أوطان ويتسقطون أخبار هترل وحربه ضد الانجليز ويتمنون له النصر والفوز ولم أكن أدر ما هترل وماهم الحلفاء ولماذا نصر هذا على ذاك اسمع هذه المفردات ولا أدرك كنهها ولا معناه ، ولكن كنت أرى في أعين الناس ووجوههم الفرح وكثير من الاعتزاز إذا سمعوا خبراً أن هترل قد انتصر.

يستمر هذا العرس قرابة شهرين وهكذا تعود تبنه بعدها إلى هدوئها أو يعود الهدوء إلى تبنه وتقفر الدور من ساكنيها وتخلو الحارات من روادها والأولاد يعودون إلى مدارسهم وتلك الذكريات الجميله لا تزال تملاء حواسهم وتفكيرهم، والدور التي كانت مزدحمه بالاقارب والضيوف عادت إلى سابق عهدها ، ويبدأ الناس بالترقب والأمل ببوادر موسم جديد يهل عليهم وهو موسم الأمطار والشتاء إذ اصبح الشتاء على الأبواب ويبدأ موسم جديد من حرث الأرض وعزقها وترقب الأمطار حتى يباشروا يبذر الحبوب سواء الزراعات الشتوية مثل القمح والشعير القطاني أو الزراعات الصيفية ويسمون الزراعه قبل سقوط الأمطار عفيراً وإذا جادت السماء بالأمطار بعد زراعة العفير يمنون الأنفس الأماني العذاب بالخير العميم وهكذا تبدأ المضافات والتجمعات لأهل البلد بالحديث عن السنة وهل هي اغلال أو محل وهل كان الصليب بدري ولا متأخر . والمطر كان ولا يزال هو هاجس الناس إذ في سنين الأمطار الغزيرة تنتعش الأمال بسنة خير عميم على الفلاح من أجل نفسه وأهله ومن أجل دوابه وماشيته وبذلك تمرع الأرض ويعم الخير الكثير وتمتلأ آبار الجمع ويستريح الناس وخصوصاً الورادات من النساء اللواتي لا رواحل عندهن من الذهاب إلى عين إسرين من أجل جلب الماء على رؤوسهن والطريق إلى عين اسرين بعيده وشديدة الوعوره وصعبة المسالك إذ كانت المرأة تضع إكليلاً "تشليل" على رأسها وتحمل تنكة الماء عليه. والكليل هو عباره عن قطعة قماش طويله تطويها بشكل دائري وسميك وتضعها على رأسها لتستقر تنكة الماء على رأسها وقد ثبت على رأسها دون الحاجة إلى مسكة وحفظ توازنه بواسطة يديها إذ أصبح لديها خبرة ودربة كبيرة وكنت ترى المرأة تسير مستقيمة الظهر وسطل الماء ثابت ومتوازن على رأسها لمسافات بعيدة وهكذا تستمر سهرات المضافات في أيام الشتاء الطويله والقاسيه وطبعاً كانت كل دار لديها ما يكفيها من الحطب والدريس والجله مخزونه وتحوطاً لأيام الشتاء القاسية وكذلك تبدأ أعمال الفلاحه ومتابعة الزرع وتنقيته من الاعشاب الضاره. ويبدأ الربيع والأعشاب البرية تنمو والأحاديث بين الناس عن النمو الكبير للأعشاب وأن الدابه والعنزة تشبع من الربيع وتستمر الحياة على هذا المنوال إلى

وقت الحصاد وأيام الصيف وأواخر فصل الربيع ويبدأون بتحضير ارض البيادر وتحضير أدوات الحصاد من مناجل وقوادم لنقل الغلال إلى البيادر على الدواب. وبعدها الدرس والدراسه لهذه الحبوب بواسطة لوح الدراسة الخاص الذي تجره الدواب من خيول أو أبقار أو الحمير إذا أعوزت الفلاح الأنواع السابقة من الدواب وبعد الدراسة يذرون البيدر بالمذاري لفصل الحبوب عن التبن. نعم أنها حياة صعبة ومتعبة وليست سهله ولكن الفلاح لا يعرف مهنة غير هذه المهنة ولا عمل غير هذا العمل ولكنه ينام ليله الطويل مرتاحاً ومسلماً أمره إلى الله سبحانه وتعالى وكنا نحن الأطفال نلعب ونعبث على البيادر ونقف على لوح الدراسه "النورج" ونحن نغني أغاني الدراسة مثل يا حمرا يا لواحة يا لونش لون التفاحه وغيرها من الأهازيج الكثيرة التي كنا نجيدها . لا اريد أن أفصل أكثر ولا استرسل أكثر في هذا المجال الواسع وهكذا تمضي ايامنا الحلوه الجميله وكما يقولون " لا هم دنيا ولا عذاب اخره" كان يلازم الحصاد وقبل نضج سنابل القمح أي كما يقال القمح فريك "فريتش" يقطعون هذه السنابل وبكميات مختلفه كل حسب حاجته من الفريكه يفركون سنابل القمح باشعال النيران مع السنابل ولكن ليس لدرجة الحرق أو اذى حبات السنابل . تنضج السنابل نصف نضج يخرجون هذه السنابل ويفكرونها ويخرجون منها حب الفريكة وطبعاً كلنا نحب الفريكه وأكلة الفريكه وخصوصاً الحمام المحمر والمحشي فريكه . كذلك هناك مظهر آخر أرى أهلي يأتون بأوعيه خاصة وهي براميل مدهونة من الداخل يضعون فيها القمح ويضيفون عليه الماء حتى يغمره ثم نشعل النيران تحت هذه البراميل ويسلقون القمح وبعد نضجها تصبح سليقة ينشروها على ظهور الحبطان "والاسقف" حتى تنشف وتجف هكذا أصبح القمح برغلاً جاهزاً للطبخ بعد جرشه على الطاحونه الخاصة به كان السميد سيد الأكل إذ كان الناس لا يعرفون الرز ولذلك كان السميد يستعمل لجيمع استعمالات الرز هذه الأيام وكانت المناسف تصنع من البرغل وكذلك طبخة المليحي .

إذا كانت العائله الكبيره والتي لديها رعيان وقطاريز وحراثين تطبخ وجبة العشاء (والعشاء كان هو الوجبه الرئيسيه) من البرغل ويصب أو

يدار على هذا السميد المطبوخ بعد سكبه في اللقين أو المنسف المليحي وهو عباره عن بصل محمر أو مقلي بالسمن ومن ثم يضاف إليه كمية وافره من الماء مع بعض دبس البندورة والسمن يضاف على لقن البرغل وهكذا يصبح عشاءً ساخناً وجاهزاً ويشبع البطون الخاوية والجائعه طيله فترة النهار بعد العشاء هذا تدار القهوة الساده وإذا كان الشاي متوفراً فلا مانع غلي أبريق الشاي على النيران المتوهجه طبعاً الشاي والسكر لا يخرج إلى الضيف العزيز عادة شرب الشاي لم تكن منتشرة لأسباب كثيره أهمها السبب الاقتصادي وكذلك الرز كان شبه نادر وتوضع منه طبقة رقيقه على وجه المنسف تحت اللحم وتحت الرز كان يوضع الهفيت والمرنخ بالسمن البلدي واللبن المطبوخ وهو عباره عن هشم الخبز وفته "ثريد" ثم يوضع عليه السمن البلدي واللبن المجفف "الجميد" المطبوخ وكثيراً من الناس كان يفضل المنسف الهفيت على الرز أو البرغل.

كنت أرى نيران السلق مشتعلة تحت عشرات البراميل المعبأة بالقمح والماء وكانت النساء وبعض الرجال يقومون بهذا العملية الطقسية وذات المدلول الاجتماعي والمظهر الفلكلوري الابتهاجي.

أما الطاحونه أو الرحى التي يطحن عليها البرغل هي عبارة عن حجرين مستديرين خشنين "حجاره سوداء" كأنها بركانيه قطر الواحد يقارب نصف متر تقريباً الحجر لأسفل في وسطه حفره أو جوره غير نافذه ويوضع فيها القلب وهو عباره عن عود خشبي سميك طوله لا يزيد عن 30سم وأما الحجر العلوي فهو من نفس نوع الحجر السفلى ونفس مساحته وحجمه ولكنه مثقوب في وسطه ويوضع فوق الحجر الأسفل ونمرر رأس خشبة المحور من الثقب وهكذا يصبح حجري الرحى ثابتين وتستطيع المرأة أن تدير القرص العلوي بواسطة مقبض في طرف القرص العلوي ويوضع البرغل في حلق الطاحونة وهو عبارة عن ثقب متوسط السعة في القرص العلوي وهكذا يتحول البرغل إلى سميد وكانت هذه الطاحونة موجودة في كل بيت .

- الحارس (الحاووط) :

هو أحد رجال القرية وهو ذو صفة رسمية وادني سنوي في

الضابطية العدلية . وحيث أن المختار لما بدأت أدرك وتفتح الوعي لدي كان أحد إخواني لذا كان الحاووط أحد أركانه وأركان المضافة . إذ كانت عليه واجبات يقوم بها نحو المختار ونحو المضافة ونحو قوات الدرك .

مثلاً عرفت عبد الرحمن الموسى الجبور كان حاووطاً وكذلك كانت المضافة وتنظيفها وإشعال النار فيها من أجل إعداد القهوة للضيوف والمساييرمن واجباته الأساسية وبما أن النار وإعداد القهوة للضيوف والمساييرمن أهل القرية لذا كان المختار يجلب الحطب من الناس المجاورين ومن أهل القرية بشكل عام وما أكثر الحطب في هاتيك الأيام . لذا كنت ترى الحاووط في الصباح الباكر أو المساء يضرم النيران في الموقد داخل المضافة أو في الموقد الخارجي والديوان الخارجي أيام الصيف وكذلك يبدأ في تحميس القهوة في المحماسة المعدة لذلك الغرض وحال ما تنضج حبات القهوة يضعها في المهباش " النجر " ويبدأ بدقها ويا له من منظر جميل وطقوس رائعة جميلة ورائحة القهوة الطازجة تعبق المكان أما دق القهوة بالمهباش فكان هناك أناس يدقونها بإيقاع جميل كأنه الموسيقى ولا أجمل وكان أخي شريف من الذين يجيدون هذا الإيقاع وهذه النقرسة على المهباش فهي كذلك إذان للمساييروالضيوف بأن القهوة والمه وجاهزة والفاضي والذي لديه وقت يتفضل بالحضور إلى المضافة لشرب القهوة وتزجية الوقت أما بلعب المنقلة " السيجة " أو بلعب الورق " الشدة " وكانت مشهورة لدينا لعبة الميتين أو الباصرة . وهكذا تمضي الأيام هانئة هادئة على الناس .

كذلك كان الحاووط يرسله المختار مرة أو مرتين في الاسبوع إلى المخفر في دير أبي سعيد ليحضر بعض التباليغ ، والتعليمات من قائد الدرك للمختار أو يرسل معه المختار إجاباته إلى قائد الدرك أو يرسل معه بعض تباليغ الولادة للمولودين حديثاً أليس المختار هو أيضاً جزءاً من الضابطة العدلية .

كذلك كان من واجبات الحاووط أن يبلغ الناس أو يعلن بصوت عالٍ عما يطلبه منهم المختار كأن يقول للناس الاجتماع بالمضافة بسبب كذا أو كذا أو يبلغ بعض التعليمات التي يطلبها المختار بناء على أمر قائد الدرك في دير أبي سعيد أو يبلغ عن وصول جابي الأموال الأميرية أو يبلغ عن

تواجد طواف الحرش " الحراج " في المضافة وأن فلان وفلان من أهل القرية مطلوبون للطواف أو للجابي وهكذا ...

أما إذا سألت ما المردود على الحاووط أو ما هو راتبه ليس له راتب معروف أو محدد إنما أيام جني محصول الزيت أو الحصاد يمر على الملاكين أي ذوي الأملاك وأصحاب البيادر يعطونه مقداراً من الزيت أو الحنطة ولكن ليس أقل من العرف المتبع ولا يستطيع أحد أن يتخلف عن إعطائه جعله .أما الفلوتية الذين لا مال عندهم ولا خيل يهديها فلا عليهم أن يدفعوا شيئاً .

المختار هو يمثل الضابطة العدلية أمام أهل القرية وكذلك هو ممثل أهل القرية أمام مسئولي الحكومة في دير أبي سعيد وخصوصاً مدير الناحية أو قائد مخفر الدرك .

المختار في الغالب هو ابن شيخ القرية أو شيخها أو أحد وجوهها إذ يجب أن يكون ذا مال وجاهة حتى تكون كلمته مسموعة ومعتبرة لدى الحكومة أو لدى الفلاحين.

فالمختار مضافته مفتوحة ليلاً ونهاراً وتستقبل كل الناس وقاصدي المختار وذوي الحاجات من أهل القرية او من خارج القرية فيضيف في المضافة ويجد المأوى والمأكل ولا يسأله أحد عن حاجته حتى هو يبينها ويفصح عنها على الأقل بعد ثلاثة أيام وثلث اليوم . مثلاً كان هناك شيخ يقول أن اسمه محمد المغربي من تونس وكان يمكث في المضافة شهوراً يأكل ويشرب وكان مولعاً بالشاي لدرجة كبيرة حتى أن إبريق الشاي لا يكاد ينزل عن النار .وفي أحد السنين سنين الحرب العالمية الثانية انقطع السكر أو أصبح نادراً فكان يطلب مني أن اشتري له عجوة ليمضغ العجوة ويشرب عليها الشاي .

في سنين الحرب العالمية الثانية كانت الحكومة تستورد السكر غير المكرر الأحمر ويوزع على القرى بواسطة مدير الناحية إذ يذهب المختار ومعه قوائم بأسماء الناس وأفراد عائلاتهم فيعطيه مدير الناحية كمية من السكر حسب عدد الناس أو حصصهم وكانوا يحضرون السكر على ظهور الحمير ويكومونه بالمضافة وكنت ترى الماء وقد تسرب من تحت كوم السكر ويأتي الناس ويأخذون حصتهم من السكر وكان المكيال هو الصاع

أو الثمنية والصاع سعته ثمانية كيلو غرامات والثمنية كيلو غرام واحد هذا المنظر عشته ورأيته بأم عيني .

كان المختار يعين من قبل مدير الناحية . إذ كان الذي يود أن يصبح مختاراً يوقع مضبطه بعدد متفق عليه من قبل رجال القرية ويذهب إلى مدير الناحية ويقدم له المضبطة . وعندها يصدر مدير الناحية تعييناً باسم المختار يقال له منشور ويعين المختار عضوين من وجهاء البلدة يقال لهما " إعضواية المختار " .

المختار كما أسلفت هو أحد أفراد الضابطة العدلية وكان في الغالب هو من وجهاء القرية ولذلك ليس له راتباً يستلمه آخر الشهر بل هي خدمة ووجاهة لأهل بلده وأن كان بعض المخاتير يأخذ شيئاً زهيداً عند توقيعه على المضابط التي يحتاجها الأهلون لإتمام معاملاتهم الرسمية . المختار كانت له مهام كثيرة يؤديها سواء للحكومة أو للأهلين . فمضافته مفتوحة للغادين والرائحين وكان ضيوف المضافة الدائمين : جابي الأموال الأميرية على الأغنام ويسمونه " تحصيل دار " ومعه أفراد من الدرك عنصر أو عنصرين والجابي هذا يبيت في المضافة ماكل وشارب وإن كان الموسرون من أهل القرية يعزمونه ويدعونه على العشاء أو الغداء ويبقى الجابي نازلاً في القرية حتى يحصَّل جميع الأموال على المكلفين .

كذلك كانت المضافة تستقبل طواف الحراج " طوف الحرش " وهذا له سلطة مطلقة وخصوصاً في تبنه التي تعج بالحراج " الحرش " ولذا كنت ترى الناس في القرية تخطب وده ورضاه إذ كانت الحراج تتعرض لكثير من الاعتداءات والرعي من قبل قطعان الماشية والحلال إذ كان الناس لا يستطيعون تجنب هذه الاعتداءات فالحطب لبيوتهم والرعي لأغنامهم حاجة يومية متكررة . لذا فرضا طواف الحرش ضروري ومطلوب كذلك كانت المضافة تستقبل رجال الدرك ورجال الحكومة من أجل القيام بمهام واجباتهم كذلك كانت المضافة تستقبل ممرض الصحة من أجل تطعيم الأولاد المطاعيم المقررة وخصوصاً الجدري . إذ تأتي النساء بأولادهن إلى المضافة من أجل التطعيم . كذلك كانت المضافة دائمة الاستقبال للضيوف وذوي الحاجات وكانت تعقد فيها مراسم الصلح

والعطوات ومناسبات الأفراح والجاهات وفي قرية تبنة بالذات كانت مضافة ابن رباع هي المعلم البارز والنشاط الدائم والدرب المطروقة والتي تفتح ذراعيها لكل الناس ولقضاء حاجاتهم وإغاثة ملهوفهم وحفظ دم المهدور منهم تستر الأعراض وتصون الدماء وتصلح بين الناس بما يرضي الله ويخدم الوئام والحب بين الناس ولقد عشت ورأيت كثيراً من هذه المواقف التي كان لها الأثر الأكيد بإصلاح ذات بين الناس وإفشاء السلام بينهم .

- بعض أغاني الحصادين :

كنت أود أن أكتب عن عادات الأعراس والأفراح والأتراح وغيرها من العادات ولكن أدركني التعب والملل وسأكتفي في هذا المقام أن أذكر بعض أهازيج الحصادين والمتعبين في هذه الأرض : وهاكم هي بعض أغاني الحصاد والحصادين :-

منجلـــــي وامـــــنجلاه راح للصـــــايغ جـــــلاه
ومـــا جـــلاه إلا بحبـــه يـــا ليـــت الحبـــه عـــزاه

أو " وما جلاه إلا بعلبة " والعلبة هي مقدار من القمح نصف شوال .

كذلك يقول :

منجلـــــي يـا أبـــو رزة وش جابـــك بلـــــد غـزة
جابنـــي حـــب البنـــات والخـــدود النـاعمـــات

وعند انتهاء يوم الحصاد أو عند مشارفة انتهاء يوم طويل من التعب والضنك والعرق يصبح ايقاع هذه الأغاني سريعاً وكأن يستعجل النهار ليمضي سريعاً ليعود الحصاد إلى أهله وبيته ليتناول طعام العشاء والذي كانت هي الوجبة الرئيسية فيقول راجزاً مسرعاً :

والغزالـــــة زارتـــــه زارتـــــه واختـارتـــــه
قالـــت : جيـرنـــي يـا مـخـتـار جـيـرني مـــن عـذاب النـــار

فيأتيه صوت حنون مقدراً جهده وتعبه طيلة النهار :

روحـــــي والله جـــــارك روحـــي اطعمـــي اصـــغارك

- الأمراض ومعالجتها في طب ذلك الزمان :

لم يكن الطب العلاجي والأطباء والطب الوقائي معروفاً في هاتيك الأيام وحتى لو كان موجوداً وعلى قلته في المدن الكبيرة مثل اربد لم يكن الناس قد عرفوه وشدوا الرحال إليه بل كان الناس يلجئون للطب الشعبي والوصفات التقليدية والتي قد تكون سبباً في زيادة الطين بلة والمرض استفحالاً وأقرب مثال أن والدي عليه رحمة الله وإخواني ومعرفتهم الأكيدة للأطباء سواء في إربد أو عمان أو حتى الناصرة وحيفا لم يلجئوا للطب والأطباء عند مرض والدي إلا عندما استفحل المرض ووسع الخرق على الراثي واستحال الطب والمداواة على النطاسي الخبير . ومن أسباب ذلك أن الطب في الأردن كان في بداياته ولم يكتسب شهرة وسمعة تحفز الناس على طلب الطب والدواء وكذلك تباعد المسافات وعدم وجود المواصلات والاتصالات كان سبباً رئيسياً لذلك .

كان أهل القرية ونساؤها يلجئون إلى نساء الشيخ وهما والدتي وزوجة والدي الحاجة حمدة . إذ كانوا يظنون أنهما لهما خبرة واطلاع أكثر من غيرهن من النساء وفعلاً كانتا تطببان وتعالجان بعض الأمراض .

- الأمراض الشائعة في ذلك الزمان :

1- أبو مزراق : هذا المرض لم يكن معروفاً سببه ولا علاجه وهو موت الفجاءة . إذ يقولون ضربه أبو مزراق ومات إذ يكون المتوفى لا يشكو من أي ألم حسب ما يعرف الناس بل كان صحيحاً معافى يقوم بعمله أي يقولون " تبلعط ومات " ضربه أبو مزراق .

2- الحصبة " الحُمرة " : كانت الحصبة كأنها قدراً محتوماً إذ يجب أن يمرض بها جميع أطفال القرية وحتى عندما أصبحت طبيباً ووجد طعم للحصبة كان الناس غير مقتنعين بالمطعوم وان الحصبة قدر لا بد أن تصيب الأطفال بعد الستة الشهور الأولى من عمره ولكن كانت أكثر حدوثاً للأطفال من عمر سنة فما فوق وليس لها عمراً محدداً إذ كانت تصيب الكبار بالسن والذين لم يحصبوا وكانت الحصبة تقتل الكثير من أطفال القرية وكانوا يقولون إذا فُتحت المقبرة بالحصبة فلا تغلق حتى تقضي على معظم أطفال القرية .

علاج الحصبة (الحمرة) :

نحن نعلم الآن أن الحصبة هي إصابة فيروسية ولذا كان علاجها وعواقبها خطيرة جداً على الأطفال قبل اكتشاف و اختراع الأدوية الحديثة التي تخفف من أعراضها وكذلك بعد اكتشاف المطعوم الخاصة بالحصبة .

كان علاج الحصبة كسائر الحميات في ذلك الزمان يعتمد اعتماداً كلياً على تدفئة الطفل حد الاختناق إذ كان الاعتقاد الشائع أن تدفئة الطفل تجعله يتعرق وعندما يتعرق يكون قد شفي من الحمى . وهذا الاعتقاد عكس المعروف الآن من أن الطفل يجب إنزال وتخفيض حرارته بشتى السبل ووقفها مثلاً استعمال الماء البارد على جبينه وقدميه ويديه إذ إن الحرارة كانت تسبب لكثير من الأطفال تلف جزئي في الدماغ .

أما علاج الحصبة فعلاوة على التدفئة الزائدة كان الأهل يلبسونه ثياباً حمراء "أليست هي حمرة " ، ويكثرون من إطعامه الحلو كالعسل والحلاوة ويدهنون صدره بزيت السيرج على أمل أن يساعد هذا في شفائه . وكان غالباً ما يموت الطفل من الاختلاطات المرضية الأخرى كالتهاب القصبات والرئتين والسعال .

3- الإسهالات " الهلال " يقولون أن الطفل يهل وهذا المرض كان يؤدي أيضاً بكثير من أطفال ذلك الزمان إذ يصيبه الجفاف وسوء التغذية والموت في النهاية .

كان العلاج غالباً هو منع الطفل من الرضاعة وكذلك منعه من أكل بعض المأكولات إن كان قادراً على الأكل وكذلك منع والدته من أكل بعض المأكولات كالخيار مثلاً . كان يعالجون أيضاً بالسقي . ولا أعرف ماهية المادة المستعملة بالسائل وينقطون في فم الطفل وكذلك يقولون أن قلبه مقطوع وكان يدهن بطن الطفل بالزيت ثم يضعون على بطنه مشط خشبي عريض من تلك التي كانت تستعمله نساء القرية ثم يلف بطن الطفل والمشط عليه بسفيفة " حزام صوفي " على أمل أن يطيب القطع ويخف الإسهال والمراجعة "القداف " .

4- من الأمراض الشائعة في ذلك الزمان الرمد وخصوصاً بأيام الصيف حيث كان يعتقد أن الرمد سببه كثرة التين وشوك الصبار " الصبر " وكان الناس يضعون في عيونهم قطرة يسمونها القطرة الحمراء أو

كحل الشمشم . أما الرمد فكان علاجه يتم بواسطة كحل الحجية والحجية هذه هي زوجة أبي إذ كانت تصنع كحلاً خاصاً بها وهذا الكحل جربته مرة واحدة وأنا صغير وغصباً عني ، وأنني لا أزال أذكره وأذكر أن النار ولعت بعيني ولم أعد أقبل أو أرضخ لتجربته مرة أخرى .

كذلك كانت الحجية مشهورة بوصفة أخرى وهي الحطوط وهي مادة لا أعرف كنهها أو من أي شيء تصنع وهي من اختصاص الحجية وكانت توضع بمؤخرة الطفل إذا كان يعاني من هبوط المقعدة أو كعقاب إذ يقولون لديه رخاوة شرجية . وهذه المادة تسبب ألماً شديداً قد يدوم أياماً مع الطفل حتى ولو تبرز الطفل .

5- بنات الأذان " التهاب اللوزتين " : مصطلح الالتهابات لم يكن معروفاً في تلك الأيام . كأن يقال أن بنات اذانه نازلة وكانوا يلجئون مثلاً إلى: كان يبلع بيضة مسلوقة كاملة بعد نزع قشرها اعتقاداً منهم أنها ترجع نزول بنات الأذان وكذلك كانت الحجية متخصصة برفع بنات الأذان : إذ كان يأتيها النازلة بنات أذانه لترفعها له . وكان يفتح فمه وتدخل إصبعيها الأوسط والشاهد في فم المريض وتدفعها بقوة إلى الأعلى حتى أنه في مرات كثيرة كان الدم يخرج على أصبعيها أو من فم المريض وهذه علامة جيدة .

6- الطنطاف [1]:أي سقف الحلق الناعم أو الطري أو اللهاة وهذه اللهاة مسكينة كانت متهمة بأنها سبب كثير من أمراض الطفولة . إذ عندما ينظرون في حلق الطفل إذا كان يشكو من التهاب بالحلق تلتهب هذه وتنتفخ ولا بد من إزالتها . وكان في القرية شخص متخصص في قطع اللهاة . وهي بأن يدخل خشبة ناعمة كخافض للسان في هذه الأيام يضع اللهاة عليها ويدخل آلة حادة طرفها معكوفاً ويقوم بواسطتها بقطع اللهاة بعد أن ثبتها بخافض اللسان وأعرف حالة حدثت في غير قريتنا كان القطع جائراً حتى وصل إلى سقف الحلق وتسبب بنزيف شديد أودى بحياة الطفل .

7- الطهور : كان هناك ما يعرف بالشلبي وكان يطوف على القرى

(1) أطلعت على كتاب الخدمات الصحية . للدكتور الصيدلاني سالم سليمان علي حداد أبو زياد .

حاملاً شنتة صغيرة مميزة وكان في بعض الحالات يصيح معلناً عن بضاعته . كان هناك مطهراً تعرفه القرى في ذلك الزمان اسمه أبو محسوسة وهو الذي طهرني وكان يرش على الجرح مسحوقاً أبيضاً لا أعرف كنهه ثم يربط الجرح بقطعة شاش وكانوا يغنون للطفل بقولهم:

طهروا يا شلبي وناوله لأمه .

وغيرها من أغاني الفرح والابتهاج إذ كانت هذه المناسبة من مناسبات الأفراح في القرى وكان ميسور الحال من الناس يولم لطهور ولده أو أولاده ولكن كانت في بعض الحالات تحدث مشاكل صحية خطيرة للأطفال وخصوصاً إذا كان الشلبي ليس لديه خبرة في هذا المجال . اذكر عندما كنت طبيباً جراحاً في مستشفى الأميرة بسمة في اربد سنة 1967م جاءت امرأة إلى المستشفى وتحمل ابنها الذي قام بعملية التطهير له من هؤلاء المطهرين عديمي الخبرة وعندما كشفت على الطفل وجدت أن عضوه قد ذبل وأصيب بغرغرينة جافة وأوشك على السقوط ولم نستطع أن نقدم له أية مداخلة جراحية وخصوصاً أن الطفل وحيد والدته ووالد الطفل متوفياً .

نعم كانت تحصل مآسي كثيرة نسمع عن بعضها وليس كلها كان الناس يعانون منها .

8- السعال : من الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الزمان وكانت كذلك تودي بحياة كثير من الأطفال وخصوصاً دون عمر الخامسة والتي تعرف بسنوات العمر المظلمة لكثرة وفيات الأطفال فيها .

وكان العلاج المتبع في تلك الأيام : يدهنون الطفل بزيت الزيتون أو زيت السيرج . وكانت تعمل له كاسات هوا " هي أقرب إلى الحجامة " إذ كان يشطب ظهر الطفل بواسطة شفرة حلاقة جديدة " نست " ثم تشعل ورقة سيجارة رقيقة وتوضع في كاسة شاي صغيرة وتوضع فوق الجرح وبعد أن يستهلك الأكسجين يلتصق الكأس في مكانه وهكذا توضع عدة كاسات على الظهر حتى تسقط من تلقاء نفسها . كذلك كان تعليق فاهقة ذيب " هي عظمة الرقبة الأولى " وهذه كانت وصفة أكيدة للسعال الذي يطلق عليه السعال الديكي .

كان هناك كثير من الأمراض الشائعة وخصوصاً الأمراض السارية

والمعدية ولدغة الأفعى ولسعة العقرب ويداوونها حسب الوصفات الشعبية المتداولة في ذلك الزمان قليلاً ما تنجح تلك المداخلات والعلاجات مثلاً كثير من العلاجات الشائعة في ذلك الزمان كانت :

البابونج : منقوع البابونج لكثير من الأمراض مثل السعال والمغص والإسهال .

منقوع الميرمية : للمغص والإسهال وآلام المعدة .

إجرية الحمامة .

الادهان بزيت الزيتون أو زيت السيرج .

التشطيب : أي يشطب المريض بآلة حادة ليخرج الدم الفاسد .

كاسات الهوا : وهذه معالجة وتقنية متبعة لكثير من الحالات .

الكوي : كذلك آلية متبعة لكثير من الحالات وخصوصاً أوجاع المفاصل والأعصاب كعرق النساء .

اللبخات : وهي عبارة عن معجون تصنع من مواد متداولة بينهم ويضعونه في قطعة قماش ويربطونها حول الدمل بالذات حتى يستوي كما يقولون وينفجر .

العصاب / الرباط حول العضو المتألم منه كعصابة الرأس أو البطن أو غيره من الأعضاء القابلة للعصب والربط ، وقال حاديهم :

راسي يوجعني ويريد عصاب
من شوفي للترف جنني

9- الترف : الحبيبة الجميلة .

وكانت تدفئة الطفل سيدة الموقف في الحميات وارتفاع الحرارة .

10- الصفار : كان الصفار يصيب بعض الصغار من الأطفال أو الكبار وكان علاجه أما بالكي في عنقوره " أي نقطة التقاء الرقبة بالرأس " وأنا أذكر أن والدتي أخذتني لعند شخص متخصص بالكي وكواني بمسماره العوادي وضع طبعته الكبيرة في النار حتى احمَّر ثم كواني فيه . وهناك علاج أقل إيلاماً وهو تقطير عصير قثاء الحمار في الأنف ، وهذا العصير شديد المرارة وكأنه يثير الأغشية المخاطية للأنف فينسكب كثير من المخاط قاتم شديد الاصفرار حتى الخضرة ، وهنا يقولون طاب من الصفار " أي شفي " . وما دروا أن الصفار هذا هو عرض لالتهاب الكبد

.

11- وجع الأذان : أي التهاب الأذن الوسطى نتيجة نزلات البرد أو الرشوحات وكنت كذلك أعاني هذا الوجع : يا له من وجع ممض كان يحرمني من النوم وجع ليس له مثيل وكانت والدتي رحمها الله تلجأ إلى كثير من وصفات ذلك الزمن مثلاً :

وضع حليب أم البنت " لاحظوا حليب أم البنت " في إذني ولكن بدون جدوى تذكر أو وضع زيت زيتون دافي .

الحليب والزيت بسبب دفئه كان يجلب قليلاً من الراحة ولكن بشكل مؤقت ثم يعود الألم أشد وأقوى وكانت الوصفة الأكيدة والتي تريحني وهو الملال المطفي ثم يوضع في خرقة كضمادة وأضعها على أذني المتألمة حتى تنفجر أذني ويخرج منها إلى الخارج بعد ثقب الطبلة الصديد المتكون أما الملال المطفى وهو عبارة : بقايا النار الذابلة خلل الرماد وبعد وضع الماء عليه تنطفي بقايا النيران ولكن يبقى ساخناً جداً حتى لا أكاد أطيقها من شدة حرها ولكن" ما يوزيك على المر غير الأمر منه " وما أن تنفجر ويخرج الصديد حتى يذهب الألم وأستريح وأنام .

لم يكن هناك علاج شافي لهذه الحالة وكان جل ما يعطيك الطبيب قطرة أذن فوارة لا تغني ولا تسمن . وبقيت أعاني من هذه الحالة الشديدة المؤلمة مرة أو ثنتين في السنة ولما كبرت خفت هذه الحالة كثيراً وآخر مرة أصبت بها كنت في ثانوية اربد في الصف الرابع ثانوي .. فهنا سارعت قبل أن يستفحل الأمر بالذهاب إلى الطبيب وأذكر أني ذهبت إلى الدكتور أحمد طوالبة فزرقني إبرة قال أنها بنسلين وفي الحال ذهب ما كنت أشعر به من بوادر الألم كأنها السحر وكانت أول حقنة عضلية أتلقاها في حياتي وكانت كذلك آخر مرة أعاني من ألم الأذان . لرب سائل يسأل وما هو حالة طبلة أذني أقول بخير والحمد لله إذ شفيت تماماً ولم أعاني من أية مشاكل سمعية على تقدمي في العمر .

12- الكسور والفكك : كان في تبنة أكثر من مجبر وكانوا يعتمدون على الشد الشديد للعضو المفكوك أو المكسور " يقولوا شبحوه " . وكانوا يصنعون الجبيرة من البيض وأشياء أخرى مثل الصابون المبروش ويضعونها على شرائح من القماش ويلفونها على عوارض

خشبية مصقولة كالمساطر وهكذا . ومن المشهورين بالتجبير في تبنة الحاج عبد القادر أبو عدالة .

أنني أذكر وأنا طبيب جراح في مستشفى الأميرة بسمة في إربد سنة 1966 جاءني شخص وقال بدي تصور صورة شعاعية لوالدي سألته ماله والدك قال مكسور قلت له يجب أن أقوم بفحصه ومن ثم أقوم بتصويره وإجراء اللازم له قال : لا فقط أريد منك تصويره قلت طيب لماذا تريد الصورة فقط . قال لأنه طلبها مني عميش " عميش هذا مجبر له شهرة واسعة في هذا المجال في بلدة الحصن " فاعتذرت له بأنني لا أستطيع إلا إذا كان المريض عندنا في المستشفى ونحن الذين نشرف على علاجه .

سقى الله هاتيك الأيامِ كانت حلوة وجميلة على مرها وصعوبة العيش فيها ولكن كان الكل قانعاً والكل راضٍ بما قسم له الله سبحانه وتعالى وكنت ترى الرضا في النفوس والوجوه والعلاقات الحميمة والناس تتعاون على كدح الحياة ومر العيش برضا وتسليم وكانت هناك عادة تسمى العونة أو " الجورعة " الكل يهرع لمساعدة الكل عند الحاجة كأيام الحصاد أو أيام البناء أو أيام طراشة المنازل روح تتجلى فيها حب الخير ومعونة الناس والرضا بالمقسوم والكل مع الكل على نائبات الأيام وتقلبات الزمان .

والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

هذا بعض ما جال في النفس ونقش في الذاكرة من أمراض ذلك الزمان الشائعة وطرائق معالجتها وتطبيبها .

وأرى في هذا المقام قبل أن أقلب على صفحة نقوش أخرى وأثبت بعض النشاطات التي مرت بي أو مررت بها أن أذكر بعض هذه الطرائف والمواقف التي لا زالت منقوشة على لوح الصدر طرية طازجة هي ليست على الحصر ولكن على سبيل المثال .

ـ كنت أزاول عملي في المستشفى الجراحي (الأشرفية) البشير الآن سنة 1965 كان هذا المستشفى كما يدل عليه اسمه للجراحة والمعالجات والتداخلات الجراحية ، إذ أن باقي مجالات الطب كالأطفال والباطنية وغيرها لها مستشفياتها ومنتشرة في أكثر من موقع في أحياء وجبال عمان .

كانت الإذاعة الأردنية أو الصحف اليومية تذكر أن الطبيب المناوب هو المستشفى الجراحي ، هكذا دون تفصيل وبيان ماهية المناوبة .

نعم كان يناوب عندنا في المستشفى الجراحي الطبيب الشرعي المناوب للساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساءً ثم يغادر إلى بيته ، وكان عمله اعطاء التقارير الشرعية الطبية للحالات المحولة إليه من الشرطة أو المدعي العام . هذا كل عمله وليس له أية مداخلات طبية أو علاجية .

الناس كانت تظن أن المستشفى الجراحي هو المعني بالحالات الطارئة وعلى اختلاف أسبابها ومسبباتها أليس هو الطبيب المناوب ؟ وكانت الحالات الطارئة يؤتى بها إلى المستشفى الجراحي ، ونحن الأطباء في المستشفى نستقبل كل هذه الحالات الطارئة ونعيد تصنيفها ومن ثم نحولها إلى المستشفيات ذات الاختصاص وكثيراً ما كنا نعاني من اقناع المريض أو ذويه إن هذا ليس عملنا ولا نستطيع أن نؤدي أية خدمة في غير اختصاصنا .

نعم الناس معذورون بعد كل هذا التعب واللهفة على حالتهم المرضية ثم لا يجدون من يستطيع أن يقدم لهم الخدمة المطلوبة ولكن ناس ذلك الزمان كانوا مؤدبين ويتفهمون وكان لا يزال للطب والأطباء احترامهم وهيبتهم ولم يحدث أن سجلت أية حالة اعتداء على أطباء ذلك الزمان .

المستشفى الجراحي " الأشرفية " كان يخدم مائة وعشرين سريراً يقوم على خدمتهم أربعة أطباء فقط : مدير المستشفى د. جميل صالح مرقة ، مساعده د. سليمان دحابرة ، وطبيبان هما د. طلال عبد الرزاق خريسات وقد نُقل د. طلال وجاء بديلٌ له، د. مأمون معابرة . وكنت أنا الطبيب الآخر وكانت عليّ وعلى د. طلال أو مأمون حمل جميع مناوبات المستشفى ليلاً طيلة أيام الاسبوع أي يناوب أحدنا ليلة ويستريح ليلة أخرى ولكن صباح مناوبته بالمستشفى يبقى مداوماً دواماً عادياً من الذهاب للعيادة أو الدخول في غرف العمليات أيام العمليات إذ كان هناك غرفتا عمليات تفتحان ثلاثة أيام في الاسبوع للعمليات العادية ، ودائماً مفتوحتان للحالات الطارئة . وكان يخدم المستشفى طبيب تخدير

اختصاصي واحد ولا أحد غيره في وزارة الصحة وهو معالي الدكتور موفق ناصر الفواز الزعبي وطبيب اختصاصي أشعة واحد فقط في وزارة الصحة هو د. حسان عبدة . إن أعمال التخدير أو الأشعة في المناطق المختلفة وفي المستشفى الجراحي يقوم بعبئها فنيو التخدير وفنيو الأشعة .

كان حملاً هائلاً وثقيلاً على هذا الكادر المحدود ، وكان يقع على كواهلنا عبءٌ ثقيل علينا أن نقوم به ونجيده ونحسن العمل فيه طيلة أربع وعشرين ساعة يومياً وباستمرار .

أود أن أخلص من هذا الاستطراد إلى هذه القصة :

في إحدى الليالي سنة 1965وكنت الطبيب المناوب في المستشفى الجراحي ، وكان مهجعي في غرفة يطل شباكها على ساحة الطوارئ وحيث أن وسائل الاعلام تعلن أن المستشفى الجراحي هو المناوب لذا كان يطرق باب المستشفى بعد الدوام الرسمي كل حالة طارئة أو يرى أهلها أنها حالة طارئة والناس لا تعرف أن المقصود بالمناوبة هو الطبيب الشرعي للحالات القضائية ويأتي ساعات محدودات في المساء ثم يغادر إلى سكنه ومنزله. يبقى طبيب المستشفى الذي عليه أن يتعامل مع كل الحالات الطارئة سواء كانت اختصاص المستشفى الجراحي أو غيره من الحالات الطارئة .. وحيث إن شباك غرفة نومي يفتح على ساحة الطوارئ ونتيجة الجلبة والضجة المستمرة طيلة الليل للطوارئ فكان متعذراً على الطبيب أن يغفو لحظات في سريره .

في إحدى ليالي مناوبتي وبعد منتصف الليل قامت ضجة هائلة وصياح وصراخ (طار النوم من عيني) وقلت في نفسي خير إن شاء الله وبقيت متيقظاً في فراشي منتظراً ممرض عيادة الطوارئ ليأتي ويستدعيني للحالة ، وفعلاً مرت بضع دقائق وجاء الممرض ينقر على باب غرفتي فقلت له ادخل : خير إن شاء الله ؟ قال لي حالة طارئة قلبية والمريض وصل متوفياً قلت له كم عمره قال بحدود الخمسين سنة . وقد فحصت قلبه ونبضه وضغط دمه حيث لا نبض ولا ضغط قلت له أنت متأكد أنه متوفى قال نعم وكان ممرضاً كفؤاً وخبيراً لطول فترة عمله ودربته فوثقت به وقلت له إذن ارسلوه إلى الغرفة السودا . وكانت الغرفة خارج

مبنى المستشفى ولكن بعد دقائق معدودة بدأت ألوم نفسي وتحدثني نفسي لما لم أذهب لمعاينته . صحيح هو مريض قلب وحالة قلب ليس من اختصاصي ولكن لم استطع أن أقاوم هاجساً في نفسي ، فنهضت حالاً من فراشي واستدعيت الممرض وقلت : احضر لوكساً كهربائياً أريد أن أفحص المريض بنفسي . قال لي : والله يا سيدي وصل متوفياً وهذه ليست أول حالة تمر عليّ فلست غشيماً . قلت له: ولو عليّ الذهاب وفحص الحالة . ذهب معي وفتحت الغرفة السودا وقمت بفحصه فحصاً شاملاً دقيقاً وفحصت ضغطه وقلبه ونبضه عندها اطمأنت نفسي وارتاحت وعدت إلى سريري مطمئن النفس مرتاح الخاطر .

- في سنة 1967 كنت جراحاً في مستشفى الأميرة بسمة في إربد ونتيجة لنذر الحرب واقترابها وضعنا خطة طوارئ في المستشفى وهيئنا المستشفى لاستقبال الحالات الطارئة إذا نشبت الحرب ونحن بانتظار أن تصلنا حالات اسعافية وحالات جرحى. لم يصل لنا أي جريح وفي اليوم الثاني أو الثالث قيل لنا هناك جنود سوريون في الطوارئ فهرعنا جميعنا إلى الطوارئ جميع الكوادر من أطباء وتمريض . وجدنا مجموعة من الجنود السوريون بالعشرات ولكن لم نجد فيهم أية حالة تستدعي الإسعاف أو العلاج ولما سألناهم ما الخبر ؟ قالوا : نحن كنا في الحمة السورية وعندما أعلن أن الجولان قد سقط لم نجد أمامنا وسيلة إلا أن نقطع نهر اليرموك إلى الحمة الأردنية وهكذا كان .

عشنا أيام الحرب بحلوها النادر وعلقمها الناقع القاتل . لم يأت أحد على الطوارئ ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها وكللت النكسة هاماتنا وكلكل الألم الممض على صدورنا ونحن لا حيلة لنا ولا طول إلا أن ندندل رؤوسنا ونداري خيبتنا ، أقول في هذا الأثناء جاء من يقول إن في الطوارئ جندياً أردنياً جريحاً سيطر الذهول عليّ . بعد هذه الأيام هل لا يزال جنود يقاتلون وجرحى ؟ لنذهب إلى الطوارئ ونرى ما لدينا في الطوارئ .

وجدت جندياً اردنياً سليماً ومعافى ولكن هناك رباط على بطنه فعندما رفعت الرباط عن بطنه وجدت كتلة لحمية ظاهرة وبارزة من جرح قطعي في بطنه ... قلت له ما الحكاية ؟ قال : كنت في موقع الشيخ جراح

مع زملائي الجنود الأردنيين ولكن لكثافة الطيران الإسرائيلي لم يستطع أحدنا أن يعرف رأسه من خندقه ثم جاءت الدبابات الإسرائيلية واقتحمت خنادقنا لا بل وسارت عليها وكان نصيبي أن أصبت في بطني وأغمي عليّ وبعد أن أفقت في اليوم التالي كانت المنطقة قد هدأت ولا قتال ولا جنود . تحسست حالي فوجدت ان أحشائي خارج بطني . وبعد أن اطمأننت أن لا أحد يراني ولا أثر لجنود العدو نهضت من موقعي وتسللت إلى أقرب دار في منطقة الشيخ جراح وهناك استقبلوني وآووني ونظفوا جرحي قدر استطاعتهم وبقيت عندهم حتى خف الطلب وهدأت الأحوال قرابة العشرة أيام ثم ألبسوني لباساً مدنياً واركبوني حماراً وأوصلوني إلى نهر الأردن ومن هناك قطعت النهر ووصلت ماشياً إلى الغور ومن ثم إليكم في إربد . بالله عليكم كم عانى هذا الجندي الشجاع وتحدث كيف سالت دماؤه ودماء رفاق السلاح وروت أرض الشيخ جراح . ولكن في القلب حسرة وفي الروح حشرجة كيف أنهم لم يستطيعوا أن ينجزوا شيئاً وهم لا غطاءاً جوياً ولا امكانات قتالية غير سلاحهم الفردي الذي لم يستطيعوا استعماله أمام الطائرة والدبابة .

هنأته بسلامته وان الذي عليه قد قام به وطلبت تحضير غرفة العمليات .

هناك سبحان الله لم أجد أي عضواً قد أصابته الطلقة فكل أحشائه سليمة وكذلك العجيب لا التهابات ولا التصاقات وكان غشاء المساريقاً قد أحاط بأحشائه إحاطة السوار بالمعصم وحفظها من كل سوء .

أعدت أحشائه إلى جوفه وغسلت جوفه جيداً وطهرته وخطت جلده وشفي ولم يمكث في المستشفى إلا أيام قليلة وعاد إلى أهله وقريته سالماً معافى .

ـ في عصر أحد الأيام جاءني مسئول الطوارئ يعلمني عن وجود حالة في الطوارئ، قلت له ما هي ؟ قال : انزل إلى الطوارئ وسترى ، ذهبت إلى الطوارئ وهناك وجدت رجلاً في الخمسين أو الستين من عمره لم أعد أذكر وبعد أن حييته سألته : خير إن شاء الله ؟ ما المشكلة ؟ بدا التعلثم عليه والتردد في الكلام ، حاولت أن أشجعه بأن أقول له تفضل قل مما تشكو . قال : لقد " دخل معي ايد الهاون " لم أفهم ... قلت له ماذا ؟

دخل ؟؟؟ وأين ؟؟؟ قال لي ثانية إيد الهاون والحياء والتردد يأكل وجهه . أقول لقد دهشت على كثرة ما نرى ونعاين ونفحص مرضى لم أر أو لم يمر علي مثل هذه الحالة ، صفنت لبرهة حتى استجمع شتات فكري ثم سألته .. كيف .. حدث هذا ؟ قال لي : كنت أعاني من إمساك شديد وظننت بعض الظن أن محاولتي ادخال يد الهاون في مؤخرتي قد يفيدني ويسلك الإمساك وأثناء محاولتي تسليك المجرى مزطت ايد الهاون واستقرت في الشرج ولم استطع اخراجها .

أرسلته إلى الأشعة وقاموا بتصويره ، فإذا يد الهاون مستقرة في الحوض وكانت يداً كبيرة وغليظة ، يعني يد هاون كبير .

ادخلناه إلى غرفة العمليات وتحت البنج الكلي وبعد جهد كبير ولم نستطع اخراجها إلا بعد أن ربطناه بحبل متين وقمنا بسحبها ، وفي النهاية خرجت سالمة معافاة من شرجه، ولكن ألقيناها مع البراز والفضلات التي خرجت من الشرج . الطريف أن المريض بعد أن استعاد وعيه وأصبح باستطاعته الخروج سألني عن يد الهاون ، قلت له لقد طرحناها مع الفضلات فأسف كثيراً .

ـ حالة قريبة من هذا ولكن بشكل مختلف ، أخبرني من في الطوارئ أن هناك حالة رجل يعاني من إمساك شديد من أكله الصبر " التين الشوكي " أي " معصمص كما يقال بلغة الناس " ، ذهبت إليه وبعد أن أجريت الكشف الحسي عليه وجدته يعاني من إمساك شديد كأنه حجر الصوان القاسي ولا سبيل لإخراج أية كمية من هذه الفضلات المتراصة والمتماسكة بشكل عجيب وغريب ، أدخلناه غرفة العمليات وتحت البنج العام قمنا بتوسيع منطقة الشرج والخروج بشكل واسع جداً ومناسب وقمنا بتفريغ المنطقة من بقايا بذور الصبر ولكن كانت كمية هائلة جداً ومتماسكة جداً يصعب تصديقها كأنها جبلة اسمنت إذ امتلأت صفيحة كبيرة سعة العشرين لتراً . سألته كيف حدث هذا معاك؟ قال : والله أكلت بدون وعي مني حتى إن قشر الصبر الذي أكلته أشبع ثوراً لي وصد عن الأكل ومع ذلك واصلت الأكل حتى أصبحت على الحالة التي رأيتني فيها .

ـ في أحد الأيام في مستشفى الأميرة بسمة جاءني مسئول الطوارئ يعلمني أن هناك حالة طفل " ولد " في الطوارئ مصاب في رأسه إصابة

بليغة ، ذهبت إلى هناك وكان مع الطفل " الولد عمره لا يقل عن ثمانية سنين " والده ولما سألت الوالد ما الذي حصل ؟ قال لي : والله يا دكتور أنا بسوق قلاب وكنت قد عبأت القلاب حصمة وكان ابني معي ولكن أثناء تشغيلي القلاب لم انتبه للولد . فحشرته بين الصخر والقلاب وفخشت رأسه. ألقيت نظرة على الإصابة إذ كان الدم غزيراً وأغشية المخ ومادة المخ نفسها قد برزت من بين عظام الجمجمة .. فكرت ما الحل ؟ ليس هناك مستشفيات في اربد غير مستشفى الأميرة بسمة وفي الزرقاء مستشفى حكومي أعرفه واعرف كادره وكذلك المستشفى الجراحي في عمان . طلبت تحضير غرفة العمليات وادخلت الطفل إلى العمليات وتحت التخدير العام (المخدر فنياً ولا اختصاصياً) وبعد أن تعقمت ولبست قمت بفحص الجرح بشكل تام ودقيق وكان أول عمل قمت به أن غسلت الجرح ونظفته تنظيفاً تاماً ومزجت مع الماء المطهرات والمضادات الحيوية ، ثم قمت بقص جميع الأنسجة البارزة من الجرح والمتأذية بشكل كبير سواء كانت عضلية أو غشائية أو مادة المخ نفسها، كما كان هناك فقد بعظام الجمجمة ، ثم قمت بخياطة المنطقة المتضررة حسب تشريحها وأما مكان العظم المفقود فقد خطت بعض الأنسجة العضلية السليمة وكذلك الجلد وضمدته.

طبعاً كانت هناك كثير من الهواجس والمخاوف التي قد تسبب مضاعفات شديدة وقد تكون قاتلة . ولكن مشيئة الله أنقذت الطفل ولم يعان من أية مضاعفات التي كنت أهجس بها وأتحسب منها . وخرج الطفل معافى سليم .

دارت الأيام وفتحت عيادة لي في الزرقاء وفي أمسية أحد الأيام دخل عليّ شاب بمقتبل العمر وسلم عليّ سلاماً حاراً وأنا له منكر ، فبادرته بالسؤال من أنت ؟ قال : يا دكتور ما عرفتني ؟ قلت له : بلا صغرة منك ما عرفتك . فرفع لي غطاء رأسه وعقاله وقال انظر في الحال عرفته ، قلت له : هو أنت .. ؟ قال : نعم هو أنا ، كانت سعادتي وفرحي به كبيراً وقلت له هل عانيت من هذه الإصابة ؟ قال لي : لا وإنما أصبحت أنسى بعض الأشياء .

على كثر ما مر عليَّ في حياتي العملية والطبية أكتفي في ختام هذا

الموضوع بهذه الحكاية التي شاهدتها وعشتها وهي :

لقد افتتحت عيادتي الخاصة بالزرقاء بشارع الملك حسين " السعادة " ملك السيد محمد أبو حلتم في 1968/8/1 وبدأت مزاولة عملي فيها وكان دخل العيادة أحسن بكثير من راتب الوظيفة في هاتيك الأيام .

في أحد الأيام من هذه السنة أو التي بعدها ، كنت أعمل في عيادتي ، دخل عليَّ رجل في الخمسين من عمره وبعد أن ألقى التحية سألته ما هي حاجته ؟ قال لي : إذا سمحت يا دكتور أن تذهب معي إلى البيت وتشرف على ولادة زوجتي . سألته كطبيب هذه الولادة كم ترتيبها ؟ قال هذه " بكرية " ، سكت وصفنت لحظات قلت كيف ؟؟ قال هذه زوجتي الثانية ... سألته لماذا هل زوجتك الأولى عقيماً ؟ قال : لا والله ولكن ما بتلد إلا الإناث .. قلت له وما ذنبها ؟ أنت تزرع وما تزرع تحصد . قال كيف هذا ؟ قلت : الرجل هو الذي يحدد جنس المولود أذكر أم أنثى ؟؟ وليس للمرأة دور بهذا إلا الحمل . قال : "والله هذا اللي اجاك " والحمد لله على كل حال ، إن القديمة قد ولدت قبل شهر وكان المولود ذكراً وحمدنا الله تعالى .

قلت له بما أن زوجتك هذه بكرية لذا أنصح بأن تلد في المستشفى أسلم وأفضل . قال : أرجوك يا دكتور أنت تعال معاي وهناك بتقرر . أمام إصراره ذهبت معه ، عندما وصلت وكشفت على السيدة وجدتها قد قاربت على الوضع ومن الأفضل أن تتم الولادة الآن حيث هي ، ثم بدأت بالوضع وظهرت الأطراف السفلية للجنين أي أن الولادة حصلت بالمقعدة ثم بدأت أساعد الولادة وبدا واضحاً أن الجنين طفلة أنثى ، ثم تمت الولادة وإذا بهذه الأنثى الجنين لا رأس لها . قلت للزوج انظر واعتبر وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول في سورة الشورى : (﴿ ﴾) (سورة الشورى :الآيتان 49 -50) فاعتبروا يا ذوي الأفهام والعقول .

- بعثة السودان الشقيق :

في إحدى الزيارات المهمة التي قام بها سمو الأمير الحسن بن طلال أثناء ولايته للعهد إلى السودان الشقيق للإطلاع على أحواله الصحية والمعاشية في عقب إحدى الكوارث التي أصابت السودان الشقيق في العقد الأخير من سنوات ثمانينات القرن العشرين . وبعد اطلاع سموه على الأوضاع هناك في ولاية دارفور وبالتنسيق مع الإخوة السودانيين قرر سموه ارسال بعثات طبية لمحاولة النهوض بالصحة هناك ، عندها كلف الهيئة الخيرية الهاشمية وكان أمينها في ذلك الوقت الدكتور عبد السلام داود العبادي الأمين ووزير الأوقاف لاحقاً . وهكذا بالتنسيق مع رئاسة الوزراء ووزارة الصحة باشرت الهيئة بإرسال بعثات طبية متلاحقة كل شهرين إلى ثلاث شهور بعثة إلى دار فور وإلى مدينة كاس تحديداً من محافظة إنيالا .

وكان هناك عبء ثقيل على البعثات الأولى في بادئ الأمر إذا كانت البعثة تعاني من النقص والنواقص في كل شيء .

أولاً : المستشفى كان مستشفى بالاسم فعلى البعثة أن ترممه وتبني ما تصدع منه ليصبح قادراً على إيواء المرضى بشكل محترم ولائق .

ثانياً : إن المدن في محافظة انيالا ومنها المدينة التي تقرر العمل بها تعاني من عدم وجود المباني كما يتبادر إلى الذهن كالمدن العادية بيوتها في الغالب الأعم هي بيوت من قش وأسواق نبات الدخن الذي يأكلونها كالقمح عندنا ، وكانت البيوت إما مخروطية الشكل ، وفي هذه الحالة تسمى قطية أو مستطيلة الشكل وتسمى كرنك .. ويحيط بها سياجاً من الطين أو القش .

أما البيوت المبنية من الآجر المشوي أو النيء كانت قليلة تعد على الأصابع .

لحسن حظ البعثة كانت هناك دار متسعة وفيها عدة غرف من الطوب ومن بقايا الجيش البريطاني . كانت هذه البيوت بحاجة إلى صيانة وأعمال كثيرة ومن أهم هذه الأعمال حفر جور امتصاصية إذ كانت المراحيض في هذه البيت يكون تحتها فراغ ويفتح على خارج الدار أي

على الشارع العام ويوضع تحت فوة المرحاض جردل أو دلو كبير وعند امتلاء هذه الجرادل بالفضلات يقوم الخدم والعمال بإفراغها في مكان بعيد عن المساكن تصور كم كانت هذه العملية مقرفة ومسيئة وغير صحية .

كذلك كان الماء النقي غير متوفر فقامت البعثات الأولى ببناء ووضع أجهزة تعقيم للمياه وسحبها من المصدر الذي هو في الغالب بئر شبه ارتوازي وجره إلى السكن حيث تم بناء خزانات مياه في السكن وتم توزيع المياه على المطابخ والمغاسل ودورات المياه وغيرها كثير من الأعمال الأولية والضرورية حتى تستطيع البعثة الطبية ممارسة عملها بشكل مقبول ومعقول كل هذا وغيره كثير قامت به البعثات السابقة التي أرسلت في بادئ الأمر .

دار فور ولاية كبيرة جداً أكبر من فرنسا مساحة ولكن عدد السكان يعتبر ضئيلاً مقارنة مع مساحتها .

وإقليم ولاية دارفور يقسم إلى محافظتين محافظة شمال دارفور ومركزه مدينة الجنينة ومحافظة جنوب دارفور ومركزه مدينة انيالا ، أما عاصمة الأقليم فهي مدينة الفاشر وسميت كذلك لأن سلطان دارفور كان يجلس مع أعوانه وأركان سلطنته تحت شجرة ضخمة تسمى الفاشر هذا طبعاً في الزمن السابق .

وإقليم دارفور يقع في غرب السودان ، سكان الإقليم خليط من قبائل عربية تعتز بأصولها وآخرون ملامحهم أقرب إلى الزنج ، ويقولون هي دار ... للفور أي الزنوج . وكل سكانه مسلمون سنة وأن غلبت عليهم أعراف وتقاليد الطرق الصوفية .

- السفر إلى السودان :

بناء على موافقة دولة رئيس الوزراء بكتابه رقم 14742/1/8/10 تاريخ 1988/11/26 المتضمن موافقته على إيفاد البعثة الطبية الأردنية الهاشمية للسودان الشقيق، وكتاب معالي وزير الصحة رقم ش م 3526/89/2/36 تاريخ 1/رجب/1409هـ الموافق 1989/2/7 الموجه إلى دولة رئيس الوزراء لأخذ موافقته على انتداب الأطباء والموظفين للذهاب مع البعثة الطبية الهاشمية للسودان الشقيق بعد منتصف الشهر

الجاري (شهر شباط) .

هذه البعثة كانت برئاستي وعضوية ثمانية اطباء وفني مختبر واحد وممرضين قانونيين اثنين ومساعد ممرض واحد والأطباء هم اختصاص جراحة عامة واختصاصي أمراض نسائية وتوليد واختصاصي تخدير وأربعة أطباء عامين .

كذلك رأت الهيئة الخيرية الهاشمية أن ترسل بعثة فنية وبرئاستي أيضاً وتضم مهندسين وفنيين من أجل هدفين كبيرين :

أولاً : إيصال الماء إلى الشوارع والبيوت .

ثانياً : تمديد الكهرباء إلى مساكن وشوارع مدينة كاس . وكانت تضم هذه البعثة مهندسين وفنيين للقيام بهذا الدور الكبير وكان هذا الفريق الفني برئاسة المهندس نايف نعيم الصمادي من سلطة المياه ومساعده ملازم طاهر عطيات من سلاح الهندسة القوات الأردنية الباسلة . كذلك شاركت في البعثة الفنية سلطة الكهرباء ببعض فنييها وكذلك شاركت سلطة المياه بالفنيين بهذا المجال وعلى رأسهم كان المهندس نايف نعيم الصمادي .

أما وزارة الأشغال فكان مع البعثة ميكانيكي سيارات وكهربائي سيارات .

وكان هناك مسّاحاً من مديرية المساحة العسكرية .

السفر :

تقرر يوم السفر يوم 1989/2/22 وكانت هذه البعثة تحمل الرقم العشرون من البعثات الأردنية .

قبل السفر قرر سمو الأمير الحسن أن يجتمع بأفراد البعثة في ديوانه العامر وكان معنا أمين الهيئة الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي ، سمعنا من سمو الأمير كلاماً طيباً وأننا نقوم بعمل جليل ومشكور للأخوة في السودان وأننا لا نمثل أنفسنا بل نمثل بلدنا الغالي المملكة الأردنية الهاشمية وأوصانا خيراً بأنفسنا والإخلاص في العمل والانجاز وحسن الخلق .

يوم السفر :

تحدد يوم 1989/2/22 يوم السفر فكان يوم الأربعاء وهكذا انطلقت

البعثتان إلى مطار عمان المدني " ماركا " وكان في وداعنا معالي وزير الصحة د. زهير ملحس وأمين عام الهيئة الخيرية الهاشمية د. عبد السلام العبادي وغيرهم من المسئولين عن مثل هذه البعثات ، كان السفر بوساطة طائرة نقل عسكرية أربعة محركات وقيل لي من بعض مسئولي البعثة أنت سوف تركب في قمرة القيادة حينها لم أعرف لماذا أنا سوف أكون في حجرة القيادة ، ولكن لما بدأنا بالصعود على الطائرة وجدت داخل الطائرة عبارة عن عنبر متسع أو بهو واسع مملوء الجزء الخلفي بما تحتاجه البعثة من آليات ولوازم ومعدات تحتاجه البعثة الطبية والفنية علاوة على مؤن ناشفة كالسكر والأرز وغيرها من المواد الغذائية التي تحتاجها البعثتين .

أقول عندما شاهدت الطائرة من الداخل لمع في خاطري كأنها عمارة قد شطبت على العظم ولم يجر فيها أي تشطيبات داخله ووجدنا فيها كراسي مجدولة من حبال رفيعة تتأرجح يميناً وشمالاً وهي التي سوف يجلس عليها الركاب لمسافة طويلة لا تقل عن أربعة ساعات بين عمان والخرطوم وهي غير مريحة اطلاقاً . هنا عرفت لماذا أنا سوف أجلس في حجرة القيادة .

بدأت الطائرة الحركة ثم الطيران وكانت غرفة القيادة تضم القائد ومساعده ومهندس طيران وملاح الطائرة وأنا ، نعم كانت غرفة القيادة قياساً على الموجود مرفهة إذ فيها كنبة تتسع لاثنين وطويلة ويستطيع الإنسان أن يتمدد عليها . وكذلك كان الطاقم شديد الاحترام لدي ويقدمون لي مما يأكلون ويشربون أما ماذا عن أفراد البعثة فلا أعرف شيئاً عنهم .

أخيراً بعد أربعة ساعات أكثر أو أقل لم أعد أذكر ، وصلنا إلى مطار الخرطوم وهو في ذلك الزمان كان مطاراً عادياً جداً ليس كالمطارات التي شاهدتها بحياتي بسيطاً في كل شيء .

وبعد إجراءات بسيطة وسريعة نقلونا إلى الفندق في وسط الخرطوم . الفندق كذلك بسيط ولا أعرف إن كان مصنفاً أم لا ولكن على كل حال مريح وهي ليلة واحدة نقضيها فيه ثم ننطلق إلى انيالا بنفس الطائرة العسكرية .

درجة الحرارة في الخرطوم مقبولة والنيل العظيم يشقها من

منتصفها بمنظره الخلاب وبهائه وجلاله الذي ينعكس على المكان بكل هذا الجمال والجلال والخيال .

بعد أن استرحنا في الفندق ذهبت مع أحد الزملاء الذي يرافقنا إلى عائلة لبنانية تسكن في الخرطوم من أجل تصريف بعض الدولارات لأنه ليس لدينا متسع من الوقت إذ سنغادر غداً صباحاً إلى انيالا . استقبلتنا تلك العائلة الكريمة بهشاشة وبشاشة طبعاً هناك غني عن القول أنهم بيض البشرة مثلنا ويتزاوجون من بين بعضهم البعض لا يزوجون ولا يتزوجون من خارج وسطهم وكما علمت هناك عائلات لبنانية وسورية كثيرة ولهم نادي باسمهم .

كذلك ذهبنا إلى بيت سفيرنا في الخرطوم واستقبلنا استقبالاً جيداً ولكن لبعد الزمن وتطاوله لم أعد أذكر من هو سعادة السفير ولا أية معلومات عالقة بالذهن .

شوارع الخرطوم غالباً غير مسفلتة متربة وغير مضاءة في بعضها صباحاً انطلقت إلى مطار الخرطوم وصعدنا على الطائرة وانطلقنا بحفظ الله ورعايته إلى انيالا ، وبعد ثلاث ساعات وصلناها ويجب أن نصلها قبل الغروب إذ لا يوجد في المطار خدمات لصعود أو هبوط الطائرات بعد المساء .

في مطار انيالا وجدنا استقبالاً شعبياً حاراً ووجدنا آليات البعثة الأردنية الأردنية جاهزة لنقلنا إلى كاس . كان هناك طريق معبد من مدينة انيالا إلى كاس ومنها إلى مدينة زالنجي وهو الطريق المعبد أو المسفلت الوحيد في ولاية دارفور وقد عبدته " ويسمونه طريق الزلط " الحكومة الألمانية .

وصلنا إلى كاس حوالي الساعة الثالثة مساء من يوم الخميس 1989/2/23 ، كان هناك استقبال شعبي حافل والزغاريد والهتاف بحياة جلالة الملك وحياة ولي عهده الأمين تناولنا طعام الغداء بحدود الساعة الخامسة مساءً ضيافة على حساب المستشفى.

إذن وصلنا مدينة كاس يوم الخميس 1989/2/23 وغادرناها إلى نيالا صباح يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان المبارك الموافق 1989/4/28 إذ بدأ شهر الصوم المبارك يوم 1989/4/6 من يوم

الخميس .

وصلت الطائرة العسكرية الأردنية من الخرطوم الساعة التاسعة والنصف وأقلعت الطائرة فينا الساعة الثالثة مساءً وصلنا إلى فندق صحاري الساعة الخامسة والنصف في الخرطوم وكما قلت الفندق لا بأس به وكانت غرفتي تحمل الرقم 147 ولا بأس بها .

كما تلاحظون خلال هذه المدة التي تجاوزت الشهرين كان هناك عملاً كثيراً ومستمراً سواء أعمال البعثة الطبية وتسيير أمورها أو البعثة الفنية التي بدأت من الصفر من أجل تمديد الماء وإيصال الكهرباء إلى الشوارع والبيوت .

هذه الأعمال أخذت مني جهداً كبيراً ومستمراً وكنت كثيراً ما أسافر إلى مدينة انيالا وبصحبة المهندس أو بعض الأطباء لتجهيز ما تحتاجه البعثة الفنية أو الطبية . أن سفري إلى انيالا كان متعباً وقابضاً لأنني كنت أرى هذه المدينة لا تمتاز إلا بالحر والغبار وانقباض النفس على الرغم من بشاشة الأخوة السودانيين كمسؤولين أو أشخاص عاديين وزرت مستشفاها عساني أجد فيه بعض ما نحتاجه ولكن للأسف أنه اسم على غير جسم ينقصه كثير من الكوادر والمستلزمات الفنية والطبية .

كذلك زرت مدينة زالنجي وهي شمال مدينة كاس بمئة وخمسين كيلومتراً لإحضار بعض الحاجيات الضرورية وزرت مستشفاها ولكن لا يختلف عن غيره . إذ لكم أن تتصوروا مدينة عدد سكانها مع توابعها يتجاوز المائتي ألف إنسان وفيها طبيب عام واحد مع بعض المساعدين الصحيين .

كذلك علمت أنه في مدينة زالنجي يوجد مكان لحجر مرض الجذام والعياذ بالله .

ذهبت إلى إدارة مشروع جبل مرة من أجل إحضار الأكسجين ولمقابلة مدير المشروع دكتوراه في الزراعة فلم أجده إذ كان الوقت وقت الإفطار صباحاً وكذلك هو مضرب عن العمل بناء على تعليمات نقابة الزراعة ، كان في بيته وبيته لا بأس به من الطوب المشوي .

أصر على أن نتناول معه طعام الإفطار وهذه هي ما يتكون منها الطعام :

1- العصيدة : وهي أكلة شائعة لدى الإخوة السودانيين وهي عبارة عن مادتي طحين الذرة والدخن وتعجن جيداً ثم ترق كالأرغفة ولكن لا تخبز بالنار بل يسكب عليها مخلوط من الباميا المسحوق " قرن الباميا حوالي 20 سم " واللحم المفروم وصلصة البندورة والبهارات وتؤكل مباشرة بالأيدي ز

2- لحم مشوي على النار من أضلاع الضأن .

3- لحم مطبوخ على طريقة الصاجية .

4- هناك طبق لم أعرفه فسألت عنه فقيل لي هو يتكون من : كبدة – وفشة "رئة" ومعدة خروف مقطعة قطع صغيرة ولكن هذه الخلطة تؤكل نيئة وعليها أكوام من البصل الناشف .

5- كذلك هناك معلاق مطبوخ .

في يوم الجمعة 1989/3/24 كان الجو حاراً جداً وبعد الصلاة عدت إلى السكن واسترحت قليلاً إذ أننا في هذا اليوم مدعون عند الأستاذ أحمد عبد الرحمن أبو لؤلؤ مدير المدرسة كان عددنا قرابة العشرين مع بعض المدعوين من وجهاء مدينة كاس وهكذا بدأت مراسيم الضيافة .

1- أدير علينا شراب عصير الليمون .

2- أحضروا طعام الغداء على صدرين كبيرين ومغطاة بطبق كبير من القش المنسوج بألوان زاهية " كأطباق القش في بلادنا من قصل القمح " . كان كل صدر مملوء بأطباق سودانية لا أعرفها واستحييت أن أسأل عن كهنها لكن هاكم هي كما رأيت : كان عصير البندورة هو السائد وقطعة لحم كبيرة على الصدر على طبق الأرز . كذلك كان هناك بيضاً مسلوقاً تقريباً مثل " امشاط الزهرة " وهناك أصناف كثيرة لم أتبين ماهيتها ولم آكل منها ولذا رفعت يدي عن الطعام دون أن أسبب أي حرج للمضيف .

بعد الغدا داروا علينا بالشاي والشاي الأخضر والقهوة بوعاء يدعونه " جَبَنَه " مصنوع من الصيني أو القصدير ثم قدموا لنا الفاكهة من برتقال مقطع وغير مقشر وقطع المانجا وطبق واحد صغير أشبه بالجلي ومعه معالق صغيرة والكل يأكل من هذا الطبق ملعقة أو أكثر .وهكذا ودعنا مضيفنا وشكرناه على حسن كرمه وسخائه .

لبثنا في مدينة كاس شهرين وبضعة أيام وكان فيها كثير من الجهد والتعب لتأمين عمل البعثة الطبية أو إشغال البعثة الفنية والتي كانت تعمل بعمل جيد وممتاز فيما يتعلق بحفر آبار المياه وتثبيت الشوارع وتمديدات الكهرباء والماء كنا نحاول أن نقوم بعمل جيد ليكون مثالاً وخير شاهد على التزامنا وانضباطنا وتقديم أحسن ما لدينا من خبرات طبية أو فنية ليكون خير شاهد على إننا الأردنيين نقوم بواجباتنا الملقاة على عواتقنا أحسن قيام وقبل أن أختم لا بد من وضع هذه الملاحظات :

1- أن الأمن كان مستتباً جيداً ولم يعكر صفو البعثة أي شيء أمني وكانت هناك مفرزة من الجند تسكن بجوار سكن البعثة .

2- السودانيون طيبون وكرماء وودودون وكانوا يقدمون لنا جل ما يستطيعون من خدمة تطلب منهم ويقدرون العمل الذي نؤديه لخدمتهم وقد لبينا بعض دعواتهم والبعض الآخر يرسل لنا الذبائح حية حتى نطبخها بالطريقة التي تروق لنا وكان هناك لجنة تسمى لجنة إدارة كاس ، تضم وجهاء وخبراء أهالي كاس وانيالا ووجدنا من هذه اللجنة كل تعاون وتقدير .

3- على الرغم من شح الإمكانات وعدم توفر وسائل الاتصال ولكن تشعر أنهم مثقفون ، والحزبية منتشرة بينهم وكذلك الإضرابات ما أن تنهي جهة ما إضرابها حتى تطلق جهة أخرى إضراباً آخر وهذا كان له بعض التأثير السلبي على عملنا إذ ونحن هناك كان يوجد إضراب للزراعيين وكذلك إضراب للأطباء وهكذا .

4- هناك سلبية كبيرة وقد عانينا منها كثيراً وهي وقت الإفطار ، إذ يبدأ الإفطار لديهم الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الحادية عشرة ظهراً إن لم تبدأ أبكر وتنتهي بساعة متأخرة .

وقد حاولت أن أدفع للموظفين السودانيين خصوصاً في المستشفى بدل الإفطار وأن يفطروا بالمستشفى ولكن رفضوا هذا العرض رفضاً قاطعاً فوقت الإفطار لديهم مقدس ولا يتنازلون عنه أبداً .

5- الوقت لديهم بطيء جداً ولا قيمة له اطلاقاً ورخيص وأرخص منه الموت . لقد شاهدت حالات وفاة سواء أطفال أو كبار فلم أجد أو أشعر بوجود تلك اللوعة وذلك الحزن الذي يغشي القلوب وتلتاع منه النفوس

وتنهل المدامع وتسح على الخدود بل هو كأنه طقس لا بد أن يقابلونه بكل رضا وتسليم ولا مبالاة لربما هو من سوء الواقع الذي يعيشونه وأن هذا هو السائد لدى كل البشر .

وأخيراً زارني في مكتبي بالمستشفى الحاج عبد الرحمن الضو وقال لي بعض حكمهم وهي :

فكة الريق ... مسمار القلب .

السكين خوف من السلب والعصا خوف من الكلب .

ولا يزال في كاس ينصب يومي الاثنين والخميس سوقاً للبيع كما كان عندنا أيام زمان ، وكنت أذهب إلى السوق في هذين اليومين لشراء ذبائح لأعضاء البعثتين إذ أشتري ثمانية ذبائح وكان ثمن الذبيحة يتراوح بين 75 جنيهاً سودانياً و 125 جنيهاً سودانياً علماً بأن الدولار كان يصرف بأحد عشر جنيهاً كذلك كانت النساء هي في الغالب التي تبيع في أسواق كاس جميع المنتجات أو الصناعات المحلية .

- بعض النشاطات الصحية في محافظة الزرقاء أثناء خدمتي فيها :

قد أكون من أكثر مدراء الصحة الذين أمضوا معظم خدمتهم في لواء الزرقاء والمحافظة فيما بعد . ولا أدعي الكمال أو إتمام ما تم في زمن خدمتي في الزرقاء من انجازي وحدي بل هو انجاز متراكم راكمته سنين العمل والجد والمثابرة لجميع من حملوا شرف مسؤولية الخدمة العامة وقد تكون سبب خدمتي الطويلة الممتدة في الزرقاء له دور في هذا المجال وما تم انجازه في مختلف المجالات الصحية ، كذلك كان لوزارة الصحة الدور الحاسم والمشجع في الانجاز ولا أستطيع أن أنسى الدور الكبير الذي تميز به معالي الدكتور زهير ملحس في هذا المجال وتشجيعه لي بأن أكتب دائماً إلى الوزارة لتستملك أي منشأة سكنية تصلح لغايات وزارة الصحة وتنفذها مؤسسة الإسكان في المحافظة .

كما مرَّ سابقاً من نقش على الذاكرة وهو أنني استقلت من وزارة الصحة 1968/1/1 وكذلك عينت مرة أخرى في وزارة الصحة بتاريخ 1974/9/22 وكان مركز عملي مدينة الزرقاء حيث كنت أعمل في عيادتي الخاصة وفي تاريخ 1975/6/15 نقلت مديراً لمستشفى الزرقاء

الحكومي " مستشفى الحاووز كما كان يعرفه الناس " .

من أول يوم دوام في المستشفى شعرت كم هو ضيق ولا يلبي حاجات محافظة الزرقاء النامية والزرقاء كما تعرف منطقة جذب سكاني من جميع أطراف المملكة .

كانت عيادات الاختصاص موجودة في بيت قديم ضيق أمام المستشفى من الناحية الشرقية ولكن لحسن الحظ كانت العيادات الحالية الآن في طور الإنشاء ولكن أيضاً كانت خارج المستشفى من الناحية الشمالية ويفصل بينها وبين بناء المستشفى شارع عام يخدم كتلة كبيرة من السكان .

ولكن عند افتتاح هذه العيادات خففت كثيراً من المعاناة التي يكابدها الناس وكوادر المستشفى ولكن لم تمض إلا سنوات قلائل ثلاث أو أقل حتى عاد الزحام الشديد في هذه العيادات حتى لا تكاد تجد لك موطء قدم . واضطررنا للإستئجار خارج العيادات في المساكن المجاورة لتخفف الضغط والزحام الشديد .

- استملاك الأرض على طريق ياجوز / صويلح كموقع مقترح لبناء مستشفى في المستقبل :

كان موقع المستشفى ضيق ولا مجال للتوسع في البناء ولا يستطيع البناء الموجود أن يلبي الحاجات الصحية المتنامية في المحافظة . لذا بادرت بالكتابة إلى مديرية الصحة من أجل مخاطبة الوزارة لاستملاك قطعة أرض مناسبة 500 دونم مثلاً على طريق ياجوز وخصوصاً أن المساحات موجودة ومن أملاك الدولة والتوسع السكاني لم يصلها بعد ، لم أجد الحماس الكافي في مديرية الصحة ولكن تحت إلحاحي وتكرار الطلب رُفع اقتراح الاستملاك إلى وزارة الصحة . ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت مديراً للصحة ، وهكذا أصبح إلحاحي أكثر وأسرع مع وزارة الصحة ومع دائرة أراضي الزرقاء وبالتوافق مع مدير الأراضي واطلاعي على الأرض المقترحة من قبل دائرة الأراضي كتبت بهذا إلى الوزارة وأخيراً بعد بضع سنين جاءت الموافقة على الاستملاك واستلمت سند التسجيل طبعاً الأراضي الآن أصبح عليها طلب وبدأ الناس يطالبون بهذه

الأراضي وأنها من واجهة أراضيهم العشائرية ولكن الأرض أصبحت الآن للحكومة لوزارة الصحة وكل من يجرؤ على الاعتداء عليها أشكو عليه للحاكم الإداري . وزيادة في الاهتمام وفي أحد أيام عيد الشجرة جلبت غراس من دائرة الزراعة وقمت مع موظفي المديرية بزراعة الواجهة الغربية للقطعة لإشعار الناس أنها أرض مملوكة لوزارة الصحة ، واستجابة لطلبي وإلحاحي على وزارة الصحة قامت الوزارة بتشييكها وتعيين حارس للأرض وهكذا ثبت الاستملاك ولم يعد أحد يستطيع الاعتداء عليها .

في أحد الأيام فتحت بريد الوزارة الذي وصلني فوجدت أن وزير الصحة في ذلك الوقت قد كتب إلى رئاسة الوزراء لرفع إشارة الحجز والاستملاك عن بعض قطع الأرض لمصلحة بعض الناس ولما راجعت المسئولين في الوزارة قالوا " هيك بده الوزير " ولكن عون الله ومشيئته أن تحل الوزارة ويأتي وزير آخر لي عليه دلالة ولما حدثته القصة بادر حالاً بالكتابة إلى رئاسة الوزراء لاعتبار كتابه السابق لاغياً وهكذا ثبتت الأرض بكامل مساحتها التي تبلغ أقل قليلاً من خمسماية دونم .

وهكذا استغلت الوزارة قسم من الأرض فبنت عليها مستشفى الأمير فيصل وكذلك كليتي التمريض في الزرقاء وعمان ككلية واحدة وكذلك تم بناء معهد المهن الطبية المساعدة .

- بناء مصلى للمستشفى :

لم يكن هناك مصلىً للمستشفى وتكاثر عدد أطبائه ومستخدميه وكذلك كثرة مراجعيه ، وكان المصلى أو الجماعة من الناس " الأطباء والممرضين " يحارون أين يجدون مساحة تصلح للصلاة وكانوا يصلون حيثما اتفق وهنا رأينا أن هناك حاجة لحل هذه المشكلة والمهمة وعلى الرغم من ضيق المساحة غير المستغلة من ساحة المستشفى رأينا أن نبني مصلى فيما تبقى من مساحة من الجهة الجنوبية وهكذا كان ، قمنا بجمع التبرعات منا ومن بعض أهل الخير وباشرنا البناء وصدف أن زار المستشفى معالي وزير الصحة الدكتور زهير ملحس وقد أوشك البناء على الانتهاء ولما سأل من أين جئتم بالمال للبناء وقلنا له من العاملين

وأهل الخير ، قال من الآن ما تحتاجون من أموال فالوزارة مستعدة بتوفيرها ، وهكذا تم بناء المصلى وحل مشكلة مهمة للعاملين والزائرين للمرضى لا بل ولجيران المستشفى حيث أصبحت تقام فيه الصلوات الخمس والحمد لله .

كذلك تم بناء في الناحية الغربية من ساحة المستشفى بنى قسم الجراحة . وكذلك من الناحية الجنوبية مبنى سكن الممرضات والذي استغل الآن لحاجات أخرى غير السكن ومع ذلك بقي المستشفى ضيقاً ويعاني من ازدحام وضيق شديدين . وهذا مما دفع الوزارة لبناء مستشفى الأمير فيصل في أرض ياجوز وكنت ممن حضر وضع حجر الأساس لهذه المستشفى وإن كان دون الطموحات إذ كنت أتمنى أن يبنى مستشفاً كبيراً واسعاً يقدم خدماته المطلوبة والكفؤة للمحافظة وغيرها من أرجاء الأردن على غرار أكبر المستشفيات وأكثرها كفاءة وتطوراً .

- مراكز صحية لها قصة :

دعني أكون واضحاً بأنني لن أنسب الفضل إلي في إنشاء بعض مراكز الصحة في محافظة الزرقاء وكما قلت سابقاً ، هو عمل متراكم على مدار السنين وكد الأيام ولكن قد يكون عملي في هذه المحافظة مدة طويلة نسبياً وقد تكون ظروف وزارة الصحة وبعض وزرائها قد هيأ لي هذه الفرصة لمثل هذه النشاطات الصحية وعلى كل حال أشكر الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً أن مكنني من أن أقوم بعملي بشكل أرضاه لنفسي ولخدمة بلدي دون من ولا استعلاء .

عندما تسلمت عملي كمديراً للصحة كانت محافظة الزرقاء تشكو من نقص في عدد المراكز الصحية وإن وجدت فهي إما مستأجرة في مباني قديمة لا تصلح للغرض الذي أستأجرت له وكثيراً ما كانت عيادات قروية يزورها طبيب مرة أو مرتين في الأسبوع . وكذلك كانت مراكز الأمومة والطفولة في الغالب في مباني منفصلة وبعيدة عن المركز الصحي وفي هذا ما فيه من مشقة على المرضى وكذلك على الأطباء والكوادر الطبية .

حرصت منذ البداية أن أعمل على استئجار أو بناء مراكز صحية واسعة تتسع لخدمات المركز الصحي وخدمات الأمومة والطفولة وفي هذا

ما فيه من راحة للمرضى وتوفير الكوادر الطبية المؤهلة والعدد الذي يكفي لخدمة المركز الطبي ومركز الأمومة والطفولة .

كذلك حولت بعض العيادات القروية إلى مركز صحي أولي بكادر مناسب حيث أن مؤسسة كير كانت تقوم ببناء مثل هذه المراكز .

كانت وزارة الصحة تشترط وجود أرض مناسبة باسمها لبناء مراكزها الصحية عليها أو على الأقل دفع الإيجار السنوي ولمرة واحدة من قبل المواطنين الذين يريدون إنشاء مركز صحي في حيهم أو على الأقل صاحب البناء يتبرع بالإيجار لمدة سنة واحدة. وهذا كان يتم وبعض المراكز الصحية افتتحت بهذه الطريقة مثلاً :

كانت بلدية الرصيفة تبني في وسط البلد وعلى الشارع العام وكان رئيس لجنة بلدية الرصيفة في ذلك الحين مساعد محافظ الزرقاء الأستاذ مصلح الطراونة " أبو زيد " اتفقت معه أن يقدم للوزارة الطابق الأرضي من المبنى الجديد بدون إيجار لمدة سنة حتى يتسنى لنا نقل المركز الصحي ومركز الأمومة والطفولة من موقعيهما غير المناسبين وهكذا تم افتتاح مركزاً شاملاً في موقع البلدية .

بعد النكسة والنكبة 1967 وتكاثر أعداد اللاجئين الفلسطينيين والناس نشأت حاجة ملحة لبناء مركزاً شاملاً في منطقة المشيرفة في الرصيفة ولا يوجد فيها أرض لوزارة الصحة اقترح عليَّ الأستاذ مصلح الطراونة وهو رئيس لجنة بلدية الرصيفة أن نقوم معاً بزيارة رئيس جمعية الحج الأردنية وكان رئيسها المرحوم معالي الأستاذ ضيف الله الحمود ونطلب منه أن يتبرع بقطعة أرض من أراضي الجمعية وفعلاً كانت استجابته فورية وقمنا بتطويب الأرض باسم وزارة الصحة وبإشراف الوزارة تم بناء مركز صحي شامل على هذه الأرض .

كنت دائماً أكون عضواً في اللجان المختلفة التي تعاقبت على إدارة بلدية الزرقاء بعد حل المجالس البلدية لسبب أو لآخر وكنت في الغالب نائباً للرئيس وهكذا استطعت أن أحصل على تبرع كريم من بلدية الزرقاء مثل أرض الحرش التي أقيم عليها مركز وادي الحجر الشامل واستغنت الوزارة عن المركز المستأجر . وكذلك أرض حي معصوم من بلدية الزرقاء الذي أقيم عليه مركز صحي معصوم الشامل .

مدينة السخنة بدأت تتوسع عمرانياً ويزداد عدد سكانها وكان مركزها الصحي غير كافي وغير مناسب وكذلك مركز الأمومة في بناء آخر غير مناسب . اقترحت على رئيس بلديتها الأستاذ طه يسع أرسلان بأن يتبرع بقطعة أرض من البلدية لبناء مركز صحي وشامل وواسع ويتناسب مع المدينة وهكذا كان وأنشيء المركز الصحي المطلوب .

كذلك كانت مؤسسة الإسكان تبني وحدات سكنية للمواطنين في مواقع مختلفة من المحافظة وبالتنسيق معهم استملكت الوزارة أكثر من مبنى في أكثر من موقع مثل مركز صحي ياجوز الشامل وإسكان الهاشمية الجديد وهكذا في مواقع كثيرة مثل مركز صحي بيرين الشامل ومركز صحي النقب الشامل ومركز صحي إسكان الأمير هاشم وغيرها من المراكز التي لا أذكرها الآن .

كانت مديرية الصحة في الزرقاء تفتقر إلى مصلى يسع أعداد مصليها من الموظفين وكانت ساحة سماوية لها أمام مكاتبها من الناحية الشمالية فعزمت مع بعض الشباب على بناء مصلى لهم في تلك الساحة وبنشاطنا وجهدنا استطعنا بناء مصلى يتسع لهم لا بل أصبح يستقطب كثيراً من مراجعي المديرية أو لجميع الدوائر الأخرى عندما يحين وقت الصلاة .

ـ كنت أول من افتتح عيادات الاختصاص في مستشفى الزرقاء الحكومي .

ـ أول من افتتح مبنى مديرية الصحة في مجمع الدوائر إذ كان مدير الصحة آنذاك المرحوم نوفان الحمود بإجازة دراسية وكنت أقوم بعمله .

ـ أول من افتتح المبنى الإداري لمستشفى البشير حيث كانت الإدارة في موقع العلاج الطبيعي حالياً .

ـ أول من افتتح قسم الجراحة وسكن الممرضات في مستشفى الزرقاء الحكومي .

ـ خاتمة :

إن هذه المذكرات أو النقش على صفحات الذاكرة هي خطرات نفس وخلجات فؤاد حدثتني نفسي وفكري أن أسيلها على القرطاس لجلب بعض

الراحة النفسية والسكينة القلبية أو لعله يستفيد منها بعض الناس الذين قد تتاح لهم الفرصة على الاطلاع عليها.

لقد أثبت بعض الذي تذكرته وضربت صفحاً عن البعض الآخر كما أن هناك أكيد أحداث مرت بي أو مررت بها ولكنها ضاعت في غياهب النسيان أو طيات الذاكرة النساءة .

كما أسلفت هذه خلجات نفس إنسان عادي حاول أن يقدم أحسن ما لديه وما وسعه الجهد إبراءً للذمة والضمير في حياته العملية الممتدة قرابة ربع قرن من الزمان وكان دائماً نصب عيني أن أجود عملي وأتقنه قربة لله وحده ما وسعني الجهد والأمانة حتى أبيت ليلتي أو عندما يحين حسابي أن أكون مطمئن البال مستريح الضمير والخاطر وحاشا لله أن أزكي نفسي على الله وما أبرئ نفسي من هفوات قد أكون اقترفتها ، الله أعلم بها ولا أذكرها الآن ولكن دائماً ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابين ، ولكن ما يريح نفسي وقلبي وبحمد الله تعالى أن أسمع وأرى كثيراً من الذين تعاملت معهم كزميل أو كرئيس أو مرؤوس إلا الذكر الحسن والسمعة الطيبة التي أرضى عنها .

وأنني لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عني أحسن ما عملت ويتجاوز عن سيئاتي ويجعلني من أصحاب الجنة أنه نعم المولى ونعيم النصير وغفار الذنوب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

— — —